

إذا كنت أحببتي حقاً...
بعد كل ما فعلته من أجلك...
فلماذا تتصرف بأنانية شديدة؟

الابتراز العاطفي

حينما يستخدم من حولك
الخوف، والإلزام، والشعور بالذنب
للتلاعب بك

الدكتورة سوزان فورورد

مؤلفة كتاب *Men Who Hate Women and the Women Who Love Them*

بمشاركة دونا فرايزر



مكتبة
مؤمن قریش

www.jarir.com

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a bookstore

... ليست مجرد مكتبة

الابتزاز
العاطفي

إذا كنت أحببتني حقًا...
بعد كل ما فعلته من أجلك...
فلماذا تتصرف بأنانية شديدة؟

الابتراز العاطفي

حينما يستخدم من حولك
الخوف، والإلزام، والشعور بالذنب
للتلاعب بك

الدكتورة سوزان فورورد

مؤلفة كتاب

Men Who Hate Women and the Women Who Love Them

بمشاركة دونا فرايزر

للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

تحديد مسؤولية / إخلاء مسؤولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناجمة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارة معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسؤولية ونخلي مسؤوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسؤولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٥

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

Copyright © 2015. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأية وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى .

إن المسح الضوئي أو التحميل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

If you really loved me . . .
After all I've done for you . . .
How can you be so selfish?

Emotional Blackmail

When the People in Your Life
Use Fear, Obligation, and Guilt
to Manipulate You

SUSAN FORWARD, Ph.D.

Author of Men Who Hate Women and the Women Who Love Them

with Donna Frazier

المحتويات

١	مقدمة
١٥	الجزء ١ فهم عملية الابتزاز
١٧	<u>١</u> التشخيص: ابتزاز عاطفي
٢٣	<u>٢</u> الأوجه الأربعة للابتزاز
٥٨	<u>٣</u> الضباب الحاجب
٨٢	<u>٤</u> أدوات المهنة
١٠٣	<u>٥</u> العالم الداخلي للمبتز
١٢٨	<u>٦</u> الابتزاز يتطلب طرفين
١٥٩	<u>٧</u> تأثير الابتزاز
١٧٥	الجزء ٢ تحويل الفهم إلى فعل
١٧٩	<u>٨</u> قبل أن تبدأ
٢٠٥	<u>٩</u> وقت التغيير
٢٣٤	<u>١٠</u> الإستراتيجية
٢٦٥	<u>١١</u> عبور الضباب
٢٩٦	خاتمة

مقدمة

أخبرت زوجي بأنني سأحضر دورة تدريبية مسائية لمدة يوم واحد طوال الأسبوع، فهاجمني بطريقة الهادئة، وقال لي: "افعلي ما تريدن، أنت دائماً تفعلين ما تريدن على أية حال، لكن لا تتوقعي مني أن أكون بانتظارك عندما تعودين إلى المنزل. أنا دائماً أقف بجانبك؛ فلماذا لا تقفين بجانبتي؟". كنت أعرف أن كلامه ليس منطقيًا، لكنه جعلني أشعر بأنني أناانية للغاية. فذهبت واسترددت رسوم التسجيل في الدورة. - "ليز"

كنت أخطط لقضاء عطلة رأس السنة في السفر مع زوجتي، وهي عطلة كنا نتطلع إليها منذ شهور. اتصلت بأمي لأخبرها بأننا أخيرًا اشترينا التذاكر، وكادت أمي تنفجر في البكاء، وقالت: "لكن ماذا عن العشاء الذي أعدته لهذا اليوم؟ أنت تعرف أن الجميع يجتمعون معًا في عطلة رأس السنة، وإذا سافرت في هذه الرحلة بدلًا من أن تأتي، فستفسد العطلة على الجميع. كيف تفعل هذا بي؟ كم عدد عطلات رأس السنة التي تعتقد أنها بقيت لي في حياتي؟" ولذا استسلمت لها بالطبع. زوجتي ستقتلني، لكنني لا أستطيع تخيل أنه يمكنني الاستمتاع بإجازة بينما يتأبني هذا الشعور بالذنب. - "توم"

ذهبت لأخبر رئيسي بأنني يجب أن أحظى بمساعدة أو أن يتحدد موعد نهائي واقعي أكثر لإتمام مشروع كبير أعمل فيه. وبمجرد أن ذكرت أنني أحتاج حقًا إلى بعض الراحة، عاجلني بقوله: "أنا أعرف مدى اشتياقك إلى العودة

إلى أسرتك، لكن حتى إذا كانوا يفتقدونك الآن، فأنت تعرف أنهم سيسعدون بالترقية التي تفكر في منحك إياها. نحن نحتاج إلى لاعب فريق يتقانى فعلاً في تلك الوظيفة - وهذا ما اعتقدت أنه ينطبق عليك. لكن اذهب. اقض مزيداً من الوقت مع أولادك. لكن تذكر إذا كانت تلك هي أولوياتك، فربما نعيد التفكير في خططنا بشأنك". شعرت بأنني مصدوم تماماً. والآن لا أعرف ماذا أفعل. - "كيم"

ما الذي يحدث هنا؟ لماذا يجعلنا أشخاص معينون نقول في أنفسنا: "لقد خسرت مرة أخرى. أنا أستسلم دائماً. أنا لا أقول ما أشعر به حقاً. لماذا لا أستطيع أبداً أن أتقل وجهة نظري؟ لماذا لا أتمكن أبداً من الدفاع عن نفسي". إننا ندرك أننا قد مررنا بذلك. ونعرف أننا نشعر بالإحباط والحنق، ونعرف أننا تخليتنا عما نريد لترضي شخصاً آخر، لكننا لا نعرف ماذا نفعل حيال ذلك. لماذا يستطيع بعض الناس أن يقهرونا عاطفياً ويجعلونا نشعر بالانهزام؟

إن الأشخاص الذين نتصدى لهم في هذه المواقف التي يستحيل الفوز فيها هم أشخاص متلاعبون ماهرون: فهم يحيطوننا بحميمية مريحة عندما يحصلون على ما يريدون، لكن في كثير من الأحيان ينتهي بهم المطاف بتهديدنا ليصلوا لمبتغاهم، أو يحملوننا عبء الشعور بالذنب وتأنيب الضمير إذا لم يصلوا لمبتغاهم. وقد يبدو كأنهم يضعون خططاً للحصول على ما يريدونه منا، لكنهم في كثير من الأحيان لا يكونون مدركين حتى لما يفعلونه. في الواقع، قد يبدو الكثير منهم لطافاً أو أنهم عانوا طويلاً وليسوا مصدر تهديد على الإطلاق.

وبوجه عام، يكون هناك شخص محدد - شريك حياة، أب، أخ/أخت، صديق - يتلاعب بنا باستمرار لدرجة أننا نبدو كأننا نسينا كل شيء نعرفه بخصوص أن نكون راشدين فعالين، وعلى الرغم من أننا قد نكون ماهرين وناجحين في جوانب أخرى من حياتنا، فإننا مع هؤلاء الأشخاص نشعر بالحيرة والعجز. ومن ثم، نصير رهن إشارتهم.

خذ مثلاً عميلتي "سارة"، وهي تعمل مدونة لمحاضرات الجلسات في المحكمة، كانت "سارة" شخصية مرحة ومخطوبة لعامل بناء يدعى "فرانك" لمدة عام تقريباً. وكانا خطيبين في الثلاثينات من عمرهما والأمور بينهما تسير على ما يرام - إلى أن تم طرح موضوع تحديد موعد الزواج. قالت "سارة": "تغيرت تصرفاته تجاهي بالكامل. بدا كأنه يريد مني أن أثبت نفسي". ووضح كل شيء في إحدى العطلات الأسبوعية عندما دعاها "فرانك" لقضاء عطلة أسبوع في كوخه في منطقة جبلية. تقول سارة: "عندما وصلنا، كان المكان ممتلئاً بالأقمشة وعلب الطلاء، وقد أعطاني فرشاة. لم أكن أعرف ماذا أفعل؛ لذا رسمت". عمل كلاهما أغلب الوقت في صمت طوال اليوم، وعندما جلسا في النهاية ليستريحا، قدم لها "فرانك" خاتماً وحدد موعداً للزواج.

قالت سارة: "سألته: ماذا يجري؟، قال إنه كان يحتاج لمعرفة أنني شخصية تتمتع بروح رياضية، وأنتي سأساعده وألا أتوقع منه أن يقوم بكل شيء في الزواج". و بالطبع، لم تكن هذه نهاية القصة.

حددنا ميعاداً وخططنا لكل شيء، لكننا مررنا بتقلبات كثيرة. فقد واصل تقديم الهدايا لي، لكنه أيضاً واصل اختباري. إذا لم أوافق على الاعتناء بأبناء أخته في إحدى العطلات الأسبوعية، يقول إنني ليس لدي إحساس قوي بالعائلة وربما يجب أن نفكر في إلقاء الزفاف. أو إذا تحدثت عن توسيع نطاق عملي، فهذا يعني أنني لا أفي بالتزاماتي تجاهه. ولذا، قمت بالطبع بتأجيل حفل الزفاف. استمرت بي الحال على ذلك، وأنا في استسلام دائم؛ لكنني ظللت أقول لنفسني إنه شخص رائع وربما يكون خاتماً من الزواج ويحتاج فقط إلى أن يشعر بمزيد من الأمان معي.

كانت تهديدات "فرانك" هادئة، لكنها فعّالة بشدة؛ لأنها كان يعقبها حميمية مفرطة بما فيه الكفاية لإخفاء حقيقة ما يحدث بالفعل. وكما يفعل معظمنا، كانت "سارة" تعود من أجل مزيد من الحميمية.

استسلمت "سارة" لتلاعب "فرانك" بها؛ لأنه في اللحظة الراهنة كان الحرص على سعادته يبدو أمراً منطقيًا؛ حيث كان هناك الكثير من الأمور على المحك. ومثل الكثير منا، كانت "سارة" تشعر بالحنق والإحباط من تهديدات "فرانك"، لكنها بررت استسلامها له باسم السلام.

وفي مثل هذه العلاقات، نحن نظل مركزين على احتياجات الطرف الآخر على حساب احتياجاتنا، ونشعر بالارتياح في وهم الأمان المؤقت الذي خلقناه لأنفسنا من خلال استسلامنا. وبذلك نتجنب الصراع والمواجهة؛ وفرصة تكوين علاقة صحية.

تعد مثل هذه التعاملات المثيرة للحنق من بين الأسباب الأكثر شيوعاً لنشوب خلافات في كل العلاقات تقريباً، غير أنها نادرًا ما يتم التعرف عليها وفهمها. وعادة ما يتم تصنيف حالات التلاعب هذه على أنها سوء تواصل. فنحن نخبر أنفسنا: "أنا أتصرف من منطلق العاطفة وهو يتصرف من منطلق العقل" أو "هي صاحبة عقلية مختلفة عني". لكن في الواقع، إن مصدر الخلاف ليس في أساليب التواصل، لكنه يكمن - في الغالب - في أن أحد الطرفين يصل لمراده على حساب الطرف الآخر. وهذا أكثر من مجرد سوء فهم - إنه صراع على السلطة.

وعلى امتداد السنوات، بحثت عن طريقة لوصف هذه الصراعات ودائرة السلوك المغلقة التي تقود إليها، ووجدت أن الناس على مستوى العالم مجمعون تقريباً على أن ما أتحدث عنه هنا هو ابتزاز صريح وواضح؛ ابتزاز عاطفي. أعرف أن كلمة /بتزاز/ تستحضر صوراً شريرة للمجرمين والذعر والسلب بالإكراه. ومن الصعب بالتأكيد أن تفكر في زوجك أو والديك أو رئيسك أو أشقاتك أو أولادك في ذلك السياق، لكنني وجدت أن الابتزاز هو المصطلح الوحيد الذي يصف بدقة ما يحدث. إن حدة الكلمة تساعدنا على التغلب على حالة من الرفض والالتباس التي تخيم على الكثير من العلاقات والقيام بذلك يمدنا بالوضوح.

دعني أطمئنك: إن مجرد وجود ابتزاز عاطفي في علاقة مقربة لا يعني أن هذه العلاقة محكوم عليها بالفشل والانهاء. ولكنه يعني ببساطة أننا نحتاج

إلى أن نعترف اعترافاً صريحاً بالسلوك الذي يسبب لنا الألم ونصححه، وأن نعيد وضع هذه العلاقات على أرض أكثر صلابة.

ما الابتزاز العاطفي؟

إن الابتزاز العاطفي هو أحد الأشكال الفعالة للتلاعب والذي فيه يهددنا الأشخاص المقربون منا - سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - ليعاقبونا إذا لم نفعل ما يريدونه. وفي قلب أي نوع من أنواع الابتزاز تهديد أساسي واحد يمكن التعبير عنه بعدة طرق مختلفة: إذا لم تتصرف بالطريقة التي أريد منك أن تتصرف بها، فستعاني. وقد يهدد المجرم المبتز باستخدام معلومات عن ماضي الشخص لتدمير سمعته، أو يطلب أموالاً نظير عدم إفشائه سرّاً. أما الابتزاز العاطفي فله تأثير شخصي وحميمي أكثر، فالمبتزون عاطفياً يعرفون مدى تقديرنا لعلاقتنا بهم، ويعرفون نقاط ضعفنا. ويعرفون في كثير من الأحيان أعماق أسرارنا. وبغض النظر عن مقدار اهتمامهم بنا، فعندما يشعرون بأنهم لن يحصلوا على ما يريدون، يستخدمون معرفتهم الحميمة لتشكيل التهديدات التي تعطيلهم النتيجة التي يريدونها ألا وهي امتثالنا لطلباتهم.

ولأن الأشخاص المبتزين يعرفون أننا نحتاج إلى الحب أو القبول، فإنهم يهددون بأن يمنعوا ذلك أو يسلبوه بالكامل، أو يجعلونا نشعر بأننا يجب أن نسعى للحصول عليه. فمثلاً، إذا كنت تعتز بكونك كريماً ومهتماً بالآخرين، فربما يصفك المبتز بأنك أناني أو غير مراع للآخرين إذا لم تستجب لطلباته. إذا كنت تحتاج إلى المال والأمن، فربما يفرض المبتز شروطاً لتوفيرهما أو يهدد بسلبهما. وإذا صدقت المبتز، فقد تقع في نمط السماح له بالتحكم في قراراتك وسلوكك.

نحن نتورط في عملية الابتزاز، وهي عملية تتنوع فيها الخطوات والأنماط وشركاء العملية.

فُقد في الضباب

كم عدد الأشخاص الأذكياء الماهرين الذين يجدون أنفسهم يبحثون عن طرق لفهم سلوك يبدو واضحاً للغاية؟ وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو أن الذين يبتزوننا يجعلون اكتشاف تلاعبهم بنا أمراً أقرب إلى المستحيل؛ لأنهم ينترون ضباباً كثيفاً يخفي أفعالهم. يمكننا أن نقاوم إذا استطعنا، ولكنهم يحرضون على عدم تمكننا فعلاً من رؤية ما يحدث لنا، وأنا أستخدم الضباب كاستعارة للتشويش الذي يزرعه المبتزون داخلنا وكعدسة تسلط الضوء عليه لتبده. والضباب هنا يشير إلى حالة من الخوف والإلزام والشعور بالذنب، وهي الأدوات التي يستخدمها المبتز. ويضخ المبتزون ضباباً غامراً في علاقاتهم ليتأكدوا من أننا سنشعر بخوف من معارضتهم، وبالتزام بما يريدون وشعور فظيع بالذنب إذا لم نلتزم بما يريدون.

ونظراً لأنه يصعب عليك جداً اجتياز هذا الضباب للتعرف على الابتزاز العاطفي عندما يحدث لك - أو حتى عندما تسترجع الماضي - فلقد وضعت القائمة المرجعية التالية لمساعدتك على تحديد ما إذا كنت هدفاً للمبتزين: هل الأشخاص المهمون في حياتك:

- يهددونك بأن يجعلوا حياتك صعبة إذا لم تفعل ما يريدونه؟
- يهددونك باستمرار بأن ينهوا العلاقة إذا لم تفعل ما يريدونه؟
- يخبرونك أو يلمحون إلى أنهم سيهملون أنفسهم أو يؤذونها أو يصابون بالاكئاب إذا لم تفعل ما يريدونه؟
- يريدون المزيد دائماً، بغض النظر عما تقدمه لهم؟
- يفترضون دائماً أنك ستستسلم لهم؟
- يتجاهلون أو ينتقصون من مشاعرك ورغباتك دائماً؟
- يقدمون وعوداً كبيرة متوقفة على سلوكك ثم نادراً ما يوفون بها؟
- يصفونك دائماً بأنك أناني أو سيئ أو طماع أو عديم المشاعر أو لا تهتم بالآخرين عندما لا تدعن لهم؟

- يمطرونك بوابل من عبارات الاستحسان عندما تستسلم لهم ويمتنعون عنها إذا لم تدعن لهم؟
- يستخدمون المال كسلاح ليحصلوا على مرادهم؟

إذا أجبت بـ نعم عن سؤال واحد فقط من هذه الأسئلة، فإنه يتم ابتزازك عاطفياً؛ لكنني أريد أن أطمئنتك أن هناك العديد من التغييرات التي يمكنك إجراؤها لتحسين موقفك وشعورك.

التوصل إلى الوضوح

قبل أن نتكلم من إحداث تغيير، نحن نحتاج إلى التخلص من التشويش والخلط المتعلقين بالنمط الذي تسير عليه علاقاتنا بالمبتزين. نحن بحاجة إلى إشعال الأنوار. وهذه خطوة بالغة الأهمية في إنهاء الابتزاز العاطفي، لأنه حتى إن كنا نعمل على تبديد الضباب، فإن المبتز يكون منهمكاً في ضخ طبقات جديدة وكثيفة من الضباب. وعلى الرغم من كل التطورات التي أحرزناها في السنوات الأخيرة فيما يتعلق بحالاتنا المزاجية وعقليتنا ودوافعنا، فإننا عندما نتعامل مع الضباب، فإن حواسنا يتم تقييدها وأجهزة الاستشعار الدقيقة التي توجهنا في علاقاتنا بالآخرين تصاب بحالة من الجمود. فالمبتزون يتمكنون ببراعة من إخفاء الضغط الذي يمارسونه علينا، وعادة ما نشعر به بطرق تجعلنا نتشكك في فهمنا لما يحدث. وبالإضافة لذلك، عادة ما يكون هناك فرق شاسع بين ما يفعله الذين يبتزوننا والطريقة اللطيفة أو حتى المحببة التي نفسر بها تصرفاتهم تجاهنا وشخصياتهم. فنشعر بالارتباك والتشوش والحنق، لكننا لسنا الوحيدين؛ فالابتزاز العاطفي معضلة تؤثر في ملايين الأشخاص.

وعلى مدار هذا الكتاب، وفي القصص التي نستعرضها، ستقابل أشخاصاً يخوضون صراعات مع الابتزاز العاطفي ويبحثون عن طرق لإنهائه. وهي قصص عن أشخاص حقيقيين بمشاعر حقيقية وصراعات حقيقية. وهم أشخاص ستجد نفسك في قصصهم - رجال ونساء يعملون بكفاءة وكياسة

وفاعلية كبيرة في جوانب كثيرة من حياتهم لكنهم سقطوا في شرك الابتزاز. وإذا فتحت قلبك، فإنه يمكنك أن تتعلم الكثير منهم. وقصصهم هي حكايات معاصرة وقصص تعليمية يمكن أن تكون بمثابة مرشد أو منارة في رحلتك الخاصة.

الابتزاز يتطلب طرفين

في الجزء الأول من هذا الكتاب، سأبين لك بالضبط كيفية حدوث الابتزاز العاطفي والسبب في أن بعضنا أكثر عرضة للوقوع فيه. وسأشرح بالتفصيل كيف تحدث عملية الابتزاز وسأبين ما يريده كل طرف في هذه العملية وما يحصلان عليه وكيف يحصلان عليه. وسأستكشف نفسية المبتز، وهي مهمة تبدو شاقة بعض الشيء في البداية؛ لأنه ليس كل مبتز لديه الأسلوب ذاته أو سمات الشخصية ذاتها؛ فبعضهم سلبيون، وبعضهم عدوانيون للغاية، وبعضهم مياشرون وبعضهم ماكرون للغاية. بعضهم يُعلِّمُوننا على وجه الدقة بالعواقب التي سنقع فيها إذا لم نرضهم، وبعضهم يؤكد مدى المعاناة التي سنتسبب فيها لهم؛ لكن مهما كان مقدار الاختلاف الذي يبدو على السطح، فهم لديهم صفات أساسية مشتركة، وهي خصائص تغذي سلوكهم المتلاعب. وسأبين لك كيف يستخدم الذين يبتزوننا حالة الضباب وغيرها من الأدوات الأخرى، وسأساعدك على فهم ما يحركهم.

وسأبين لك كذلك كيف أن الخوف - الخوف من الخسارة، الخوف من التغيير، الخوف من الرفض، الخوف من فقدان السلطة - هو أرضية مشتركة تمتد تحت هؤلاء المبتزين. بالنسبة للبعض، فإن هذه المخاوف متجذرة في تاريخ طويل من الشعور بالقلق وعدم الكفاءة. وبالنسبة لآخرين، فإن هذه المخاوف قد تكون رد فعل على شكوك وحالات توتر حدثت مؤخراً قوضت إحساسهم بأنهم أشخاص أكفاء واثقون بأنفسهم. وسأظهر كيف ترتفع احتمالات الابتزاز ارتفاعاً مذهلاً عندما تتراكم المخاوف في حياة المبتز. وسأبين كيف يمكن للأحداث المعقزة للابتزاز، مثل رفض من الحبيب أو فقدان الوظيفة أو الطلاق أو التقاعد أو المرض، أن تحول شخصاً مقرباً إلى مبتز.

والأشخاص المقربون منا والذين يستخدمون الابتزاز العاطفي معنا لا يستيقظون صباح كل يوم وهم يرددون في أنفسهم: "كيف يمكنني تدمير شخصيتي؟"، بل إنهم أشخاص يلجئون للابتزاز العاطفي كوسيلة للشعور بالأمان والاستحواذ على زمام السيطرة. بغض النظر عن مدى شعور المبتزين العاطفيين بالثقة من الخارج؛ إلا أنهم يمانون من التوتر بدرجة عالية. غير أن المبتزين قد يشعرون بأنهم في موضع سيطرة، حين يوجهون إلينا أصابع الاتهام ورتعد من هذا الاتهام. ويتبنى المبتز العاطفي موقفاً دفاعياً عند الشعور بالخوف والتعرض للأذى.

الدور الذي تلعبه

لن نستطيع الابتزاز العاطفي أن يضرب بجذوره في الأرض ما لم نمد له يد العون. تذكر أن الابتزاز العاطفي يتطلب طرفين – إنها صفقة بين طرفين – وخطوتنا التالية هي أن نستوعب قدر الإسهام الذي تقدمه باعتبارنا أشخاصاً مستهدفين بالابتزاز العاطفي.

في أية علاقة إنسانية، يكشف كل منا عن مجموعة كامنة من مثيرات الانفعال؛ مخزوننا من الاستياء والندم وعدم الثقة والخوف والغضب. وهي نقاط الضعف الخاصة بنا، جروح تؤلمنا حين ينكؤها أحدهم. ولا يظهر الابتزاز العاطفي إلا حين نتيح للآخرين معرفة مفاتيح مثيرات الانفعال لدينا؛ ومن ثم نرتعد كلما ضغطوا على هذه الجروح. على مدار هذا الكتاب، سنرى إلى أي مدى شكلت تجاربنا الحياتية استجابة عاطفية تلقائية تعزز مثيرات الانفعال الخاصة بنا.

من المبهر أن لاحظ فلسفة السلوك الإنساني تتطور من كونها فلسفة ترى فينا الضحية إلى فلسفة تشجعنا على تحمل مسؤولية حياتنا ومشاكلنا. وليس هناك مجال تظهر فيه أهمية هذا التحول في السلوك الإنساني أكثر من مجال الابتزاز العاطفي. فمن الأسهل أن نركز على سلوك الطرف الآخر ونظن أنهم إذا تغيروا، ستحسن الأمور وتكون على خير ما يرام. ولكن ما نريد فعلاً أن نبحث عنه هو الالتزام والجرأة لفهم أنفسنا وتغيير الأسلوب الذي نتعامل به

مع المبتزين المحتملين من حولنا. ومن الصعب أن نعترف بأننا نعلم المبتز كيف يبتزنا عاطفياً من خلال الاستسلام له. ولكن الحقيقة المرة هي: إن الإذعان لضغوط المبتز هو في حد ذاته مكافأة له؛ وفي كل مرة نكافئ فيها أحداً على تصرف معين، سواء كنا مدركين أو غير مدركين لذلك، فإننا نؤكد له بكل السبل الممكنة أنه في إمكانه تكرار ما فعله معنا من قبل.

التمن الذي ندفعه

ينتشر الابتزاز العاطفي مثلما تنتشر فروع شجرة اللبلاب، ويمكن لفروعه اللولبية أن تلتف حول كل جانب من جوانب حياتنا. فإذا كنا ندعن للابتزاز العاطفي في العمل، فربما نعود إلى المنزل وننفس عن غضبنا في أولادنا. وإذا كنا نحظى بعلاقة فاشلة مع آبائنا، فربما نصب جام غضبنا وسليبتنا على شركاء حياتنا. لا يمكننا أن نضع صراعاً ما في صندوق ونكتب عليه المدير أو الزوج ونحتفظ بهذا الصندوق لما تبقى لنا من حياتنا. وربما نزيد من معاناتنا الشخصية التي تدفعنا نحو التحول إلى مبتزين، لنففس عن إحباطاتنا في شخص أضعف أو أكثر حساسية منا.

والكثير ممن يلجئون إلى الابتزاز العاطفي هم أصدقاء وزملاء وأقارب لنا تربطنا بهم علاقات وثيقة نريد أن نحافظ عليها ونقويها. وربما يكونون أشخاصاً نحبهم بسبب العشرة التي تربطنا بهم، والارتباط الوثيق الذي ما زلنا نحافظ عليه من آن لآخر والذكريات التي تجمعا بهم. ولعلنا نعتبر أن علاقاتنا بهم ناجحة في أغلب الوقت، إلا أن الابتزاز العاطفي يعكر صفو هذه العلاقة. ومن الضروري ألا نسمح لعادة الابتزاز العاطفي بأن تسحبنا - وتسحب كل من حولنا - لتبتلعنا دوامتها.

إن التمن الذي ندفعه في كل مرة نستسلم فيها للابتزاز العاطفي هو تمن باهظ جداً. وتعليقات المبتز وتصرفاته تقفنا توازننا وتشعرنا بالخجل والذنب. إننا موقنون بأنه يجب علينا أن نغير الموقف، ولطالما نقطع على أنفسنا وعوداً للقيام بذلك فعلاً، إلا أننا نجد الطرف الآخر يتفوق علينا في الخدع أو المناورات لنجد أنفسنا نقع في فخ الابتزاز العاطفي مرة أخرى.

ونشك مرة أخرى في قدرتنا على الوفاء بالوعود، ونفقد ثقتنا في كفاءتنا. ويتراجع شعورنا بتقدير الذات. ولعل أسوأ ما يمكن أن يحدث لنا في كل مرة نستسلم فيها للابتزاز العاطفي هو أننا نخسر الشعور بالنزاهة ونفقد التواصل مع بوصلتنا الداخلية التي تساعدنا على تحديد القيم والسلوكيات التي ينبغي أن نتبعها. وعلى الرغم من أن الابتزاز العاطفي لا يعتبر اعتداءً سافرًا، إلا أنه لا ينبغي عليك أن تظن - ولو للحظة - أن مخاطره ليست جسيمة. فعندما نتعايش مع الابتزاز العاطفي، فإنه يزيد من شعورنا بالحزن والكآبة وتزداد حدته حتى يعرض أهم علاقاتنا وشعورنا بالاحترام لأنفسنا إلى الخطر.

تغيير الفهم إلى فعل

أعمل معالجة نفسية منذ ما يزيد على خمسة وعشرين عامًا. وفي ذلك الوقت، عالجت آلاف الأشخاص في بيئات مختلفة، وإذا كان هناك تعميم شامل يمكنني أن أقدمه دون خوف من وجود تناقض، فهو أن *التغيير* هو الكلمة الأكثر رعبًا في اللغة. لا أحد يحب هذه الكلمة، والجميع تقريبًا يخافونها، ومعظم الناس - بمن فيهم أنا - يصبحون مبدعين بشكل مبهر لتجنبها. وقد جعلتنا تصرفاتنا تعساء، لكن فكرة القيام بأي شيء بطريقة مختلفة هي الأسوأ بالنسبة لنا.

ومع ذلك، فإذا كان هناك شيء واحد أعرفه بيقين مطلق، على الصعيدين الشخصي والمهني، فهو: لن يتغير شيء في حياتنا ما لم نغير سلوكنا. فالبصيرة ليست كافية. وفهم سبب قيامنا بالأشياء التي تأتي بنتائج عكسية لن يجعلنا نتوقف عن القيام بها. والتذمر ومناشدة الشخص الآخر لن يحققا ذلك أيضًا. علينا أن نتصرف، وعلينا أن نأخذ أول خطوة على الطريق الجديد.

مفردات جديدة للاختيارات

إن جميع كتبي موجهة لإيجاد حلول، وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب، سأستعرض لك، خطوة بخطوة، مجموعة متكاملة من الاختيارات المتاحة لك

عندما تجد نفسك هدفًا للابتزاز العاطفي من جانب أحدهم. وعلى الرغم من أننا عادة ما نعمل في ضوء رؤية ضيقة للاختيارات المتاحة أمامنا، فإننا بوجه عام لدينا خيارات أكثر بكثير مما نعتقد، وامتلاك هذه الاختيارات يقوينا. سأقدم لك بعض الإستراتيجيات للصدوم في وجه الابتزاز حتى عندما تشعر برهبة أو خوف، سأساعدك على أن تشعر بالتحسن تجاه نفسك في أثناء قيامك بذلك. وسأقدم قوائم مرجعية وتدريبات بسيطة وسيناريو للممارسات وتقنيات تواصل غير دفاعية، وهي تقنيات درّستها ونقحتها على مدار الأعوام الخمسة والعشرين الماضية - وهي تؤتي ثمارها!

وعلى القدر نفسه من الأهمية، سأرشدك من خلال الأسئلة النفسية والأخلاقية والجوهرية ذات الأهمية الحيوية والتي نعانها جميعًا في مواجهة الابتزاز العاطفي، وهي أسئلة مثل:

- متى أكون أنانيًا، ومتى أكون مخلصًا لرغباتي وأولوياتي؟
- ما مقدار ما أستطيع فعله أو تقديمه دون أن أشعر بالحنق أو الاكتئاب؟
- إذا استسلمت للمبتز، فهل أنتهك نزاهتي؟

سأعطيك الأدوات لتقرر - في كل حالة على حدة - أين تبدأ وتنتهي مسؤولياتك تجاه الآخرين - وهذا أحد أهم المفاتيح لتحرر نفسك من التلاعب.

إن من أعظم الهدايا في هذا الكتاب هي مساعدتك على تقليل وإدارة الشعور بالذنب الذي أوحى لك به الذين يبتزونك. وسأبين لك كيف تتحمل الشعور بعدم الارتياح الذي ستشعر به حتمًا عندما تبدأ في تغيير سلوكك في سبيل التحرر من الشعور بالذنب الذي لا تستحقه. وسأبين لك كيف يتناقض الشعور بالذنب كلما تصرفت بطرق صحية وداعمة للذات. وسأبين لك أنه بدون الشعور بالذنب، فإن المبتز لا حيلة له.

وسأصحبك خلال عملية إجراء تغييرات داخلية كبيرة تمكنك من التوقف عن ردود فعلك التلقائية تجاه الابتزاز العاطفي وأن تستبدل بها اختيارات إيجابية واعية بشأن مدى استعدادك لإرضاء شخص ما على حساب سعادتك الخاصة.

وبينما أساعدك على مقاومة الابتزاز، سأساعدك كذلك على أن تقر ما إذا كانت حالة الابتزاز لا تستحق خوض صراع مع النفس بسببها، بل وما إذا كان الامتثال لمطالب المبتز هو الطريقة المثلى للتعامل. ففي بعض الحالات الاستثنائية القليلة، يكون الحل الصحي الوحيد هو قطع العلاقة بالكامل مع المبتز، وسأتناول أسباب وكيفية فعل ذلك عندما تفشل كل الأساليب الأخرى. عندما نكتسب في النهاية الفهم والمهارات السلوكية التي يمكن أن تحررنا من الدائرة الخائفة للابتزاز العاطفي، سوف نشع حماساً وطاقة هائلة.

أخبرتني مريضتي "ماجي" قائلة: "تمكنت من أن أقول لا لخطيبي وأن أدرك أن مطالبه غير منطقية، أنا لم أفعل شيئاً يجرح مشاعره، على الرغم من أنه كان يروقه أن يتظاهر بأنني قد جرحت مشاعره. وللمرة الأولى، لم أعاتب نفسي وأعاود الاتصال به بعد عشر دقائق لأعتذر أو أستسلم".

لقد ألفت هذا الكتاب لكل من يكافحون للبقاء بقرب حبيب أو والد أو زميل أو صديق يخنق علاقة مهمة وطيبة مستخدماً حبال التلاعب المجدولة. وعلى الرغم من أنه لا يمكنني أن أتواجد معك بينما تمضي قدماً في هذه العملية، فإنني سأقدم الدعم المعنوي في كل خطوة على الطريق وأنت تقوم بهذه الأفعال التي أحياناً ما تكون صعبة لكنها تغير حياتك فعلاً. وسأساعدك على القيام بالعمل المهم المتمثل في بناء علاقات جديدة صحية - ليس مع المبتزين في حياتك وحسب، بل مع نفسك أيضاً.

وتتطلب مواجهة الابتزاز العاطفي شجاعة حقيقية، وهذا الكتاب سيمدك بالقوة لتفعل ذلك.

الجزء ١

فهم عملية الابتزاز

التشخيص: ابتزاز عاطفي

إن عالم الابتزاز العاطفي عالم مريب. فبينما يكون بعض المبتزين عاطفياً واضحين في تهديداتهم، فإن بعضهم الآخر ربما يبعثون لنا بإشارات مختلطة؛ أي أنهم يتصرفون بلطف معظم الوقت ولا يلجأون إلى الابتزاز إلا في أحيان قليلة. كل هذا يجعل من الصعب ملاحظة أنماط التلاعب التي تتطور في أثناء العلاقة.

وهناك بالتأكيد مبتزون فعّالون وواضحون يهددونك مباشرة وباستمرار بشأن ما سوف يحدث إذا لم تستجب لرغباتهم، ويذكرون عواقب عدم امتثالك لهم بعبارات واضحة لا لبس فيها: "إذا تركتني، فلن ترى أطفالك مرة أخرى أبداً". "إذا لم تدعم مشروعي، فلن أكتب لك خطاب التوصية إلا إذا فعلت ما أريد". تهديد واضح وصريح، ليس هناك شك في النيات.

غير أنه في كثير من الأحيان، يكون الابتزاز العاطفي أقل وضوحاً بل ويحدث في سياق علاقة يسودها الكثير من الأمور الجيدة والإيجابية. نحن نعرف كيف يتصرف الطرف الآخر عندما يكون في أحسن حالاته، وندع ذكريات التجارب الإيجابية تطفئ على الشعور الملح الذي ينتابنا بأن هناك

شيئاً ليس على ما يرام. فالابتزاز العاطفي يتسلل إلينا، زاحفاً بهدوء ليتخطى حدود التصرف العادي المقبول إلى سلوكيات تكون في البداية مشوبة؛ ثم متشعبة، بعناصر تقوض سعادتنا.

قبل أن نحكم على تصرف شخص ما بأنه ابتزاز عاطفي، لا بد أن يحتوي هذا التصرف على عناصر معينة. ويمكننا أن نجري تشخيصاً مثلما يشخص الطبيب الحالة المرضية لشخص ما؛ وذلك من خلال فحص الأعراض. وفي المثال التالي، سنرى اثنين يحببان بعضهما، لكن الأعراض نفسها تنطبق على عدة علاقات سواء أكان طرفا العلاقة صديقين أم زميلين في العمل أم فردين في عائلة، فقد تختلف المواضيع لكن الأساليب والأفعال واحدة ويمكن التعرف عليها بسهولة.

الأعراض الستة المميّزة

"جيم" و"هيلين" شاب وشابة أعرفهما، وهما مخطوبان منذ عام تقريباً. وتعمل "هيلين" أستاذة للأدب في جامعة أهلية، وتتمتع بعينين بنيتين كبيرتين وابتسامة عريضة مثالية. تعرفت على "جيم" في حفلة، وقد بدا "جيم" سعيداً. و"جيم" طويل القامة معسول اللسان ومؤلف أغان ناجح. يكن كلا الخطيبين للأخر عاطفة عظيمة، لكن بالنسبة لـ "هيلين"، فإن الراحة التي تشعر بها مع "جيم" تتلاشى تدريجياً. وفي الواقع، فإن علاقتهما قد اجتازت المراحل الست للابتزاز العاطفي.

ولكي أعطيك فكرة واضحة عن كيف تبدو الأعراض الستة للابتزاز العاطفي، دعنا نستعرض نسخة مبسطة للصراع الذي نشأ بين "جيم" و"هيلين". وستلاحظ أن بعض الأعراض تصف سلوك "جيم"، وبعضها يركز على سلوك "هيلين".

١: **الطلب.** "جيم" يريد شيئاً من "هيلين". فهو يقترح عليها أنه بما أنهما يقضيان الكثير من الوقت معاً، فلم لا يعجلان بالزواج. وأخبرها بأن شقتها كبيرة ونصف أشيائه موجودة هناك بالفعل؛ ولذا فيسكون الانتقال بسيطاً.

أحياناً لا يصرح المبتزون بما يريدون بالمقدر نفسه من الوضوح الذي صرح به "جيم"، لكنهم يجعلوننا نستنتج ذلك. فربما يعبر "جيم" عن مقصده بطريقة غير مباشرة، كأن يبدو عليه العيوس بعد زواج أحد الأصدقاء، ويدع "هيلين" تستخلص من ذلك: "أتمنى أن تكون أقرب لبعضنا؛ فأنا أحياناً أشعر بالوحدة الشديدة"، وفي النهاية يقول إنه يريد أن يعجل بالزواج. للوهلة الأولى، يبدو اقتراح "جيم" محبباً، ولا يبدو أنه طلب على الإطلاق، لكن سرعان ما يتضح أنه عازم على الماضي في هذا المسار وغير راغب في مناقشته أو تغييره.

٢: المقاومة. تشعر "هيلين" بعدم راحة بشأن تعجيل "جيم" بالزواج وتعبّر عن عدم موافقتها بإخباره بأنها غير مستعدة لهذه التطورات في العلاقة. فهي تهتم بأمره كثيراً، لكنها لا تريد التعجيل بالزواج. لو كانت "هيلين" تريد أن تسلك طرفاً غير مباشرة، فربما تقاوم بأشكال أخرى، فقد تتسحب وتتصبح أقل حميمية معه، أو تخبره بأنها قررت إعادة طلاء الشقة وأن عليه أن يأخذ أشياءه لمنزله إلى أن ينتهي طلاء المنزل. لكنها تفصح عن مقاومتها، وتوجه رسالة واضحة. الإجابة هي لا.

٣: الضغط. عندما يرى "جيم" أن "هيلين" لا تعطيه الرد الذي يريده، لا يحاول أن يفهم مشاعرها، بل يضغط عليها لتغير رأيها. في البداية، يتصرف كأنه يريد أن يناقش الموضوع معها، لكن المناقشة تصبح من جانب واحد وتحول إلى محاضرة. ويحول "جيم" تعبير "هيلين" عن مقاومتها إلى تعبير عن أوجه قصورها، ويفصح عن رغباته ومطالبه بالأسلوب الأكثر إيجابية: "أنا لا أريد سوى الأفضل لكينا. أريد أن أهب حياتي لك. عندما يحب شخصان بعضهما، لا بد أنهما يريدان العيش تحت سقف واحد. فلم لا تريدين التعجيل بالزواج؟ لو لم تكوني شخصية أنانية تهتم بنفسها أكثر من أي شيء، لتقبلت مشاركة حياتك معي".

ثم يلجأ إلى الرومانسية ويسألها: "ألست تحبينني بما يكفي لكي أكون معك هنا طوال الوقت؟" وقد يزيد مبتز آخر من الضغط بأن يصصر إصراراً عنيداً

على أن التعجيل بالزواج سيحسن العلاقة وسيزيدهما قرباً من بعضهما. وأياً كان الأسلوب، فإن الضغط سيحدث، على الرغم من أنه قد يكون متخفياً في ثنايا عبارات طيبة - كأن يجعل "جيم" "هيلين" تدرك مدى الألم الذي يعانيه بسبب مقاومتها.

٤: التهديدات: طالما أن "جيم" يصطدم بحائط المقاومة، فإنه سيخبر "هيلين" بأنه ستكون هناك عواقب إذا لم تستجب لما يريد. قد يهددنا المبتزون بأن يسببوا لنا الألم أو التعاسة. وربما يخبروننا بمدى المعاناة التي نتسبب فيها لهم، وقد يحاولون أيضاً إغراءنا من خلال تقديم وعود بما سيعطوننا إياه أو قدر الحب الذي سيمنحوننا إياه إذا استجبنا لرغباتهم. يحاول "جيم" التأثير على "هيلين" بتهديدات مقنعة: "إذا لم تقومي بهذا الالتزام تجاهي بغض النظر عن كل ما يعنيه أحدنا للآخر، فربما قد حان الوقت لإعادة النظر في علاقتنا". هو لا يهدد مباشرة بإنهاء العلاقة، لكن من المستحيل ألا تفهم "هيلين" مغزى كلامه.

٥: الإذعان. "هيلين" لا تريد أن تخسر "جيم"، وتخبر نفسها بأنها ربما كانت مخطئة في اعتراضها على التعجيل بالزواج، على الرغم من استمرار شعورها بعدم الارتياح لذلك. وهي و"جيم" لا يتحدثان عن مخاوفها إلا بشكل سطحي، ولا يحاول "جيم" تهدئة هذه المخاوف. وبعد شهرين، توقفت "هيلين" عن المقاومة، وتزوجت "جيم".

٦: التكرار. انتصار "جيم" يأذن ببداية فترة هادئة. والآن بعد أن حصل على مراده، فقد توقف عن الضغط والعلاقة تبدو مستقرة. أما "هيلين" فلا تزال غير راضية عن الطريقة التي سارت عليها الأمور، لكنها أيضاً تشعر بارتياح لأنها تخلصت من الضغط واستعادت حب "جيم" ورضاه. لقد رأى "جيم" أن الضغط على "هيلين" جعلها تشعر بالذنب هي طريقة مؤكدة للحصول على ما يريد. وقد رأت "هيلين" أن أفضل طريقة لإنهاء أساليب

الضغط التي ينتهجها "جيم" هي أن تستسلم له. لقد تم وضع الأساس لنمط الطلبات والضغط والاستسلام.

هذه الخصائص الست هي أساس متلازمة الابتزاز العاطفي، وسنعود إليها وسنكتشفها بمزيد من التفاصيل في هذا الكتاب.

إذا كان الأمر واضحًا للغاية، إذن فلم لا نراه؟

تبدو هذه الأعراض واضحة ومزعجة لدرجة أننا نعتقد أن أجراس الإنذار ستطلق عندما تبدأ هذه الأعراض في الظهور. لكن ما يحدث عادة أننا تنفمس في الابتزاز العاطفي دون أن ندرك أنه يحيط بنا. ومن ناحية أخرى، يحدث هذا بسبب أن الابتزاز العاطفي يتجلى في أقصى السلوكيات التي تلجأ إليها وتواجهها طوال الوقت ألا وهي التلاعب.

هناك الكثير من أشكال التلاعب ليست مزعجة على الإطلاق. فنحن نتلاعب ببعضنا البعض أحياناً؛ وجميعنا يتعرض للتلاعب. وقد تعلمنا أن نمارس العديد من الألاعيب للتحايل على الناس كي يفعلوا ما نريد. ومن الحيل المفضلة لي: "يا إلهي! أتمنى لو يفتح أحدهم النافذة" بدلاً من أن أقول صراحة: "هلا فتحت النافذة من فضلك".

ومن الأشياء المثيرة للدهشة لمدى الصعوبة التي نواجهها في أن نكون مباشرين حتى فيما يتعلق بأصغر الأمور، ناهيك عن الأوقات التي تكون فيها الكثير من الأمور على المحك ونريد فيها تحقيق شيء مهم. لماذا لا نطلب ما نريد وحسب؟ لأن الطلب يتطوي على مخاطرة. ماذا لو رفض الطرف الآخر؟ إن إخبار الآخرين بما نريد بأسلوب مباشر وواضح شيء لا يقوم به إلا القليلون منا. نحن نخشى أن نعرض أنفسنا للمخاطرة من خلال إخبار الطرف الآخر بما نريد أو نشعر. ماذا لو انتهى الموقف بشعورنا بالفضب - أو ما هو أسوأ وهو شعورنا بأننا منبوذون؟ فما دمننا لم نطلب ما نريد بصيغة مباشرة، فإن رفض الطرف الآخر لا يعني رفضاً حقيقياً، أليس كذلك؟ نحن بإمكاننا أن نجد مبرراً لأي شعور بعدم الراحة.

وقد تبدو أيضاً عدائيين للغاية أو لدينا نقص شديد إذا لم نطلب ما نريد بأسلوب صريح. من الأسهل أن نجد طرقاً غير مباشرة لبث إشارات إلى الآخرين أملاً في أن يقرأوا ما بين السطور ويفهموا ما نريد: "الكلب يبدو كأنه يحتاج إلى الخروج (تلميح، تلميح)".

وأحياناً ما نقوم بذلك بدون كلمات. تلميحات واضحة أو ضمنية - تهديد، أو عبوس، أو ما يُعرف بـ "تلك النظرة"، نحن جميعاً نستخدم هذه الأشياء، ونحن جميعاً نتعرض لها، حتى في أفضل العلاقات. لكن هناك حدًا واضحًا يتحول عنده التلاعب اليومي إلى شيء أكثر ضررًا بكثير. يصبح التلاعب ابتزازًا عاطفيًا عندما يتم استخدامه بشكل متكرر لإجبارنا على الامتثال لمطالب المبتز، على حساب رغباتنا وسعادتنا.

حق وضع الحدود

عندما نتحدث عن الابتزاز العاطفي، فنحن نتحدث تلقائيًا عن صراع وسلطة وحقوق. عندما يريد أحد الطرفين شيئاً ما والآخر لا يريد هذا الشيء، فما القدر المعقول من الضغط الذي يمكن أن يمارسه كل طرف على الآخر؟ متى يعتبر الضغط الذي يمارسه الطرف الآخر متجاوزاً للحد المسموح به؟ هذه منطقة ضبابية لأننا نشدد كثيرًا على التعبير عن المشاعر ووضع الحدود. تذكر أنه من المهم ألا نصنف كل صراع للمشاعر القوية أو التعبير عنها أو حالات وضع حدود سليمة على أنها ابتزاز عاطفي.

ولمساعتك على تمييز الفروق بشكل أكثر وضوحًا، سأقدم لك عدة مواقف تحتوي على الوضع الصحيح لإرساء الحدود، ثم سأدعك ترى كيف تبدو هذه المواقف عندما تتخطى الحدود لتدخل إلى حيز الابتزاز العاطفي.

لا يوجد ابتزاز عاطفي هنا

بعد فترة قصيرة من بيعها لكتاب مصور كانت تعمل عليه لمدة عام تقريبًا، حكّت صديقتي "دينيس" موقفًا حدث بينها وبين "إيمي"، وهي صديقة كانت زميلة لها في وكالة دعاية وإعلان إلى أن قررت أن تعمل كل منهما لحسابها

الخاص. وتساءلت "دينيس" عما إذا كانت "إيمي" تبتزها عاطفياً.
هذا ما قالته لي "دينيس".

من البداية، كنا نتحدث عن كل شيء. وكنا نقضي ساعات في تبادل الآراء بشأن الصعوبات التي نجدها في عملنا الخاص، وتحديات الحياة التي نواجهها بعد خفض المؤسسات لأعداد العاملين فيها – بدأ كل منا العمل لصالح شركات كبيرة، وأحياناً ما أخفقت كل منا في الحفاظ على هذا العمل. وتحدثنا كثيراً عن خوفنا من العمل بشكل مستقل؛ ولذا تقدم الكثير من الدعم لبعضنا. كنا بحق مقربتين إلى بعضنا إلى أن أخبرتها بإعدادي هذا الكتاب. بدا لي كأنها سعيدة لأجلي، لكن بعد ذلك بوقت قصير، اتصلت بي وقالت: "أتعرفين! أنا أشعر بنوع من الغيرة. أنا أعمل بدأب ولا أجد مردوداً كبيراً؛ ولذا فأسأكون ممتنة إذا توقفت عن الحديث عن عملي ومدى شعورك بالحماس لفترة قصيرة؛ فهذا أمر موجه بالنسبة لي. فوافقْتُ على ذلك. كأن شيئاً لم يكن، فقد غيرنا الموضوع وبدأنا الحديث عن عملها.
والآن، إذا ذكرتُ أي شيء عن الكتاب، فإنها تُوقف المحادثة وتقول: "سيكون من الأفضل ألا نتحدث عن ذلك". لقد بدأ الموقف يجعلني أشعر ببعض التوتر، لكنني أحبها، وأحاول أن أتكيف وألعب وفق قواعدها.

قد يبدو الأمر للوهلة الأولى أن "إيمي" تضغط على "دينيس" كي تفعل ما تريده، وتتحكم في التعامل بينهما من خلال تحديد ما يُسمح وما لا يُسمح الحديث بشأنه. لكن في الواقع، فإن "إيمي" تعترف صراحةً بمشاعرها وتعتني جيداً بنفسها من خلال وضع حدود لما تستطيع سماعه من أخبار "دينيس" الجيدة. وإيمي لديها الحق في القيام بذلك. فمن الطبيعي كبشر أن نشعر بالغيرة عندما يحصل شخص ما على شيء نريده لأنفسنا، وخصوصاً إذا كنا نمر بكبوة في حياتنا. ونحن جميعاً نمر بأوقات نريد فيها أن نتجنب موضوعات معينة، ومثل "إيمي"، نحن نمتلك الحق في وضع حدود. و"دينيس"

أيضاً لديها الحق في أن تقرر أنها لا تحب الحدود التي وضعتها "إيمي" وأن تعبر عن عدم ارتياحها، أو تقضي وقتاً أقل مع "إيمي".
 في هذا الموقف، لم تصدر "إيمي" أي تهديد، سواء كان مباشراً أم غير مباشر، بشأن ما سوف تفعله إذا لم تحترم "دينيس" رغبتها، ولا يوجد كذلك ضغط حقيقي، بل مجرد تعبير عن المشاعر والاحتياجات. أجل، هناك صراع. أجل، "دينيس" غير مرتاحة للتغير الذي حدث في العلاقة. أجل، هناك بعض المشاعر القوية هنا. ولكن، لا يوجد ابتزاز عاطفي.

تخطي الحدود

والآن، لنلق نظرة على الموقف نفسه ونصف عنصر الابتزاز العاطفي. وأعتقد أنك سترى كيف يتغير المناخ والسيناريو. لنفترض أنه عندما تسمع "إيمي" أخبار "دينيس"، يكون ردها كالاتي: "أنا سعيدة للغاية أن أسمع عن مشروع كتابك (وأعرف أن عبء العمل عليك سيكون ثقيلاً. أألمن يكون أمراً عظيماً إذا عملنا معاً في هذا الكتاب؟ يمكنني أن أكون مساعدتك".
 وعندما تقول "دينيس" إنها لا تحتاج إلى هذا النوع من المساعدة، تقول "إيمي": "كنت أعتقد أنك صديقتي. أنت تعرفين أن الأمور لا تسير معي على ما يرام حالياً. لقد كان الانفصال عن "روجر" صعباً بما فيه الكفاية، وأنت تعرفين مدى سوء وضعي المالي منذ أن تلقيت فاتورة الضرائب الكبيرة تلك. لقد كنت أعاني حالة اكتئاب يصعب معها العمل، وكنت أعتقد أنك من نوعية الأشخاص الذين يساعدون أصدقاءهم وقت الحاجة".

وعندما تستمر "إيمي" في الاصطدام بحائط المقاومة، فإنها تزيد من الضغط بأن تستجدي كرم "دينيس" قائلة: "أنا لا أرى أي ضرر لك في أن أشاركك حظك السعيد، وأنت تعرفين أنني كنت لا أفعل الشيء نفسه معك".
 وتبدأ في وصف "دينيس" بالأنانية والطمع، وتؤكد حالتها التيسية. وفي الوقت نفسه، تهدد بإنهاء العلاقة إذا لم تصبح مساعدة "دينيس". وفي النهاية، تستسلم "دينيس" لها.

يحتوي هذا السيناريو على جميع عناصر الابتزاز العاطفي: الطلب والمقاومة والضغط والتهديد والإذعان، وهو سيناريو مهيأ للتكرار.

صراع واحد، حلان

لا ضير في أن تطلب من شخص ما ألا يتحدث عن موضوع حساس. ولكن ماذا لو تضمن الصراع شيئاً أكثر جدية مثل علاقة أحد الزوجين بشخص آخر، أو مشكلة إدمان شخص ما للمخدرات، أو عدم أمانة شخص ما في العمل؟ في مثل هذه الحالات، قد يتفوه الطرفان بأشياء بغيضة لبعضهما البعض، وقد يبدو وضع الحدود كأنه ابتزاز عاطفي لأن المشاعر قوية للغاية. وحتى في مثل هذه الحالات، هناك فرق واضح بين وضع حدود مناسبة والابتزاز العاطفي. مرة أخرى، دعنا نقارن موقفين متشابهين.

علاقة غرامية

أعرف صديقي "جاك" وزوجته "ميشيل" منذ أعوام، ولطالما كان زواجهما مثار إعجابي. هناك فرق كبير في السن بين الزوجين - "جاك" أكبر بخمس عشرة سنة - لكن الزوجين الذين يعملان عازفين في إحدى الفرق الموسيقية يبدو بينهما نوع نادر من الحميمية. وفي إحدى الليالي، عرض عليّ "جاك" أن يقطني بسيارته إلى اجتماع لفرقتنا في الأوبرا، وفي طريق العودة كانت لدينا الفرصة للتحدث، فسألته: "ما السبب في نجاح العلاقة بينكما؟ من أعطاك سر الزواج المثالي؟" لكن إجابة "جاك" لم تكن متوقعة بالنسبة لي.

لكي أصدقك القول، الأمور لم تكن مثالية على الدوام، أو على الأقل أنا لم أكن مثاليًا. سأخبرك بشيء لا يعرفه سوى القليلين. قبل ثلاث سنوات، فعلت شيئاً غريباً. بدأت في مواعيد شابة كانت تعزف على الكمان في فرقتنا الموسيقية. كانت العلاقة قصيرة الأجل ولكن شعوري بالذنب كان شديداً. كان أمراً أحمق. ولم أعد أتحمّل إبقاء الأمر سراً على "ميشيل"، وكنت أعرف أنني لن أكون مقرباً منها إلا إذا اعترفت لها بخطئي؛ ولذا، اتخذت قراراً بأنه من الأفضل لي أن أخبرها أيًا كانت النتائج.

في البداية، اعتقدت أنها ستقتلني. كادت تقاطعني لمدة أسبوعين، وانتقلت للنوم في غرفة بالطابق السفلي. لكنها بعد ذلك فاجأتني؛ إذ قالت

إنها كانت تفكر وإنها أدركت أننا نحتاج لخطة إذا كنا نريد أن نعيش معاً لبقية حياتنا. وقالت إنها تستشيط غضباً مني، لكنها تريد أن تعرض عليّ اتفاقاً: هي ستطوي صفحة الموضوع ولن تستمر في توبيخي بسبب ما فعلته ولن تستخدمه كوسيلة ضغط عندما تريد شيئاً مني. لكن إذا لم أجدد التزامي بأن أكون مخلصاً لها وأتوقف عن الهراء وأذهب معها إلى استشاري علاقات زوجية، فسيكون من المستحيل أن تتصلح الأمور بيننا. وإذا لم ألتزم بهذه الأشياء، فلن تتمكن من أن تظل زوجة لي؛ لأنها لا تستطيع العيش مع عدم الثقة وعدم اليقين والشك.

قلت لـ "جاك" إنه محفوظ في تعامله مع "ميشيل" لأنها تضع حدوداً بطريقة صحية، وهي عملية سأحدد خطوطها العريضة وسأناقشها بمزيد من التفاصيل في النصف الثاني من هذا الكتاب. في تعاملها مع "جاك"، فإن "ميشيل":

- عرفت موقفها،
- قالت ما تريد،
- حددت ما ستقبله وما لن تقبله،
- أعطت "جاك" الخيار بأن يقبل أو يرفض.

وكذلك أصرت على الحصول على استشارة لكل منهما.

نحن جميعاً لدينا الحق في أن نخبر الآخرين متى تكون تصرفاتهم غير مقبولة، كما فعلت "ميشيل". ونحن جميعاً لدينا حق أساسي في عدم التعايش مع وجود سم قاتل في علاقاتنا، سواء تمثل ذلك في عدم أمانة أو الإدمان أو شكل من أشكال سوء المعاملة.

إذا واجهنا شخص ما بشيء قد فعلناه، فربما تكون الكلمات والمشاعر قوية. لكن إذا لم تكن هناك تهديدات أو ضغط، فليس هناك ابتزاز. إن وضع الحدود المناسبة ليس معناه الإجبار أو الضغط أو الوصف المتكرر للطرف الآخر بالمخطئ. لكنه تعبير عن أنواع التصرفات التي سنتقبلها أو التي لن نتقبلها في حياتنا.

طريقة المبتز

قارن الطريقة التي تعاملت بها " ميشيل " مع هذه الأزمة بطريقة زوجين كانا عميلين لديّ منذ عدة سنوات. كان زواج " ستيفاني " و " بوب " على حافة الانهيار، وقد جاءا إلى مكتبي وهما تقريبًا لا يتحدثان مع بعضهما. وهما زوجان جذابان في أواخر الثلاثينات من العمر، يعمل " بوب " محامي ضرائب ويزاول المهنة بشكل احترافي، وتعمل " ستيفاني " في مجال العقارات. وبما أن القدوم إليّ كان فكرة " بوب "، فطلبت منه أن يبدأ الحديث. وقد بدأ بقوله،

لا أعرف إلى أي مدى يمكنني التحمل؟ لقد ارتكبت خطأ فظيلاً منذ ثمانية عشر شهرًا وهذا الخطأ يدمرنا. لقد كنتُ على علاقة قصيرة الأمد بامرأة قابلتها في رحلة عمل. أنا أستحق اللوم تمامًا، ولم يكن من المفترض أن أفعل هذا؛ لكنه حدث. إنني أبذل كل ما بوسعي لتعويض " ستيفاني "؛ لأنني أحبها وأريد أن أظل معها. نحن نحظى بحياة جيدة ولدينا طفلان رائعان. لكن يا إلهي! إنها تعاملني كأنني سفاك متمرس، ولا تريد أن تطوي هذه الصفحة. وهي تثير هذا الموضوع في كل مرة تريد فيها شيئًا ما. وهي تقرر التوقيت الذي سيأتي فيه والداها لزيارتنا والبقاء معنا؛ وتقرر أشياء تافهة مثل الفيلم الذي سنشاهده وما يجب عليّ شراؤه لإسعادها. والآن هي تريد الذهاب إلى أوروبا في وقت لديّ فيه قضية مهمة، ومن المستحيل أن أسافر. وأنا لا أمانع أن تذهب مع صديقة لها، لكنها تريد ما تريده في الوقت الذي تريده. ومن المفترض أن أتخلى عن كل شيء وأذهب معها. فالأمر يبدو كأنني يجب عليّ ذلك؛ لأنني قمت بخيانتها. وهي دائمًا ما تقول: " أنت مدين لي. لو عشت ألف سنة، لما استطعت أن تعوضني عما فعلته بي ". إذا لم أوافق على ما تريده طوال الوقت، فستذكرني بخيانتني لها وحقارتي معها. بل إنها وضعت ورقة ملصقة على خزانة الدواء مكتوبًا عليها " غشاش ". كيف يمكن لي ألا أستسلم لها؟ أنا أخشى أن ترحل عني إذا لم أستسلم لها. هذا صحيح. أنا قمت بخيانتها وبتأنيب شعور فظيع بسبب ذلك. لكن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا النحو. كيف نخرج من هذا المستنقع؟

"ستيفاني" - مثل "ميشيل" - لديها الحق في أن تغضب. لكن استجابتها لـ "بوب" انحصرت في العقاب والسيطرة. في الواقع، كان هذا ابتزازًا. إن شعور "ستيفاني" بالخوف وعدم الأمان بعد علمها بملاقة "بوب" الغرامية جعلها تعتقد على نحو خطأ أنها تستطيع أن تجعل "بوب" مخلصًا لها بأن تجعله يشعر بالذنب لدرجة أن يقوم بكل ما تريده منه. وهي باستمرار تصفه بأنه وضيع وحقير، وتستخدم خطأه كسلاح ضده. كان تهديدها واضحًا ومستمرًا: "إذا لم تفعل ما أريده، فسأجعلك بائسًا". ورسالتها: "أنا من يمسك بزمام السيطرة الآن".

قد تحتوي أزمة، مثل وجود علاقة غرامية لأحد الزوجين، على الكثير من المخاطر والقرص. وهذه الأزمة هي أيضًا أحد المواقف الحياتية المعقدة الثرية بإمكانية حدوث ابتزاز. استخدمت "ميشيل" تجربتها كفرصة لتعيد التركيز على علاقتها مع "جاك"، ولتحديد ما تتوقعه منه ومن نفسها ومن زواجهما، أما "ستيفاني" فكانت غارقة في الغضب والانتقام.

إن احتمالات نكأ الجروح أو الشفاء منها موجودة في أي موقف نختار فيه الحفاظ على علاقة ما بعد حدوث تجاوز خطير مثل: خيانة ارتكبتها زميل، تصدع مدمر داخل الأسرة، اكتشاف كذب صديق علينا. ولكن إذا كان كلا الطرفين لديه نية حسنة ويريد أن يحل الأزمة التي تفسد العلاقة، فليس هناك مجال للابتزاز العاطفي.

ما الدافع الحقيقي؟

كيف يمكننا معرفة إذا كان الطرف الآخر مهتمًا أكثر بتحقيق الفوز أم بحل المشكلة؟ لن نجربنا بذلك؛ فهو بالتأكيد لن يأتي إلينا ويقول: "أنا لا أهتم بما تريد، أنا فقط أحاول أن أفرض رغباتي". وفي المواقف التي تكون العواطف فيها محتدمة، فإن قدرتنا على الفهم والاستيعاب تكون مشوشة، وهي حالة تزداد سوءًا عندما نشعر بممارسة الضغط علينا. والقائمة التالية ستساعدك على تشخيص الابتزاز العاطفي من خلال تمكينك من توضيح النيات والأهداف خلف سلوك الطرف الآخر.

إذا أراد الآخرون حقاً أن يحلوا صراعاً ما معك بطريقة عادلة تتم عن الاهتمام، فسيفعلون التالي:

- سيتحدثون بصراحة عن صراعهم معك،
- سيسعون لمعرفة مشاعرك ومخاوفك،
- سيسعون لمعرفة سبب معارضتك لما يريدون،
- يتحملون مسئولية دورهم في الصراع.

وكما رأينا مع "ميشيل" و"جاك"، يمكنك أن تفضب من شخص ما دون أن تحاول هزيمته عاطفياً. إن الخلافات - وحتى المحترم منها - ليست بالضرورة مصحوبة بإهانات أو أحكام سلبية.

إذا كان الهدف الأساسي لشخص ما هو تحقيق الفوز، فإنه سيقوم بالتالي:

- سيحاول أن يتحكم فيك،
- سيتجاهل احتجاجك،
- سيصر على أن شخصيته ودوافعه أقوى من شخصيتك ودوافعك،
- سيتجنب الحديث عن تحمل أية مسئولية عن المشكلات بينكما.

عندما ترى أن الآخرين يحاولون فرض رغباتهم عليك بصرف النظر عن الثمن الذي ستدفعه أنت جراء ذلك، تجد نفسك تركز على السلوك الجوهري للمبتز عاطفياً.

من مرن إلى متجمد

يقودني النظر في المواقف التي قد تنجرف إلى حالات ابتزاز عاطفي، وكذلك التحقق من الأعراض والدوافع، إلى طرح سؤال آخر: ما مدى المرونة التي أتولى بها وأسمح بها في هذه العلاقة؟

عندما يبدأ الابتزاز العاطفي في التسلسل إلى علاقة ما، فنحن نشعر بتحول كبير في المناخ الذي يحيط بنا. وكما رأينا مع "ستيفاني" و"بوب"،

فإن العلاقة أصبحت معلقة، وأصبحت التهديدات والضغوط جزءاً معتاداً من التفاعلات اليومية، فيلقي الفتور بظلاله على العلاقة، ونقصد الكثير من المرونة التي تتيح لنا الإبحار بسلاسة في البحار الهائجة.

عندما تتحلّى العلاقة بالمرونة، تصبح المرونة عنصراً مسلماً به بكل سهولة. ففي كل يوم، نتفاوض - بدون مشكلات أو صدمات - على التفاصيل الكثيرة في شئون حياتنا مثل: المطعم الذي سنأكل فيه، أو الفيلم الذي سنذهب لمشاهدته، أو اللون الذي سنقوم بطلاء غرفة المعيشة به، أو أين ستكون الرحلة الترفيهية التي ستظمها الشركة. وفي حالات عديدة، تكون النتيجة غير مهمة كثيراً، والشخص صاحب الاختيار الأفضل يفوز تلقائياً. لكن رغم وجود خلافات طبيعية وميل للتأثير، فهناك إيقاع من الأخذ والرد، وإحساس بالتوازن والعدل. ونحن قد نستسلم لأشياء عديدة يكون لها تأثير سلبي طفيف علينا ونستعيد ما فقدناه من كبرياتنا وطاقاتنا سريعاً. لكن في الوقت نفسه، نحن نتوقع أيضاً من الآخرين أن يستجيبوا لرغباتنا من وقت لآخر.

عندما تختفي الرغبة في التوصل لتسوية، يتحول الوضع الراهن إلى قالب تتشكل فيه أحداث المستقبل. وسيبدو الأمر كأننا غير مسموح لنا بالتغيير، أو الانسحاب من دور قد لا يناسبنا دوماً، فنصاب بحالة جمود.

عندما كنت طفلة، اعتدت أنا وأصدقائي أن نمارس لعبة تسمى المطاردة والتجمد والتي يكون الهدف فيها هو أن تهرب من الشخص الذي يحاول لمسك. فإذا لمسك هذا الشخص، فعليك أن تتجمد في مكانك وألا تتحرك حتى تنتهي اللعبة. كانت الحديقة التي تلعب عليها تتحول في النهاية إلى حديقة تماثيل مليئة بأطفال مجمدين في أوضاع غريبة تبدو صادمة. والابتزاز العاطفي يشبه كثيراً لعبة المطاردة والتجمد، الفارق أنه لم يعد لعبة الآن. بمجرد أن يلمس الابتزاز العلاقة، تصبح العلاقة جامدة وعالقة في أنماط المتطلبات والاستسلام؛ ونصبح غير قادرين على تعديل مواقفنا أو تغيير أوضاعنا.

"ألن" رجل ذكي مرح يملك شركة صغيرة لتصنيع الأثاث؛ لكنه كان متجهماً في أول مرة جاء لرؤيتي عندما وصف مشكلاته مع زوجته الجديدة "جو".

بدأ بقوله: "اعتقدت أن جوهي الزوجة التي أردتها - فهي رائعة وذكية وتمتع بروح الدعابة".
قلت: "يبدو الأمر رائعًا بالنسبة لي، فلماذا هذه الكآبة إذن؟".

أنا لا أعرف إذا كان زواجنا سينجح. أنا أعرف أنها تحبني، لكن لا يعجبني ما يحدث لنا. إذا اقترحت أن نقضي بعض الوقت منفصلين عن بعضنا - أصدقائي دائمًا ما يلحون عليّ بأن نذهب إلى السينما أو التسكع بعد العمل - فتنصرف "جو" بطريقة جارحة جدًا؛ إذ تنظر إليّ بهاتين العينين الكبيرتين الحزبتين وتقول: "ماذا دهالك؟ هل تشعر معي بالملل؟ هل تريد ألا تبقى معي أكثر من ذلك؟ كنت أعتقد أنك مهووس بي". وإذا بدأت في وضع خطط، تتجهم وتستعطفني وتخبرني بصريح العبارة بمدى "النعاسة التي أجعلك تشعر بها" لم أكن أعرف أنها كثيرة الاحتياجات بهذا الشكل. ليست لدي مشكلة إذا أرادت أن تخرج مع صديقاتها، لكنها تريد أن تقلل من ذلك أكثر فأكثر. فالأمر يبدو كأنها تريد أن أحملها في جيبتي. وذات مرة، تحليت بالشجاعة الكافية للخروج مع أصدقائي على أية حال، خاصمتني "جو" وقاطعتني لبقية الأسبوع. كنت أعتقد أنها الزوجة المثالية - هي شخصية عظيمة - لكنني أشعر بكثير من الاستياء. نحن نحظى بعلاقة جيدة في نواح عديدة. لكن يا إلهي! هي بكل تأكيد تريد أن تفرض رغبتها عليّ.

عندما يكون الأشخاص الاتكاليون طرفًا في علاقات، فعادة ما يصيبهم الذعر عندما يستمتع الطرف الآخر بأنشطة بدونهم. وتتأهبهم مخاوف الهجر والشعور بالرفض والقلق، وبدلاً من التحدث عن تلك المخاوف، يخفونها. هم أشخاص راشدون، ومن "المفترض" أن يتحلوا بالاستقلالية، وألا يبدوا كالأطفال الصغار المذعورين. عندما رأيت "جو" أن "الن" يريد مزيداً من الحرية، بدلاً من أن تتحدث عن مشاعرها، عبرت عن هذه المشاعر بطريقة غير مباشرة. وقد جعلت "الن" يشعر بالذنب عندما أراد القيام بشيء طبيعي جداً مثل الخروج وحده.

كان "الن" يبذل كل ما بوسعه لفهمها.

لقد عاشت فترة طفولة عصيبة؛ ولذا فأنا أعرف السبب وراء احتياجاتها الكثيرة. وأنا لا ألومها على شعورها بعدم الأمان. فبعض الأيام يكون من الرائع أن أحظى بامرأة تريدني لدرجة أنها لا تدعني أغيب عن نظرها. لكن لأصدقك القول، لقد بدأ الأمر يصيبني بالإحباط. هي تقال ما تريد من خلال إشعاري بالذنب طوال الوقت. وأنا أشعر دائماً كأنني ضعيف الشخصية عندما أستسلم لها.

وعلى الرغم من أن "ألن" لم يرد أن يعترف بهذا لنفسه، فإنه أدرك أنه خلف نظرات "جو" الاستعطافية وتلك العبارات الساحرة التي تبدو محببة، هناك طلب مدعوم بضغط تمارسه عليه بشكل جيد. إن "جو" تتوقع منه أن يقضي كل أوقات فراغه معها - كان ذلك هو الدور الوحيد الذي تسمح له بالقيام به عن طيب خاطر. ولم يكن مسموحاً له أن يمارس أنشطة أو اهتمامات وحده. لكن "ألن" فعل شيئاً يفعله العديد ممن يقعون فريسة للابتزاز العاطفي، وبالأخص في البداية: التمس "ألن" لـ "جو" العذر ووجد أن تشبثها به أمر منطقي بسبب تعاطفه مع طفولتها الصعبة والمشاعر العميقة التي يكنها لها.

قام "ألن" أيضاً بفعل ما يفعله معظم الناس عندما يتعرضون لضغوط ناتجة عن احتياج الآخرين لهم أو تملكهم لهم: أساء "ألن" تفسير الأمر على أنه علامة على مدى اهتمامها به. وكما سنرى جميعاً في هذا الكتاب، فإن الفهم والتعاطف لن يجديا نفعاً مع المبتز عاطفياً، بل هما في الواقع يصيبان البنزين على نار الابتزاز.

عندما تميز أعراض الابتزاز العاطفي في أية علاقة، فربما تشعر كأن البساط قد تم سحبه من تحت قدميك. وتدرك فجأة أنك لا تعرف حبيبك أو شريكك أو أخاك أو رئيسك أو صديقك حق المعرفة. هناك شيء ما قد خسرتاه. ولا يوجد متسع كاف للحلول الوسط أو المرونة. ولا يوجد توازن في القوة، ولا منطلق بأن يحصل أحدهما على ما يريد هذه المرة، ويحصل الآخر على ما يريد المرة القادمة. وعندما لا يكون هناك "ثمن" يُدفع مسبقاً للحب والاحترام، فإن استمرار علاقتك مع المبتزين يعتمد على الموافقة على طلباتهم.

الأوجه الأربعة للابتزاز

"إن كنت فعلاً تحبني ..."

"فلا تتركني وإلا فسوف ..."

"أنت الوحيد الذي يستطيع مساعدتي على ..."

"يمكنني أن أسهل عليك الأمور لو قمتَ ب ..."

في لغة حوار الابتزاز العاطفي، كل هذه العبارات السابقة بمثابة طرق لتقديم طلب ما. ومع ذلك، فهذه العبارات تبدو مختلفة اختلافاً ملحوظاً لأن كلاً منها يعكس نوعاً من أنواع الابتزاز. فعندما نعمن النظر في الابتزاز العاطفي، فإن ما يبدو كأنه نوع واحد من السلوك ينقسم إلى أربعة أشكال يختلف كل منها عن الآخر مثل خطوط اللون التي تظهر عندما نمرر شعاعاً ضوئياً من منشور زجاجي.

المعاقبون، الذين يخبروننا بما يريدون بالتحديد - والعواقب التي ستواجهنا إذا لم نذعن لهم - وهذا النوع من المبتزين هم الأكثر وضوحاً. ربما يعبرون عن أنفسهم بشكل عدواني، أو ربما يستشيطون غضباً في صمت، لكن في كلتا الحالتين، فإن الغضب الذي يشعرون به عند مواجهة المقاومة

دائمًا ما يوجه إلينا مباشرة. أما **المعاقبون للذات** - الذين يحتلون الفئة الثانية - فيحولون التهديدات داخلًا؛ بأن يؤكدوا ما سيفعلونه بأنفسهم إذا لم تنفذ ما يريدونه. **والمعاذون** هم أشخاص يمتلكون موهبة في إلقاء اللوم على الآخرين وإشعارهم بالذنب طوال الوقت، وهم عادة ما يجعلوننا نستببط الشيء الذي يريدونه، ونستنتج دائمًا أننا مسؤولون عن حصولهم على هذا الشيء. **والمغرون** يخضعوننا لسلسلة من الاختبارات ويعدوننا بشيء رائع إذا استجبنا لرغباتهم.

كل نوع من أنواع المبتزين يستخدم مفردات مختلفة، وكل منهم له أسلوب مميز في المطالب والضغط والتهديدات وإصدار الأحكام السلبية التي تؤدي إلى الابتزاز. وقد تجعل هذه الاختلافات من اكتشاف الابتزاز العاطفي أمرًا صعبًا، حتى عندما تعتقد أنك واع بدرجة كافية للتعرف عليه. إذا كنت تعتقد أن جميع الطيور تشبه النسور، فربما تُصدم إذا قال لك أحدهم إن البيجة التي تسبح في البحيرة طائر أيضًا. ويحدث النوع نفسه من الصدمة المعرفية عندما يظهر شكل غير متوقع من أشكال الابتزاز العاطفي في حياتك. ولكن عندما تفهم الأوجه الأربعة للابتزاز، يمكنك رؤية الإشارات التحذيرية في تصرفات الطرف الآخر وتطور نظام تحذير مبكرًا يساعدك على التنبؤ بالابتزاز العاطفي والاستعداد له، بل وحتى منعه من الحدوث.

المعاقب

لقد بدأت هذا الدليل الميداني لرباعية الابتزاز العاطفي بالمبتزين الأكثر وضوحًا - المعاقبين - ليس لأنهم بالضرورة الأوسع انتشارًا؛ بل لأنهم الأكثر وضوحًا. ومن المستحيل ألا تكون مدرِّكًا أنك قد قابلت المعاقبين في حياتك من قبل؛ لأن أية محاولة للمقاومة يدركونها تتسبب في غضبهم على الفور. وربما يعبرون عن ذلك الغضب بشكل عدواني، مع تهديدات مباشرة - وأنا أطلق على هذه المجموعة المعاقبين المباشرين - أو يطلقون العنان لغضب مكبوت، وهي طريقة المعاقبين غير المباشرين. وأيًا كان أسلوبهم،

فإن المعاقبين يريدون علاقات يكون فيها توازن القوة أحادي الجانب: "طريقي أو الطريق السريع". هو شعار المعاقب. ومهما كان ما تشعر به أو تحتاج إليه، فإن المعاقبين سيهيمنون عليك، ويقوضون تأثيرك.

المعاقبون المباشرون

"إن عدت إلى العمل، فسأتركك".
 "إذا لم تتولى إدارة مشروع الأسرة، فسأحرمك من الميراث".
 "إذا حاولت الانفصال عني، فلن ترى أطفالك مرة أخرى".
 "إذا لم تقبل القيام بهذا العمل الإضافي، فانس أمر الحصول على ترقية".

هذه العبارات قوية - ومخيفة، وهي كذلك ذات فاعلية كبيرة؛ إنها تعطينا صورة حادة الملامح لما سوف يحدث إذا لم نستجب لرغبات المعاقبين العدائين؛ فقد يجعلون حياتنا بائسة، أو على الأقل غير سعيدة. إن المعاقبين ربما لا يدركون دائماً التأثير الكامل لكلماتهم أو يلاحظون عدد المرات التي يهددوننا فيها بالفرض والاستهجان، أو يخبرون الآخرين بمدى فظاعتنا أو يجرموننا من شيء مهم. وقد لا ينفذ المعاقبون تسعة عشر تهديداً من كل عشرين تهديداً، وقد يكونون سعداء تماماً بفترات الهدوء بين العواصف، لأنه يمكن لعواقب تهديداتهم أن تكون خطيرة، فنحن نخشى المرة التي يصدق فيها المعاقب المباشر في تهديده.

"ليز" - امرأة نحيفة ذات عينيْن سوداوين وصوت هادئ وخفيض - جاءت لمقابلتي، شأنها شأن نساء كثيرات على مدار الأعوام، تلتمس المساعدة على معرفة إذا كان هناك أي شيء يمكنها فعله لإنقاذ علاقة رومانسية تحولت إلى علاقة زوجية فاترة ومؤذية عاطفياً. كانت قد قابلت "مايكل" في دورة تدريبية لموظفي مبيعات أجهزة الكمبيوتر قبل عدة سنوات بعد التخرج في المدرسة الثانوية، وبينما كانا يعملان على مشروع الفريق، كانت منبهرة بحس السلطة الذي يظهره عندما يتعامل مع الآخرين، وقدرته على الوصول إلى جوهر أية مشكلة. أضف إلى ذلك وسامته.

بدا "مايكل" رائعاً في البداية. فقد كان مهتماً ومسئولاً، ولا يزال هناك الكثير من الأوقات الرائعة. وقد استغرق الأمر مني وقتاً طويلاً لأكتشف مدى هوسه بالسيطرة. ففي غضون عام بعد زواجنا، كنت حاملاً في توأم، وسرعان ما استغرقت في الروتين ومتطلبات الأمومة. وعندما ذهب التوأم إلى المدرسة أخيراً، اعتقدت أنه من الأفضل أن أعود إلى الدراسة. وفي مجالي، عليك إما أن تكون مواكباً لما هو جديد أو تسحب من المجال. لكن "مايكل" يعتقد أن الأمهات اللاتي لديهن أطفال في سن المدرسة يجب أن يلزم من بيوتهن. انتهى الأمر. وكان بها جمني في كل مرة كنت أسأله فيها عن أفكار عما يمكننا فعله بشأن مراكز الرعاية والتعليم النهارية وتكاليقها.

كنت محبطة لدرجة أنني قلت له إنني لا أعرف ما إذا كنت أريد الاستمرار في هذا الزواج. وحينها اتخذت الأمور منحى جنونياً، وقال لي إنني إذا تركته، فإنه سيحصل على كل الأموال وسيأتي بي في الشارع. كان يبدو شخصاً غريباً تماماً. وقال لي: "هل تحبين العيش في منزل رائع؟ هل تحبين أسلوب حياتك؟ إذا فكرت في اللجوء إلى المحاكم للحصول على الطلاق، فستعيشين على الرصيف كامرأة مشردة. وبمجرد أن ينتهي المحامي الخاص بي من أمرك، فلن يدعك ترين أطفالك مرة أخرى؛ ولذا فدعك من هذا الهراء بشأن الطلاق وتحسني من سلوكك". لم أكن أعرف ما إذا كان ذلك مجرد كلام لا يعنيه أم أنه سيبلغ هذا الحد في إيدائي؛ ولذا أخبرت المحامي الخاص بي بأن يوقف كل شيء، وألغيت كل إجراءات الطلاق. والآن أنا أكرهه، ولا أدري ماذا أفعل.

كما اكتشفت "ليز"، لا توجد تربة خصبة للمعاقبين أفضل من المشكلات الزوجية، مثل إنهاء علاقة حب أو الطلاق. وربما يكون أقوى المبتزين هم أشخاص مثل "مايكل"، والذين في أوقات التوتر والألم الشديدين، قد يهددون بأن يجعلوا حياة الطرف المستهدف أكثر يؤساً بأن يمنعوا عنهم موارد مالية أو التواصل مع الأطفال - ويستخدموا أي عقاب آخر يخطر ببالهم.

إن الأشخاص الذين يتعاملون مع المعاقبين عادة ما يكونون بين المطرقة والسندان. إذا قاوموا وتمسكوا بأرائهم، فهناك خطورة بأن ينفذ المعاقب تهديده. وإذا أذعنوا لهم، أو حاولوا كسب بعض الوقت، فسيجدون أنفسهم

يسبحون في مرجل من الغضب: غضب من المبتزين لأنهم وضعوهم في هذا الموقف المجحف والمقيد، ومن أنفسهم لعدم تحليهم بالشجاعة للتصدي لهم.

نحن أطفال

ليس من المستغرب أن الوالدين هم أكثر الأشخاص الذين يتقنون فن تحويل البالغين الأكفاء إلى أطفال. في كثير من الأحيان، يريد الوالدان الاحتفاظ بسيطرتهم علينا بعد وقت طويل من مغادرتنا البيت، ويشعران بأنه من واجبهما أن يساعدنا على اختيار من نتزوج والطريقة التي يجب أن نربي بها أطفالنا والمكان الذي يجب أن نعيش فيه والطريقة التي يجب أن نعيش بها. وقد يمارسان قدرًا كبيرًا من السلطة علينا بسبب ولائنا لهما وكذلك خوفنا الدائم من غضبهما علينا. وقد يلوح هذا الخوف في الأفق عندما يضغط الوالدان علينا، مستخدمين الميراث أو الوعد بإعطائنا أموالاً لتعزيز سلطتهما وامتثالنا لرغباتهما.

عميلي "جوش" - مصمم أثاث يبلغ من العمر ٢٢ عامًا - قد قابل حب حياته وهي سيدة أعمال مضممة بالحماس تسمى "بيث". كان يشعر بسعادة غامرة، ولم تكن هناك سوى مشكلة واحدة: والده "بول".

والذي شخص متدين، وجميع أفراد عائلتنا يتزوجون من داخل الطائفة التي نتمى إليها. وقادني حظي إلى الوقوع في حب فتاة تنتمي لطائفة أخرى قابلتها ونحن نلعب الإسكواش! حاولت أن أتحدث مع أبي في الأمر، لكنه استشاط غضبًا. فقد هددني أنني لو تزوجت "بيث"، فلن يوقع على قرض مشروعى، والذي بنيت عليه كل خططي، وسيستبعدني من وصيته. وأنا أعرف أنه قد يفعل هذا. أنا لا أستطيع أن أحضر "بيث" إلى البيت أو حتى أذكر اسمها، وهذا شيء سخيف. وليس هناك جدوى من التحدث مع أبي في هذا الأمر - لقد حاولت من قبل، لكنه يعلن أن هذا الموضوع لن يطرح للنقاش مرة أخرى ويخرج من الغرفة. إنني أستمر بسؤال نفسي: هل أصبحت سلعة تباع وتشتري؟ ما الثمن الذي تستحقه روحي؟ هل من المفترض أن أتوقف عن رؤية

عائلي، أو من الأفضل أن أستمر في الكذب عليهم وأتظاهر بأن "بيت" لم تعد موجودة في حياتي؟ لقد ضقت ذرعاً بهذا. والأمر يتجاوز المال - فلقد كنت دائماً مقرباً من عائلي، والآن لا أستطيع الذهاب إلى البيت دون أن أكذب عليهم.

إن الآباء الذين ينتمون إلى نوعية المبتزين المعاقبين عادةً ما يخبرون أبناءهم إما هم أو من يحبونهم، مبتكرين موقفاً يُعتبر فيه أي اختيار خيانة. وعادةً ما يتشبه الآباء الذين يتعرضون للابتزاز لوهم أنهم إذا تخلوا عن شريك الحياة "معيب" من أجل استرضاء العائلة هذه المرة، فإنه سيستطيع في المرة القادمة أن يجد شخصاً يجتاز الاختبار. وبالطبع، هذا مجرد وهم؛ لأن الآباء الذين يستخدمون هذا النوع من الابتزاز سيجدون عيباً لا محالة في الشخص التالي، والشخص الذي يليه، وفي أي شخص يمثل تهديداً لسيطرتهم.

لقد تراجع "جوش" إلى الوراء محاولاً أن يسترضي أباه "بول"، لكنه في الوقت نفسه يتمسك بما يريد لنفسه. وأياً كانت الطريقة التي ينظر بها إلى الموقف، فلن يرى سوى اختيارين ينالان من كرامته. قد يستسلم "جوش" إلى أبيه، وهو ليس خياراً مقبولاً - فهو ليست لديه أي نية للتخلي عن "بيت" - أو يتظاهر أنه يساير الوضع ويعيش الكذبة.

وبينما نحن نراوغ لتجنب غضب المعاقبين والطريقة العدائية التي يتلاعبون بنا من خلالها، فربما نجد أنفسنا نقوم بأشياء تدهشنا - مثل الكذب، وإخفاء أسرار، والقيام بأشياء في الخفاء - للحفاظ على وهم طاعتنا لهم. إن التصرف كأننا مراهقون متمردون، وانتهاك معاييرنا الخاصة - يزيد من لوم الذات الذي قد يكون مستشرياً داخلنا بالفعل والنتائج عن فشلنا في التصدي للمبتز.

المعاملة الصامتة

ليس بالضرورة أن يوضح المعاقبون وجهة نظرهم، أو حتى يتحدثوا، لإيصال رسالتهم. إن العبوسين والصامتين الذين يلجأون إلى الغضب الصامت لا يقل تأثيرهم عن المبتزين الذين تعرضنا لهم حتى الآن.

"جيم" - كاتب الأغاني الذي قابلناه في الفصل السابق - كشف عن نفسه كمعاقب صامت بعد وقت قصير من زواجه بـ "هيلين"، ويعد وصفها لأسلوبه في الضغط عليها مثالاً واضحاً على هذا الأسلوب من الابتزاز.

لا أعرف ماذا أفعل مع "جيم". فهو عندما يغضب مني، يظل صامتاً وتصيح المسافة بيني وبينه مليون ميل. أعرف أنه غاضب، لكنه لا يفصح بذلك. في ليلة ما، عدت إلى البيت متأخرة يتتابني صداد شديد. كنت منهكة من محاضراتي، وكان رئيسي في القسم يريد مني إعداد تقرير عن هيئة العاملين في القسم ليقدمه مع ميزانيته. لم أكن قد حصلت على أي قسط من الراحة. أعد "جيم" لي العشاء، وأضاء بعض الشموع، ورحب بي بشكل رائع، وقد تأثرت حقاً بذلك. هو رجل رائع جداً. عندما أراد أن نستلقي على الأريكة لاحقاً، كنت أعرف أنه يريد أن تمارس الحب معاً. وفي الأوقات العادية، سيكون هذا أمراً ممتعاً. ولكن الصداد لا يزال يعصف برأسي، وكنت لا أزال أفكر في مهام لم أنجزها في العمل، ولم أكن مستعدة لعلاقة زوجية. حاولت أن أخبره بأكبر قدر ممكن من اللطف أن هذا ليس وقتاً مناسباً لي، وإذا ما كان يمكننا تأجيل ذلك، لكنه فهم الأمر برمته فهماً خطأً. هولم يصرخ في وجهي، بل ولم يقل حتى كلمة. زم شفتيه، وسدد لي إحدى نظراته الكئيبة تلك، ثم انصرف، ثم قام بعدها بصفع باب الغرفة، وكان صوت الإستريو يدوي من الداخل.

يصب على الجميع تقريباً تحمل هذا الصمت الجاف البارد لهؤلاء المعاقبين، ونحن على استعداد غالباً لبذل الغالي والنفيس لتجنب العيش في هذا الوضع. فنحن نناشدهم بأن يتحدثوا وأن يصرخوا في وجوهنا؛ فأني شيء أفضل من صمتهم. وفي العادة، كلما حاولنا أن ندفع هؤلاء المتجهمين ليخبرونا ما المشكلة، زاد ابتعادهم وصمتهم وخوفهم من مواجهتنا أو مواجهة غضبهم.

لم أكن أعرف ما بيدي لأفعله. شعرتُ بذنب فظيع؛ فقد كان "جيم" رومانسياً للغاية، وأنا كنت باردة للغاية. دخلت إلى الغرفة وحاولت التحدث إليه.

جلس "جيم" ونظر إليّ مباشرة، ثم قال: "لا تتحدثي معي". كان عليّ أن أفعل شيئاً كي أصلحه. فارتديت قميص نوم أبيض ساتان، ثم عدت إلى الغرفة، ووضعت يدي حول رقبته واعتذرت له. وضي النهاية، مارسنا الحب هناك. بدا الأمر رائعاً ولكنه لم يكن ممتعاً بالنسبة لي. كنت لا أزال أشعر بصداغ، وأحسست بتوتر لدرجة أنني أوشكت على الانهيار. كان الأمر مريعاً. لكن أعتقد أنني كنت أتحرق شوقاً لكي يتحدث معي. ولم أعد قادرة على تحمل المعاملة الصامتة أكثر من ذلك.

المعاقبون الصامتون يبنون حائط سد بيننا وبينهم خلف وجه خالٍ من التعبيرات ويتقادون تحمل أية مسئولية عن المشاعر التي نشعر بها تجاههم. ومثل "هيلين"، فنحن نشعر باضطراب عندما يعاقبنا شخص ما بهذه الطريقة. ونحن نشعر بغضبهم يتزايد في صمت، ويمارسون علينا ضغوطاً تصيبنا بالقلق والتوتر، ومعظمنا - مثل "هيلين" - سيستسلم بسرعة إليهم لأن هذه هي أسرع طريقة نعرفها لتحقيق الراحة.

العقاب المزدوج

عندما تكون في علاقة مزدوجة - حبيبك هو رئيسك، أو أعز أصدقائك هو شريكك في العمل - فإن احتمالات العقاب تتزايد زيادة كبيرة، فالمعاقب يمكنه أن ينقل أي توتر من علاقة لأخرى، وهو عادة ما يفعل ذلك. عميلتي "شيرى" تبلغ من العمر ٢٨ عاماً وهي شابة جميلة طموحة. كانت "شيرى" منفعلة للغاية عندما جاءت لزيارتي أول مرة؛ حيث كانت تحاول إنهاء علاقة رومانسية مع الرجل الذي تعمل لديه. قررت "شيرى" أن تعمل سكرتيرة لتحصل على نظرة متعمقة في مجال صناعة الأفلام، وسرعان ما أصبحت مساعدة لرئيس قسم المؤثرات الخاصة، وهو صانع أفلام متقلب المزاج يبلغ من العمر ٥٢ عاماً يدعى "تشارلز". "تشارلز" - مثل "شيرى" - تعلم في إحدى الجامعات المرموقة في الولايات المتحدة، وكلاهما يحب الأفلام الصامتة الغامضة والفن الحديث. انجذبت "شيرى" على الفور إلى هذا الرجل الذي اعتقدت أنه سياتخذ العلاقة بينهما على محمل الجد. كانت

أحاديثهما مفعمة بالحماس، ونظرًا لطبيعة منصبه، فإنه كان على دراية بأدق التفاصيل في مجاله وفي عقد الصفقات. وقد كان يهين نفسه منذ شهور لتولي منصب مدير العمليات، وهو المنصب الذي ستمكن "شيرى" من خلاله من المشاركة في الاجتماعات مع عملاء وتساعد في تحديد شكل العمل. أصدقاء "شيرى" حذروها من تكوين علاقة مع رئيسها، وخاصة أنه متزوج، لكن "تشارلز" كان يروها أكثر من أي رجل في عمرها، وعلى الرغم من أنها لم تكن منجذبة إليه في البداية، فإن الساعات الطويلة والعمل المكثف الذي قاما به معًا جعلهما مقربين من بعضهما. وقد بلغ الانجذاب بينهما ذروته مما مهد الطريق لعلاقة رومانسية للغاية.

أعرف أن القاعدة رقم واحد هي ألا تدخل في علاقة رومانسية مع رئيسك أبدًا. لكن "تشارلز" رجل رائع؛ فلم يؤثر رجل في قط مثلما فعل "تشارلز". كنت أحب طريقة تفكيره، وأيضًا سعة معرفته. تعلمت منه أشياء كثيرة، وشعرت كأنني نلت جائزة تلميذته النجبية. أنا أعرف أن لدينا الرؤية ذاتها للشركة. وهولا يستطيع أن يتحدث مع زوجته في العمل - فهي مدمنة كحول وتعيش في عالمها الخاص. حتى قبل أن تنشأ بيننا علاقة رومانسية، كان يقول إنه بمجرد أن تستعيد زوجته توازنها، فإنه سيعتركها. وهذا ما شجعني على العلاقة.

كانت العلاقة الرومانسية متأججة والعمل مجزيًا. لكن عامين قد مرًا، ولم ينفصل "تشارلز" عن زوجته. وبمرور الوقت، رأيت "شيرى" أن نهاية هذا الزواج لا تلوح في الأفق.

وبعد عامين من الوعود التي لم يتم الوفاء بها، أدركت "شيرى" في النهاية أن "تشارلز" راض تمامًا بأن يكون له زوجة وصديقة، وأنا لا أحب أن أرى نفسي في ذلك الدور. أريد أن تكون لدي أسرة حقيقية في يوم ما. كنا نتناول العشاء، وبدأ "تشارلز" في الحديث عن إجازة باريس التي يخطط أن يقضيها مع زوجته وابنته. كان يعرف أنني أحب باريس كثيرًا، وكلم تحدثنا عن الزواج هناك، وأدركت حينئذ أنني كنت أعيش في وهم. كنت محطمة وأنا أحاول

التعامل مع ذلك الإدراك، وفي النهاية أخبرت "تشارلز" بأنني أريد إعادة علاقتنا إلى ما كانت عليه؛ علاقة عمل فقط. سيكون الأمر محزنًا، لكن علينا سيكون قادرًا على عيش حياة حقيقية.

ونظرًا لأنني اعتدت كرم "تشارلز" ولطفه معي، فقد صدمني رده غير المتوقع. فقال إنني لو أنهيت علاقتي العاطفية به، فسأخسر وظيفتي. أنا لأعرف إذا كان بإمكانني التعامل مع الانفصال والبطالة في الوقت نفسه. لقد اقتربت في النهاية من الوظيفة التي أحبها، وأنا خائفة من أن يصنع "تشارلز" الباب في وجهي. لكن البقاء معه سيجعل مني امرأة سيئة السمعة. أنا لا أستطيع النظر لنفسني في المرأة وهذه الفكرة تراودني. أنا لا أصدق أنني أفكر في ذلك.

كان "تشارلز" يواجه فقدان علاقة عاطفية جعلته يشعر على الأرجح بأنه شاب مغمم بالحيوية، وعندما رأى أنه ربما يفقد تلك العلاقة، استمات عليها ولجأ إلى التهديد أملًا في الحفاظ عليها. كان رده صادمًا لـ "شيرى"، لكن في أوج الانفعال عند إنهاء علاقات غرامية، كان الأمر عاديًا جدًا.

كانت "شيرى" تواجه شيئًا يضطر الناس للتعامل معه لسنوات، وبالأخص النساء. فمن الأمور المحفوفة بالمخاطر دائمًا أن تدخل في علاقة عاطفية مع شخص آخر في منصب له سلطة عليك. إن حدث تصدع في العلاقة، فقد تكتشف - مثلما حدث لـ "شيرى" - أن التوتر وخيبة الأمل قد تسببا في أن يصدر رد عقابي من الشخص الذي كان جزءًا لا يتجزأ من نسيج حياتك. لكن كما سنرى لاحقًا، فإن "شيرى" لم تكن محاصرة بهذين الاختيارين كما كانت تعتقد. كانت هناك خيارات أخرى متاحة لها، وهذا ما سوف نستكشفه في هذا الكتاب.

النقاط التي يغفلونها - والنقاط التي نغفلها

كلما كانت العلاقة وثيقة أكثر، زادت المخاطر - وزاد ضعفنا أمام المعاقبين. نحن لا نريد أن نبتعد عن الأشخاص الذي نهتم جدًا بأمرهم والذين تربطنا بهم علاقات امتدت فترات طويلة أو امتدت طوال حياتنا

أو - مثلما في حالة "شيري" - أشخاص نعتمد عليهم في مصادر رزقنا. ونحن عادة ما نحاول جاهدين أن نتجنب التصدي لهؤلاء الأشخاص. ومن ثم، نترك أنفسنا لتصديق من يعاقبوننا والتخلي عن رؤيتنا الثاقبة لأفعالهم. فـ"جوش" مثلاً لم يستطع رؤية أنه عندما أصر والده على معرفة مصلحته، فإن مطالبه كانت أنانية تماماً ولم تراع مشاعر "جوش". مطالب المعاقبين نادراً ما تراعي مشاعر الطرف الآخر.

وعندما تتصاعد وتيرة الابتزاز، فإن العواقب التي يهدد بها المعاقب إذا لم تمتثل له قد تكون مرعبة: الهجر أو القطيعة العاطفية أو الامتناع عن الإمداد بالمال أو بأية موارد أخرى. أو ينفجرون في نوبة عارمة من الغضب الموجه إلينا. وفي الحالات الأكثر فتاعة، تكون هناك تهديدات بالتسبب في ضرر جسدي. والتهديدات الأكثر شراسة تتحول بالطبع إلى إيذاء عاطفي بينما تتصاعد إلى رهبة؛ وبالتالي يتحكم طرف واحد في العلاقة تحكماً كاملاً.

ومن الواضح أنه في خضم الابتزاز العاطفي، فإن المبتزين - الذين يعميهم اهتمامهم الشديد بتلبية احتياجاتهم - يبدون غافلين عن مشاعرنا وغير مدركين تماماً لتصرفاتهم. وهم يؤمنون إيماناً راسخاً بصحة ما يفعلونه، وصواب ما يريدونه. إن مواجهة المعاقبين تتطلب طاقة داخلية هائلة، لكنها ممكنة. ومع الاستعانة بالأدوات والإرشادات، فإن جميع الأشخاص المستهدفين من قبل المعاقبين والذين قابلناهم استطاعوا استعادة الثقة داخلهم واستطاعوا في النهاية أن يقولوا - ويبرهنوا - إنهم لن يتم استغلالهم بعد الآن.

المعاقب الذاتي

نحن جميعاً شاهدنا هذا الذعر على الأطفال ذوي الستة أعوام الذين يندرون بالدخول في نوبة غضب بأن يصبحوا قائلين: "إذا لم تتركوني أسهر وأشاهد التليفزيون، فسوف أحبس أنفاسي حتى أموت!" المعاقبون الذاتيون البالغون هم أكثر تعقيداً، ولكن المبدأ واحد؛ فهم يخبروننا بأننا إذا لم نفعل ما يريدون منا أن نفعله، فستصيبهم أزمة صحية وربما يفقدون القدرة على

العمل. وربما يهددون بفعل شيء ليدمروا به حياتهم، أو حتى يأذوا أنفسهم؛ لأنهم يعرفون أن أنجح طريقة يمكنهم بها التلاعب بنا هو أن يهددوا بتدمير صحتهم أو سعادتهم. "لا تجادلني وإلا فسأمرض أو أكتب". "اجعلني سعيداً وإلا فسأترك وظيفتي". "إذا لم تفعل كذا، فسأتوقف عن الأكل أو عن النوم أو عن الشرب أو عن تناول الدواء. وسأدمر حياتي". "إذا تركتني، فسأقتل نفسي" هذه هي تهديدات المعاقب الذاتي.

"ألن" - رجل الأعمال الذي قابلناه في الفصل الأول - بدأ يدرك تدريجياً أن زوجته الجديدة "جو" كانت تبتزّه من خلال وصف ما سيحل بها إذا لم يوافق على طلباتها. وبمرور الوقت، بدأ يشعر بأن طلباتها المتواصلة المتعلقة بوقته وعدم موافقتها على أن يقوم بأنشطة مستقلة بدونها تشكل قمماً متزايداً له.

أنا لست متأكداً ما إذا كنت مستعداً لاتخاذ إجراء قاس، لكن لا يبدو أن هناك شيئاً يجدي نفعا معها، فلقد حاولت التحدث معها عن حقيقة أن الأمور بيننا تسير على نحو خطأ، لكنها كانت ترفض الحديث معي في هذا الأمر. بل تلتزم الصمت، وأحياناً أرى عينيها وقد اغرورقتا بالدموع. ثم تدخل غرفة النوم وتقف الباب، فأتوسل إليها لتخرج، وفي النهاية تبدأ في الكلام - أو بالأحرى تبدأ في تشغيل ماكينة اللوم.

في آخر مرة، كل ما أردت فعله هو أن أزور أختي في ولاية أوريجون. فجعلت "جو" الأمر يبدو كأنني سأغادر الكوكب إلى مكان مجهول بلا عنوان. فقالت لي: "أنت تعرف أنني لا أنام عندما لا تتواجد معي ولن أكون قادرة على العمل. أنا أحتاج إليك لتكون معي. وأنا أمر حالياً بوقت عصيب، وأعتمد عليك لمساعدتي على الاستعداد لموسم المبيعات الكبير. إذا لم تكن موجوداً لتساعدني على تنظيم عملي، فسينهار كل شيء. أنا لا أستطيع القيام بكل شيء أريد القيام به وأنا أشعر بهذا الكم من الضغوط. ألا يهيك أنني أحتاج إليك؟ هل ذلك هو ما تريده؛ أن تنهار حياتي بالكامل كي تستطيع أن تقضي مع أختك أسبوعاً؟".

قلت لها: "يا إلهي! إنها ليست نهاية العالم. أنا فقط أريد قضاء بعض الوقت مع أختي". لكن ما كان يجول في خاطرها أنني سأهجرها. ألغيت الرحلة. أنا أتظاهر بأنني لم أكن أريد الذهاب أصلاً. فربما الأمر ليس بهذا السوء. ومنذ أن قلت لها إنني سأظل معها في البيت وهي تتعامل معي بعدوثة وحنان لدرجة أنني أحسست بأنني أعيش شهر عسل آخر. لكن أحياناً ما أشعر كأنني لا أستطيع التنفس.

ميلودراما وهستيريا وجو من الأزمات (أنت طبعاً ما تسبب فيها) هي أشياء تحيط المعاقين الذاتيين، الذين عادة ما يكونون أشخاصاً يحتاجون إلى العناية والاهتمام بشكل مفرط. وهم يميلون إلى التعلق الشديد بمن حولهم، وعادة ما يواجهون صعوبة حقيقية في تحمل مسئولية إدارة شؤونهم. وإذا لجأوا إلى الابتزاز، فإنهم يبررون مطالبهم بأن يصفوا كل صعوبة - حقيقية أو متخيلة - هي خطؤك. وهم في الواقع يمتلكون موهبة رائعة في جعلنا نشعر بالمسئولية عما يحدث لهم. وبينما يحول المعاقون الأشخاص المستهدفين إلى أطفال، فإن المعاقين الذاتيين يسندون إلى الأشخاص المستهدفين دور البالغين - البالغ الوحيد في العلاقة. نحن من يفترض بنا أن نهرع إليهم عندما يكونون، ونرضيهم عندما ينزعجون، ونكتشف المشكلة التي تضايقهم ونعالجها. نحن الأشخاص المعنفون بإنقاذهم من أنفسهم، وتخليصهم من عجزهم، وحماية كياناتهم الهش.

أنت ستفسد شغائني

من المكالمات التي ألقاها كثيراً في برنامجي الإذاعي مكالمات من آباء في منتصف العمر في حاجة ماسة لمعرفة كيف يتعاملون مع ابن بالغ يتعاطى المخدرات، ويرفض العمل أو الذهاب إلى المدرسة، ويستنزف موارد العائلة. وكلما حاول الوالدان تغيير الموقف، تأتي التهديدات حادة وسريعة. "حسناً، سأترك البيت، وأنا متأكدة أنكما ستستمتعان برؤيتي وأنا أعيش في الشارع. أنتما لم تحباني يوماً". "سأصبح امرأة سيئة السمعة وأنتما ستفرحان بذلك". فيوافق الوالدان المذعوران على استمرار الوضع الحالي حتى لو كان مدمراً للجميع.

عميلتي "كارين" - ممرضة متقاعدة في أواخر الخمسينات من عمرها - تعمل جاهدة لتحسين العلاقة بينها وبين ابنتها "ميلاني". ومن أجل مساعدة "ميلاني" على التغلب على إدمانها للمخدرات، ألحقتها "كارين" ببرنامج إعادة تأهيل مكلف، وسعت للحصول على الاستشارة لنفسها والتحقت كذلك ببرنامج الأنون (AI-Anon) المختص بمساعدة عائلات وأصدقاء المدمنين، وشجعت "ميلاني" على الدخول في برنامج تدريبي في المستشفى الذي كانت تعمل به. لم تتوقع "كارين" أن تشكرها "ميلاني" على ذلك، لكنها لم تتوقع أيضاً أن تلجأ "ميلاني" إلى ابتزازها.

"ميلاني" ابنة رائعة، وأنا فخورة بما تفعله لتغيير مسار حياتها. لكننا نتشاجر طوال الوقت بسبب الأموال. عندما تزوجت من "بيتي"، كانا يريدان شراء منزل، وطلبنا مني أن أقرضهما مالاً لدفع المقدم. أنت تعرفين كيف يبدو معاش الممرضة. أنا أتمنى أن أساعدهما لكنني ليس لديّ مدخرات لأسحب منها إلا إذا أخذت من حساب تقاعدي، وكنت خائفة من فعل ذلك. فهو كل ما تبقى لديّ لأعيش عليه في المستقبل. لكن الرسالة من "ميلاني" كان مفادها لماذا أحظى أنا بالمال وتستغنى هي عنه؟ هي مصممة على أن تشتري هذا المنزل.

أنا قلقة لأنني أعتقد أن تعافيتها من الإدمان لا يزال هشاً، وهي ليست بالقوة الكافية بعد. والأمر يبدو كأنها تقول لي إذا لم تكوني حذرة في التعامل معي، فسأعود إلى الإدمان على المخدرات والكحول. والتهديد هو: إذا لم تعامليني بالطريقة التي أريد أن تعامليني بها، سأبدأ في شرب الكحوليات مرة أخرى. ليس أمامي اختيار آخر - عليّ أن أساعدهما مادياً لشراء ذلك البيت.

إن عبارة "كارين": "ليس أمامي اختيار آخر" كثيراً ما أسمعها ممن يكونون مستهدفين من قبل المبتزين، وهي تعكس الإحساس بالإجفاف الذي يشعر به هؤلاء المستهدفون. كان أمام "كارين" اختيارات أخرى بالفعل، لكن الأمر كان سيتطلب بعض العمل من "كارين" لرؤية هذه الاختيارات واستخدامها. كان تهديد "ميلاني" بالعودة إلى الإدمان قد مس وترّاً حساساً

لدى أمها. وكما أوضحت لـ "كارين"، فقد كان هذا تكتيكاً قوياً لا يتماشى إطلاقاً مع وصفها لـ "ميلاني" بأنها ضعيفة، وهي الصفة التي يستخدمها المعاقبون الذاتيون لخداع الآخرين.

ذروة العقاب الذاتي

إن أقصى صورة للتهديد التي يوجهها المعاقبون الذاتيون يمكن أن تكون مخيفة للغاية: وهي التهديد بأن يقتلوا أنفسهم. وهذا التهديد - الذي يجب ألا يُستخف به مطلقاً - قد يستخدمه المعاقب الذاتي بشكل معتاد تقريباً إذا وجد أنه يؤدي ثماره. ويكمن خوفنا العميق في أنه بعد سنوات من التهديدات الزائفة، نصل البيت في يوم ما ونجد فريقاً من المسعفين يلتفون حولهم.

"إيف" فنانة شابة جذابة متزوجة من "إليوت"، وهو رسام بارز في الأربعينات من العمر. كانت علاقتهما قوية في بدايتها، لكن عندما تزوجا، ما كان يبدو أنه حب شديد الرومانسية تحول إلى شيء خائق. كانت ترى تقلبات حالته المزاجية أيام الخطوبة، لكنها كانت دائماً تعتقد أن السبب فيما هو عليه "مزاجه الفني الحساس"، وكانت غير مستعدة على الإطلاق للتعامل مع حالات اكتئابه المتكررة، ومع ما بدا كأنه إدمان محتمل للحبوب المنومة. كانت المسافة تتسع بينهما بشكل متزايد؛ توقفت العلاقة الزوجية بينهما تماماً. تعمل "إيف" مساعدة لـ "إليوت" وهي تدعّمه مالياً، لكنه يحبط كل محاولة تقوم بها لدعم مسارها المهني؛ بل إنه يصر حتى على حتمية عرض أعماله عندما تعرض هي أعمالها.

أخيراً أدركت أنه عليّ أن أغادر لأبني الحياة التي أريدها لنفسني، لكن في كل مرة أتخذ خطوة لتحقيق ذلك، يهددني "إليوت" بأن يتناول جرعة زائدة من الحبوب المنومة. كدت أضحك في المرة الأولى. قلت إنني أريد أخذ ورشة عمل في الرسم، فقال: "قد أموت إذا فعلت ذلك". هو يبرع في التصرف بدرامية لدرجة أنني اعتقدت أنه يغيظني. لكنه يستمر في قول أشياء على غرار: "لا يمكنني أن أنجح من دونك"، "إذا تركتني، فلا يمكنني أن أعدك أنني سأستطيع مواصلة الحياة وحدي" - الأمر لم يعد مزاحاً - إنه مرعب.

أنا أشعر بهذا الحب وتعاطف مع معاناته، لكنني أشعر في الوقت ذاته بغضب. لماذا يضعني في موقف مثل هذا؟ كل ما أردته هو أن ألتحق بدورة تدريبية.

يُعد هذا شكلاً نمطياً من أشكال الابتزاز حيث تلعب تهديدات "إليوت" على إحساس "إيف" القوي بالمسئولية. قالت إيف: "لقد كان طيباً معي. ولم أستطع التحلي بالقوة الكافية لأتركه. إذا فعل أي شيء بنفسه، فلن أسامح نفسي أبداً"، ثم أضافت باقتناع تام "بل سيقنتني الشعور بالذنب". معظم المعاقبين الذاتيين لا يصلون بتهديداتهم إلى الدرجة التي وصل إليها "إليوت"، على الرغم من أن العقاب الذاتي من الممكن أن يتصاعد إلى هذا المستوى. وكما أكدت لـ "إيف"، فإن البقاء مع شخص ما ليس ضماناً بأنك تستطيعين إنقاذه. وفي النهاية، قرار تدمير الذات يعود إليه، وليس إليك. يمكنك بالتأكيد أن توجه شخصاً لديه ميول انتحارية للحصول على الدعم والموارد. ولكنك إذا مكثت معه لمجرد أنك تشعر بأنه من واجبك حمايته من نفسه، فإنك ستكون شبه واثق باستخدامه لهذا الشكل المفزع من الابتزاز العاطفي كلما أراد أن يحكم قبضته عليك.

المُعانون

صورة الشخص المعاني مترسخة في ثقافتنا في سيناريو مألوف: امرأة تجلس متجهمة في شقة ضوؤها خافت، وتنتظر اتصال أحد أبنائها. وعندما يرن الهاتف في النهاية تقول: "كيف حالي؟ أنت تسألني عن حالي؟ أنت لا تتصل بي ولا تزورني. لقد نسيت أمك. ربما من الأفضل أن أحشر رأسي في القرن من أجلكم جميعاً يا من تهتمون بأمرى".

المعانون يتخذون موقفاً فحواً أنهم إذا شعروا بالبؤس أو المرض أو عدم السعادة، أو كان حظهم سيئاً، فهناك حل واحد فقط: أن نعطيهم ما يريدون - حتى لو لم يخبرونا بما يريدونه. هم لا يهددوننا أو يهددون أنفسهم بالحق الأذى. لكنهم يخبروننا بشكل واضح أنه: إذا لم تفعل ما أريده، فسأقع في معاناة، وسيكون هذا خطأك. هذا الجزء الأخير من الاتهام "سيكون هذا

خطأك" عادة ما يكون ضمنياً لكن - كما سنرى - سيكون له مفعول السحر على ضمير الشخص الذي يستهدفه المعاني.

أداء يستحق الجائزة

المعانون منهمكون في فظاعة ما يشعرون به، وعادة ما يفسرون عدم قدرتك على قراءة ذهنهم على أنه دليل على أنك لا تهتم بأمرهم. إذا كنت فعلاً تحبهم، فستكون قادراً على معرفة ما يضايقهم دون أن ينطقوا بكلمة واحدة، فهم ماهرون في لعبة: "خمن ماذا فعلت بي".

يبعد الكثير من المعانين وهم في حالة من الاكتئاب والصمت وغالباً تملأ الدموع عيونهم، لكنهم لا يخبروننا بالسبب. هم يخبروننا ما يريدونه وقتما يشاءون، بعد أن يتركونا في حيرة لساعات، أو حتى أسابيع، في تلهف أو قلق. عميلتي "باتي" - موظفة حكومية تبلغ من العمر ٤٣ عاماً - أخبرتني بأنها كلما اختلفت مع زوجها "جو"، كان يذهب إلى سريره بطريقة درامية.

هو نادراً ما يخرج من الغرفة ويخبرني ما يريده، وفي الأوقات النادرة التي يفعل فيها ذلك، إذا اختلفت معه على أي شيء، يصبح حزينا أو مكتئباً ويغادر المنزل ليتمشى. هو صاحب العينين الأكثر حزناً في العالم. نحن اعتدنا أن نخوض في هذه الخلافات غير الحقيقية عندما كانت أمه تريد أن تأتي لزيارتنا - عادة في وقت غير ملائم على الإطلاق. كنت أتوقف عن معارضته لأنني كنت أشعر بذنب كبير حين أرى "جو" وهو يبدو حزينا للغاية.

هذا ما يحدث في العادة. يتهدد "جو" بشكل مبالغ فيه، وعندما أسأله ما الخطب، ينظر إليّ متأمناً ويقول: "لا شيء". حينئذ يكون عليّ أن أكتشف ما الجريمة التي ارتكبتها هذه المرة. فأجلس على السرير وأخبره بأنني أسفة إذا كنت قد قمت بشيء أفضبه، لكن ألا يمكنه أن يخبرني على الأقل ما هو هذا الشيء؟ وبعد ساعة أو نحو ذلك، أحصل على رد بخصوص ما فعلته. وذات مرة، قلت له إنني لا أعتقد أننا قادران على تحمل تكلفة شراء الكمبيوتر الجديد الذي أراداه كيف أصبحت بهذا البخل والتبذير في المشاعر؟ وبالطبع أخبرته أن يذهب ويشتريه - يا للمفاجأة! ابتهج "جو" في الحال.

لم يكن "جو" سيشعر بارتياح وهو جالس يتحدث عن الكمبيوتر مع "باتي"، ولذا فقد سعى لتحقيق مراده بطريقة أخرى - فقد استخدم كل الأساليب المسرحية التي استطاع القيام بها لينقل لها الرسالة التي مفادها أنها قد جعلته حزينا ويشعر بالإعياء وسببت له صدامًا. لقد دمره الاكتئاب بسبب "إساءة" "باتي" له. المعانين ينظرون إلى المرأة ويرون ضحية، ونادراً ما يتحملون مسئولية تقيية الأجواء أو يطلبون ما يريدون بطريقة مباشرة. قد يبدو المعانين ضعفاء ظاهرياً، لكنهم في الحقيقة طغاة من نوع هادئ. فهم ربما لا يصرخون ولا يحدثون ضجة، لكن سلوكهم يجرحنا ويجيرنا ويفضينا.

ضحية الظروف

ليست كل أشكال المعاناة صامتة. فبعض المعانين يروقه أن يطلعونا على تفاصيل ما يمررون به من محن - ومثل نظرائهم من المعانين الصامتين - يتوقعون منا أن نقوم بتحسين الوضع. إذا لم يحققوا نجاحاً، فذلك لأننا لا نعطيهم شيئاً أساسياً لتحقيق سعادتهم. عميلتي "زوي" تبلغ من العمر ٥٧ عاماً، وهي محاسبة تنفيذية ماهرة وواثقة بنفسها تعمل في وكالة إعلانية كبيرة، وقد زارتي بسبب مشكلات تواجهها مع زميلة لها في العمل.

"تيس" هي أصغر شخص في طاقم العاملين، وهي تنسى أن الأمر قد استغرق منا سنوات من القيام بمهام متدنية والعمل الدؤوب لنصل إلى ما نحن عليه الآن. هي تعتقد أنه يتحتم عليها أن تجلس على مكتبها - وهي تقل خبرة عن معظمنا بخمسة عشر عاماً تقريباً - وتتولى القيام بالمهام الكبيرة. لقد حاولت أن أشرح هذا لها، لكن الفتاة غير صبور على الإطلاق. ثم بدأت في الوقوع في مشكلات مع رئيسنا وانتابها ذعر من أن تفقد وظيفتها. كانت في كل يوم تأتي إلى مكنتسي وهي تلهث تقريباً، وتقرأ علي قائمة من الأشياء التي سأرت على نحو خطأ: "دليل" - أحد الشركاء - يكره نمط شخصيتها. لم تستطع أن تقنع عميلاً مهماً بإتمام صفقة وهي تعتقد أنه يتجنبها. الكمبيوتر

الذي تعمل عليه به عطل. يا إلهي! تلك الشكاوى التي كنا نستخدمها في المدرسة: الكلب أكل واجبي المدرسي. كانت أحياناً ترى الأمر مضحكاً، لكن الشعور بعدم الأمان كان يلازمها باستمرار.

هي تقول إنها مكتئبة لدرجة أنها بالكاد تنهض من السرير في الصباح، وإنها بدأت في التدخين بشراهة، وإن وزنها يتناقص... لقد حاولت أن أطمئنها، واعتقدت أنني أنجح في ذلك، لكن الأمور أخذت منعطفاً جعلني غير مرتاحة على الإطلاق، فقد بدأت "تيس" في الضغط عليّ لأضمها إلى فريقتي للعمل على مشروع جديد وكبير. وقالت لي: "سيتم طردني إذا لم توافقني. دليل يكرهني، لكنه يثق بك، وإذا ساعدتني لكي يرضى عني، أعرف أن ذلك سيغير كل شيء." كانت تقول لي كل يوم: "سيتم طردني إذا لم تسدي لي هذا المعروف الصغير. أنا أشعر بقلق وعذاب كبيرين. وعليك أن تساعدني".

في الحقيقة أنا لا أعتقد أنها تمتلك المهارات الكافية بعد لتجارينا في الجهد الذي نبذله، لكنني أشركتها في المشروع على أية حال لأن الأمر سيبدو أنانية مني ألا أفعل ذلك. لقد نالت مني بحق - فلقد اقتنعتُ بفكرتها أنني الوحيدة التي تستطيع إنقاذها من اكتئاب كبير، وبأن المشكلات التي تواجهها في عملها ليست لها أية علاقة بسلوكلها على الإطلاق. والآن أشعر بقلق لأنني مضطرة إلى الضغط بقوة على الجميع لأننا في الأساس ينقصنا فرد - فـ"تيس" لا تؤدي دورها بفاعلية. كنت أشعر كأنني مرشدة لها عندما أخبرتها بأنها أصبحت عضواً في فريقتي. لكنني لم أعد أشعر بذلك، بل أشعر أنني مُسْتَفَلَّة. لن تصدقني هذا، لكنها تريدني أن أسند لها مزيداً من المسؤوليات، حتى وهي تعاني مسؤولياتها الحالية. أريد مساعدتها - فأنا أرى فيها نفسي وأنا شابة في نواح عديدة - لكن الأمور تخرج عن نطاق السيطرة وستضرر سمعتي إذا لم أضع نهاية لهذا.

المعانون مثل "تيس" يخبروننا كيف أن الظروف قد احتشدت ضدهم، وأن الأقدار قد تأمرت لتحبطهم. وربما تكون أغنيتهم المفضلة إحدى أغاني موسيقى البلوز القديمة التي تقول "لولا سوء الحظ، لما كان لديّ حظ على

الإطلاق". كل ما يحتاجون إليه هي فرصة صغيرة لتغيير مسار الأمور. وهم عادة ما يمتلكون سحرًا معينًا يوحى بالاستضعاف ربما يكون جذابًا. وبالطبع، يخبرنا هؤلاء المعانون بأنهم إذا لم يحصلوا على فرصة - بمعنى إذا لم نعطيهم هذه الفرصة - فسوف يفشلون. وذلك الفشل - الذي قد يستحضره بتفاصيله الموجهة - نحن المسئولون عنه. وهم بشكل فعّال ينشطون غريزة المنقذ الراعي بداخلنا. المشكلة تكمن في أننا إذا أعطيناهم هذه "الفرصة الوحيدة" التي يريدونها، فسيعودون إلينا بالتأكيد طلبًا لمزيد من الفرص. إن الاهتمام بأحد المعانين يُعد وظيفة بدوام كامل، وليس مجرد تدير مؤقت.

المغرون

المغرون هم المبتزون الأكثر براعة، فهم يشجعوننا ويعدوننا بالحب أو النقود أو التقدم الوظيفي - على طريقة العصا والجزرة، ثم يعلنونها صريحة أننا إذا لم نتصرف بالطريقة التي يريدونها، فلن نحصل على المكافأة. المكافآت تبدو دسمة ومغرية، لكنها تتحول إلى سراب عندما نقرب منها. إن رغبتنا في الحصول على ما وعدونا به قد تكون قوية لدرجة أننا نتحمل مواجهات عديدة مع مكافآت منسية غير محققة قبل أن ندرك أننا نتعرض لابتزاز عاطفي. بعد ظهر أحد الأيام، كنت جالسة على الغداء مع صديقتي "جولي" التي أخبرتني بخلافها مع أحد المغرين - وهو رجل كانت "جولي" تشعر بحماس تجاه علاقتها به - في آخر مرة تقابلنا فيها. وكان "أليكس"، رجل أعمال ثريًا مطلقًا مرتين، قد تعرف على "جولي"، كاتبة سيناريو طموحة، منذ سبعة شهور. عندما تقابلا، كانت "جولي" تقوم ببعض الأعمال التأليفية الصغيرة الحرة من منزلها، وتعمل على كتابة السيناريوهات ليلاً. قال "أليكس" لـ "جولي" في بداية علاقتهما: "السيناريوهات التي تكتبينها ممتازة"، وتقول "جولي" إنه دائمًا ما يشجعها.

قال "أليكس" إن لديه صديقتين منتجيتين يبحثان عن - كيف قالها؟ - عمل ذكي، مثل عملي بالضبط. كان من المفترض أن تكون هناك حفلة في إحدى

العطلات الأسبوعية وقال إنه سيقدمني لهما. كنت أعمل بكدي؛ فهذه فرصة عظيمة بالنسبة لي. ثم ألقى لي بطعم؛ فقال لي "لكن لا توجهي دعوة إلى أي من أصدقائك المتحررين؛ فأنا أعتقد أنهم يقضون عقبة في طريقك".

عندما رفضت "جولي" ذلك، لم يتم عقد لقاءات مع أصدقاء "أليكس" أصحاب النفوذ، لكن كانت هناك وعود أكثر بريقاً. فقد أعطاهم "أليكس" هدايا ثمينة - مثل كمبيوتر جديد يساعدها بشكل أفضل في الكتابة، ودفع تكاليف الرعاية النهارية لابنها "تريפור" البالغ من العمر سبعة أعوام؛ لكن كل هدية جاءت مصحوبة بحاجز جديد عليها أن تتخطاه. كان "أليكس" يفتح لها المزيد من الأبواب إذا ساعدته على ترتيب مناسبات اجتماعية في منزله. فكانت بالتأكيد تتوقف عن الكتابة ليلاً كي تكون معه - كان ذلك في مصلحتها. حاولت "جولي" مجارة الوضع لتعلقها بـ "أليكس" ولطموحها الشديد الذي يجعلها تتوق لما يقدمه لها، ثم جاء ما يمكن اعتباره بأنه النقطة الفاصلة.

قال "أليكس" إنه كان يفكر في كيف ستتحسن الأمور إذا ذهب "تريפור" للعيش مع أبيه لبعض الوقت. حيث سيتاح لي المزيد من الوقت لأعمل، وأستطيع التركيز على حياتي المهنية. قال "أليكس": "سيكون ذلك مؤقتاً"، ثم قال شيئاً مفاده إنني يجب ألا أكون متشغلة بمهام الأمومة وأنا على وشك القيام بعمل كبير.

أيقظ ذلك "جولي" من غفلتها، وبعد ذلك بوقت قصير، قطعت علاقتها مع "أليكس". لقد كان من المستحيل بالنسبة لها ألا ترى حقيقة العلاقة - سلسلة لا تنتهي من الاختبارات والمطالب. يعد "أليكس" مغرباً تقليدياً؛ فهو مليء بالهدايا والوعود، جميعها مصحوبة بشروط تتحكم في سلوك "جولي": "سأساعدك إذا..." "سأمهد الطريق أمام حياتك المهنية إذا..." وفي النهاية أدركت "جولي" أن الاختبارات لن تنتهي أبداً. ففي كل مرة كانت تقترب من الجزرة، كان "أليكس" يسحب الجزرة بعيداً؛ فالمغرون لا يقدمون شيئاً من قبيل الإحسان؛ حيث إن كل عرض محاط بالمغريات يحمل في ثناياه قيوداً.

ثمن القبول

أحياناً يكون ما يقدمه المغرون ليس شيئاً ملموساً مثل المكافآت المادية التي كان "أليكس" يقدح "جولي" بها! فالعديد من المغرين يتاجرون بمكافآت عاطفية وقصور من الرمال مليئة بالحب والقبول والتقارب العائلي وشفاء الجروح. والدخول إلى هذا الخيال الخصب المثالي لا يتطلب سوى شيء واحد: الاستسلام لما يريد المغري.

عميلتي "جان" هي سيدة أعمال جذابة في الخمسينات من عمرها، مطلقة منذ ثماني سنوات، ولديها ابنان بالغان. قامت "جان" بتأسيس شركة مجوهرات ناجحة وهي الآن تستمتع بثمار عملها الدؤوب وإبداعها. لكن علاقتها بأختها تمثل لها مصدراً كبيراً للألم.

أنا وأختي "كارول" بيننا علاقة متقلبة منذ الطفولة. فقد أسهم والدانا في إذكاء المنافسة بيننا، وكانا دائماً يلعبان لعبة التفضيلات. فكنتُ أنا الابنة المفضلة لأمي، وكانت أختي الابنة المفضلة لأبي. لكن أبي هو من كان لديه النقود. كان أبي بخيلاً معي، لكنه كان كريماً دائماً مع "كارول" التي كانت تعرف كيف تؤثر عليه تماماً. كان أبي مهووساً بالسيطرة، ولم يكن يطيق أن يعارضه أحد. وكان يفرض علينا قواعد غير منطقية متعلقة بعلاقاتنا مع الآخرين وأوقات مغادرتنا المنزل وعودتنا إليه. كان يتشاجر معي دائماً، لا مع "كارول". فقد كانت تلعب دور الفتاة المطيعة بإتقان، وكانت تحصل على العديد من الهدايا، فقد حصلت على سيارة جاكوار كهديّة عيد ميلادها السادس عشر. وسافرت في رحلات إلى أوروبا، وذهبت إلى أفضل المدارس، وحصلت على كل شيء. لكنها لم تتعلم أبداً أن تعتمد على نفسها، بينما تعلمت أنا في سن مبكرة أنني إذا أردت الحصول على شيء ما، فعلياً أن أحصل عليه بنفسني.

مات أبي لكنه استمر في ممارسة لعبة التفضيلات حتى من قبره. فقد ترك معظم أمواله لـ "كارول" ولم يترك شيئاً لي تقريباً. كنت مجروحة ومستاءة عندما رفضت "كارول" أن تعطيني ولو جزءاً صغيراً من ميراثها، والعلاقة الهشة التي كانت بيننا تدمرت تقريباً بالكامل. ومكثنا بعدها لسنوات

عديدة ونحن لا نلتقي ببعض أو نتحدث مع بعضنا إلا فيما ندر، وفي النهاية توقفتنا عن الحديث مع بعضنا نهائياً. الخلاصة هي أنني و"كارول" لم نكن نحب بعضنا كثيراً.

فجأة في يوم ما من الشهر الماضي، تلقيت منها اتصالاً. كانت تبكي وكانت تريد مني أن أقرضها ١٠٠٠ دولار كي تستطيع إطعام عائلتها. فزوجها يفشل كلياً في كل عمل يقوم به، وخسر كل أموالهما في استثمارات غير محسوبة. قامت "كارول" برهن مجوهراتها، واقترضت مالا من أمي حتى لا يتم الحجز على بيتها. كان الأمر فوضوياً. لكنهم في أثناء ذلك، لم يسعوا إلى تبسيط أسلوب حياتهم ولو قليلاً، فقد كانوا يمتلكون مجموعة قيمة من الأعمال الفنية، بل وحتى سيارة فيراري.

عندما رأيت "كارول" أنني أصدها بقوة، استخدمت كل وسيلة ممكنة: "ليس لدي أحد سواك لألجأ إليه. أنا لا أعرف ماذا أفعل غير ذلك - كنت أعتقد أنني يمكنني اللجوء إلى العائلة عندما أقع في مشكلة" - وفجأة أصبحت أنا من العائلة مرة أخرى.

في البداية كانت "كارول" تنتمي لذلك النوع التقليدي من المبتزين المعانين، وأخبرت "جان" بمدى فظاعة الوضع الذي تمر به وأنه في استطاعة "جان" أن تصلحه. لكن عندما سمعت رفض "جان"، غيرت من أسلوبها وأمسكت بجزرة مميزة.

أصبح صوتها فجأة عذبا وقالت: "أنت تعرفين أنني أود لو تبدئين في المجيء لتناول الغداء معنا وزيارتنا في العطلات. سنعيد الأيام الخوالي". هي استغلت تلك الصورة الخيالية التي أعشقها المتمثلة في أوجه مبتسمة تجلس حول مائدة في إحدى العطلات السعيدة. أمي تمشي وحيدة الآن، وأنا بلا زوج. "كارول" هي الوحيدة التي لديها عائلة كاملة، زوج وأبناء مراهقون. أنا دائماً ما أشعر ببعض الحزن في العطلات لأن المسافة بيننا بعيدة للغاية. أعلم في قرارة نفسي أن لديّ أصدقاء أقرب إليّ من عائلتي، لكن في الأعياد، يتناوبني هذا الشوق إلى العائلة السعيدة. أعلم في قرارة نفسي أننا لم نكن

يومًا تلك العائلة السعيدة، ولن نكون يومًا تلك العائلة السعيدة، لكن من كل قلبي، أنا مستعدة لتقديم أي شيء لنكون عائلة سعيدة. وعليّ أن أعترف بأنني تأثرت للغاية بـ "دعوة" "كارول"، وأنا في حيرة من أمري ولا أعرف ما هو التصرف الصحيح.

"كارول" جعلت الأمر يبدو كأن الدخول في كنف العائلة قد يكلف "جان" ١٠٠٠ دولار فقط - وهو مقابل ضئيل لشيء تتحرق "جان" شوقًا إليه. لكن بالطبع، فإن الثمن الذي ستدفعه "جان" إذا استسلمت إلى ضغط أختها سيكون أعلى بكثير. سيتحتم عليها أن تتخلى عن استقامتها لتساعد "كارول" على الاستمرار في إسرافها وعدم الشعور بالمسئولية المالية، وسيتحتم عليها أن تثق بشخصية لطالما خدعتها.

لكن الإجراء الذي شعرت به "جان" كان حقيقيًا. الصورة الخيالية للعائلة الجيدة التي رسمتها "كارول" لها كان يصعب مقاومتها - العائلة الجيدة هو شيء نتوق جميعًا إليه، وشيء لا يناله الكثيرون منا. وتكون الرغبة في الحصول عليه قوية للغاية، وإمكانية تحقيقه تجذبنا كمغناطيس. لكنني في النهاية استطعت أن أبين لـ "جان" أنها إذا لم تكن حظيت بعائلة على النحو الذي تريده بحلول هذه المرحلة من حياتها، فعلى الأرجح لن تحظى بتلك العائلة أبدًا. لقد رسمت "كارول" صورة جميلة لها، لكنها ليست حقيقية. لا يمكنك أن تحرر شيكًا بألف أو مليون أو عشرة ملايين دولار لتشتري به القرب والحميمية، مهما أصر المبتزون.

كل القوى التي كانت تضغط على "جان" - شعورها بالذنب، الإجراء بأن تبدو شخصية ذات كفاءة وناجحة، الوعد البراق بالعائلة السعيدة الذي قدمته لها "كارول" - قد مسست بقوة وترًا حساسًا داخلها. لكن كما سنرى، فإن تجربتها مع هذه الحالة العميقة من الابتزاز العاطفي كانت نقطة تحول ساعدتها في معرفة قدرتها على الصمود في وجه أحد أشكال التلاعب القسرية.

أيًا كان الأسلوب المناسب

ليست هناك حدود راسخة بين أساليب الابتزاز، وكما رأيت، العديد من المبتزين يدمجونها أو يستخدمون أكثر من أسلوب. وقد يسلكون طريق "كارول" مثل الانتقال جيئةً وذهاباً من المعاناة إلى تقديم صور خيالية مغرية لعائلة مضطربة يمكن أن تتحسن أحوالها بطريقة سحرية - وذلك إذا

كل أسلوب من أساليب الابتزاز العاطفي يدمر سعادتنا. ومن السهل أن تلاحظ المعاقبين الذين تبدو أساليبهم أكثر تدميرًا؛ ولكن لا تتجاهل للحظة الآثار المدمرة لأنواع الأكثر هدوءًا والذين يشبهون النمل الأبيض في سلوكهم التدميري أكثر مما يشبهون الأعاصير المدمرة. فالتعامل الصامت أو الدراما الصاخبة - كلاهما يمكن أن يدمر العلاقة.

إن معظم المبتزين العاطفيين ليسوا وحوشًا. وكما سترى، نادرًا ما يكون الحقد هو الدافع المحرك لهم؛ بل إن ما يحركهم هي بعض أفكارهم الخبيثة التي سنستكشفها في الفصل الخامس. ولأنهم عادة ما يكونون أشخاصًا يحتلون مكانًا مهمًا في حياتنا، أشخاصًا نحن لا نزال نريد أن ننظر إليهم كحاميين أو داعمين لنا، فأنا أعرف أن الاعتراف بهم كمبتزين يمكن أن يكون مؤلمًا للغاية. ليس من السهل إمعان النظر في سلوك ربما حاولنا أن نسامحه أو نتجاهله وإدراك الطريقة التي يؤثر بها علينا. لكنها خطوة ضرورية إذا كنا نأمل في إعادة علاقة مضطربة للوقوف على أرضية صلبة مرة أخرى.

الضباب الحاجب

إن الابتزاز العاطفي يزدهر في ضباب كثيف وينتشر تحت سطح فهمنا، مثلما تتجمع السحب تحت الطائرة. وبينما نتحدر إلى منطقة الابتزاز، تكون هناك طبقة كثيفة من الضباب تغلف الأجواء المحيطة بنا، ونفقد قدرتنا على التفكير بوضوح فيما يفعله المبتز، وفي الطريقة التي نستجيب بها، فيصبح حكمنا على الأمور مبهمًا وضبابيًا.

وكما ذكرت آنفًا، فإنني أستخدم الضباب للتعبير عن الخوف والالتزام والشعور بالذنب، وهي المشاعر الثلاثة التي يعمل كل المبتزين - أيًا كان أسلوبهم - على تقويتها داخلنا. وأعتقد أنها استعارة ملائمة للمناخ المحيط بكل أنواع الابتزاز العاطفي، فالضباب يتسلل إلينا ويربكنا ويجعل كل شيء غامضًا باستثناء الشعور المتكرر بعدم الراحة الذي يجعلنا نحس به. ونحن في وسط الضباب، نتهلف لمعرفة: كيف وقعتُ في هذا المأزق؟ كيف أخرج منه؟ كيف أوقف هذه المشاعر الحرجة؟

هذه العواطف الثلاث ليست غريبة علينا. فنحن جميعاً نعيش مع مجموعة من المخاوف - صغيرة وكبيرة. ونحن جميعاً لدينا التزامات، وإذا كان لدينا ضمير حي، فنحن ندرك أن هناك روابط تجمعنا مع الأشخاص الموجودين في حياتنا وأن لدينا مسؤوليات تجاه عائلتنا ومجتمعاتنا، فنحن جميعاً نعيش بقدر معين من الشعور بالذنب، ونتمنى أن نعيد عقارب الساعة ولا نقوم بفعله قد تسببت في أذى شخص ما، ونندم على أشياء لم نفعلها. هذه العواطف هي أمور أساسية في التعامل مع الآخرين. ونحن نستطيع في أغلب الأحيان أن نتعايش معها ولا ندعها تتحكم فينا.

لكن المبتزين يزدون من وطأة هذه العواطف، ويضغطون علينا حتى نصل إلى قدر من عدم الراحة يجعلنا مستعدين لفعل أي شيء - حتى ولو كان شيئاً في غير مصلحتنا - لإعادة هذه المشاعر إلى مستوى يمكن احتماله. إن أساليبهم التي تنشر الضباب تؤدي إلى استجابات تقريباً تلقائية مثل تغطية آذاننا عندما نسمع صفارة إنذار قوية، فلا نفكر كثيراً، بل نكتفي برد الفعل، وذلك هو مفتاح الابتزاز العاطفي الفعال. فعندما يضغط علينا المبتزون، ليس هناك تقريباً وقت بين الإحساس بعدم الراحة على الصعيد العاطفي والتصرف للشعور بارتياح.

وعلى الرغم من أن الأمر قد يبدو كأنها عملية محكمة، فإن معظم المبتزين ينثرون الضباب دون أية خطة مدروسة.

يبدأ الضباب كسلسلة من ردود الفعل المفصلة غير المرئية، وقبل أن تتمكن من إيقافه، يجب علينا فهم طريقة عمله. وأفضل طريقة لتبدأ بها هي أن تبدأ في النظر بتمعن في الأجزاء المكونة لهذا الضباب. وعلى الرغم من أنني سأصف هذه المشاعر كلا على حدة، لكن لا تتوقع أن يتم فصلها عن بعضها البعض بدقة - فهي تتداخل وتتشابك وتكون مزيجاً. تذكر كذلك أن هناك مصادر عديدة ومختلفة للخوف والالتزام والشعور بالذنب تختلف باختلاف الأشخاص، ومن المؤكد أنني لا أستطيع أن أعطي مثلاً على كل شخص. قد تختلف الكلمات والأفعال التي تثير هذه المشاعر داخلك عن الكلمات والأفعال التي سأصفها فيما يلي، ولكن الآثار واحدة، وجميعها يسهم في نسج مصفوفة عدم الراحة التي تدفعنا للاستسلام إلى الابتزاز.

العنصر الأول للضباب: الخوف

المبتزون يبنون إستراتيجيات واعية وغير واعية بناء على المعلومات التي نعطها لهم بشأن ما نخاف منه. وهم يلاحظون الأشياء التي نهرب منها، ويرون الأشياء التي تصيبنا بالقلق، ويلاحظون متى تتصلب أجسادنا كرد فعل على شيء ما نواجهه. وليس من طريقة المبتزين أن يأخذوا ملاحظات ثم يدونوها بنشاط ليستخدموها ضدنا بعد ذلك - فتحن جميعاً نمتص هذه المعلومات عن الأشخاص المقربين لنا. وفي الابتزاز العاطفي، يحدث الخوف تحولاً داخل المبتز أيضاً - وهي عملية سأناقشها بعمق في الفصل الخامس. وبأبسط العبارات ممكنة، فإن خوف المبتز من عدم الحصول على ما يريد يشد لدرجة تجعله شديد التركيز وقادراً على رؤية النتيجة التي يريدها بأدق التفاصيل، لكنه لا يستطيع أن يصرف عينيه عن هدفه مدة كافية ليرى كيف تؤثر أفعاله علينا.

في تلك المرحلة، فإن المعلومات التي جمعها عنا طوال فترة العلاقة تصبح ذخيرة دفاعية يستطيع من خلالها التوصل إلى اتفاق يغذيه خوف كلا الطرفين. والعبارات التي يستخدمها المبتز تكون مناسبة تماماً لنا: قم بالأمر على النحو الذي أريده ولن (املاً الفراغات)

- أتركك
- أنتقدك
- أتوقف عن حبك
- أصرخ في وجهك
- أجعلك بائساً
- أتحداك
- أطردك

أيًا كانت التفاصيل، سيتم تشكيلها لتناسب معالم الخوف التي أظهرناها. وفي الواقع، إن من أكثر الجوانب المؤلمة للابتزاز العاطفي هو أنه ينتهك

الثقة التي جعلتنا نكشف أنفسنا ونكوّن علاقة عميقة مع المبتز. وفي المواقف التالية، شاهد الطريقة التي يركز بها المبتزون على المخاوف التي تحقق أقوى استجابة لدى الطرف المستهدف.

أبسط أشكال الخوف

أولى مواجهاتنا مع الخوف تأتي في الطفولة، عندما نكون غير قادرين حرفياً على النجاة دون مساعدة ممن يعتنون بنا. هذا العجز يخلق ذعراً من الهجر يصاحب بعض الناس حتى بعد بلوغهم. نحن البشر مخلوقات قبلية، وفكرة أن نُحرم من دعم وعطف من نحبهم ونعتمد عليهم هي فكرة لا يتحملها أحد تقريباً. وذلك يجعل الخوف من الهجر أحد مخاوفنا الأكثر قوة وإقناعاً والتي يمكن إثارتها بسهولة.

"لين" سيدة تعمل مفتشة في مصلحة الضرائب على الدخّل، وهي في أواخر الأربعينيات من العمر ومتزوجة منذ خمس سنوات من "جيف" وهو نجار يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً. وقد جاءت "لين" إليّ لأنه كان لديها قائمة طويلة من المشاعر الغاضبة والسيئة تجاه "جيف"، وأرادت أن ترى ما إذا كان بإمكانها إيجاد طريقة لتحسين علاقتهما. توقف "جيف" عن العمل بعد أن تزوجا، واتفقا على أنه بفضل راتب "لين" فهما قادران على أن يخصص "جيف" كل وقته للقيام بشؤون منزلهما، وهو عبارة عن مزرعة صغيرة قرب مدينة لوس أنجلوس. لكن هذا الوضع يشكل مصدرًا دائمًا للخلاف بينهما.

العلاقة بيني وبين "جيف" ليست متكافئة على الإطلاق، فأنا أجنبي المال وهو بصرفه، لا، هذا ليس عادلاً. أنا أعمل خارج البيت وهو يعتني بالمزرعة - المنزل والحيوانات والممتلكات. أنا أحياناً أحب ذلك حقاً، لكنني كنت سأشعر تجاه "جيف" بإحساس أفضل إن أمكنه بذل بعض الجهد وبحث عن عمل. وفي الحقيقة، إن معظم المال المشترك بيننا أنا من يجنيه، لكنه دائماً يجد طريقاً لإنفاقه، وأنا أضعف أمامه عندما يريد شيئاً ما.

كنا نتجادل مؤخرًا بشأن التدفق النقدي وأولوياتنا، وفي الأشهر القليلة الماضية بدأ "جيف" في إظهار سخطه عندما لا نستطيع التوصل إلى اتفاق - أو عندما أختلف معه، فأسمع صوت إغلاق الباب بعنف، ويصيح قائلاً شيئاً مثل: "أنا خارج"، ثم يذهب إلى الحظيرة. هو يعرف أنني لا أتحمّل ابتعاده عني. وأنا دائماً أتبعه في تحركه داخل المنزل - فإذا ذهب إلى الغرفة الأخرى، ينتابني تقريباً شعور بالهجر. وعندما انتهى زواجي الأول، كان أكثر شيء أكرهه هو الوحدة التي تنتابني عندما أعود إلى بيتي الخاوي، وأنا لا أريد أن أشعر بذلك مرة أخرى. لقد أخبرت "جيف" بذلك - وكان صبوراً معي؛ لأنه يعرف أنني أحب أن أكون قريبة منه وأحب التواجد معه في المكان نفسه. ولذا فإنني أصاب بالجنون عندما يتركني.

وأول شيء أفكر فيه هو أنه غاضب مني، ومن ثم سيتركني. ومن حيث المنطق، أعرف أن هذا ضرب من الجنون. نحن نمر ببعض الأوقات السيئة، ولكننا نجب بعضنا حقاً، وهولن يرحل عني. لكن هذا التفكير يخيفني. أنا لا أستطيع أن أقول ما يجول في خاطري، لكن هذه الصراعات ستصيبني بالجنون.

كانت "لين" ترى أن حالة الوحدة أشبه بالسقوط فيما أسمته الثقوب السوداء، بئر من الاكتئاب يبتلعها عندما تكون وحدها. والثقوب السوداء هي أكثر شيء مخيف يمكنها تخيله، وفي كل مرة يبتعد "جيف" فيها، فإن فكرة الثقوب السوداء تطفئ على مخيلتها.

مررنا بأزمة كبيرة عندما تهالكت شاحنة "جيف" القديمة وبدأ في التلميح بشأن كم سيكون عظيمًا أن نشترى شاحنة جديدة، فهو سيستطيع القيام بالكثير من المهام بالشاحنة الجديدة، وربما يقوم ببعض الأعمال في المزارع الأخرى حول الوادي. وعندما أخبرته بأنني أعتقد أننا لا نستطيع تحمل تكاليف شرائها، استشاط غضبًا. كنت أكره الشجار معه، لكنني شعرت بأن المال ليس كافيًا، وظللت أقول له ذلك. وبعد أيام من هذا، قال "جيف" إن المال هو الشيء الوحيد الذي أهتم به، وإنني لا أقدر كل الأعمال التي يقوم

بها ليجعل حياتي سعيدة ومبهجة، وربما سأقدره أكثر إذا تركني وحدي لبعض الوقت، ثم رحل وغاب عن البيت أربعة أيام. كان القلق يصيبني بالجنون؛ فذهبت إليه في بيت أخيه، وتوسلت إليه كي يعود، فقال إنه لن يعود إلا إذا احترمته على ما هو عليه وأبدت له هذا الاحترام.

تصرف "جيف" مثل ضحية جريحة، واتخذ موقفاً دفاعياً بشأن وضعه في العلاقة، وكان يشعر بإهانة بسبب الأحداث التي تذكره باستمرار أن "لين" هي من تعوله مالياً. وعلى الرغم من التطور الاجتماعي الكبير الذي شهدناه على مدار العقود القليلة الماضية، فإن العلاقات التي على نمط العلاقة بين "جيف" و"لين" لا تزال خارج إطار الأعراف التقليدية، و"جيف"، مثل العديد من الرجال الذين تجني زوجاتهم أموالاً أكثر منهم، شعر بأنه في موقف هش - موقف عليه أن يبرره ويحميه. لقد توصل الزوجان إلى اتفاق حول موقفهما المالي، لكن في رأي "جيف"، إن "لين" تخل بالاتفاق كلما أراد شيئاً؛ ففجأة أثيرت الاعتراضات بخصوص عدم إسهامه في دخل الأسرة. كان "جيف" فاقداً لتوازنه وكان يترنح ويتكئ على "لين" ليستعيد ذلك التوازن. ومن جانبها، انتقلت "لين" من حالة الارتباك والخوف إلى حالة الذعر. فالعلاقات الحميمة تثير أقوى مخاوفنا لأننا نكون فيها في أضعف حالاتنا. ونحن ربما ندير شؤون حياتنا الأخرى بكفاءة عالية، لكننا نتحول إلى كائنات هشة عند التعرض للرفض أو حتى تصور ذلك الرفض من جانب الطرف الآخر في العلاقة.

وبعد كل توسلاتي، عاد "جيف" في النهاية إلى المنزل، لكنه لم يكن يتحدث كثيراً، وتصاعدت وتيرة التوتر بيننا لدرجة دفعتني إلى فعل شيء؛ حيث إنني لم أستطع تحمل هذا الوضع. كان والداي يعيشان على هذا النحو - متباعدين وغاضبين وصامتين، جميع أشكال التهذيب المزيف - وكنت دائماً أكره هذا الوضع. وأقسمت إنني لن أعيش أبداً على هذا النحو مع أي شخص. ولذا، كان عليّ أن أتخلص من المشاعر السيئة. فكرت في الأمر، وسألت نفسي: أيهما أكثر أهمية: "جيف" أم المال؟

وبعد ذلك بوقت قصير كان "جيف" يقود شاحنة جديدة. وسواء كان يتوقع شراء الشاحنة أم لا، فبعد أن حصل عليها شعر كأنه حقق بعض المساواة في العلاقة، وعرف الوسيلة التي دفعت "لين" إلى الإذعان لطلبه. وعلى الرغم من أنه لم يصغ عمداً هذه الإستراتيجية المتمثلة في اللعب على خوفها من الغضب والصمت والهجر، فإنه عندما شعر بأنه لا يحصل على ما يريده ويستحقه، لعب بالورقة الرابعة. والنمط الذي وضعه كان على النحو التالي: في كل مرة يبتعد فيها "جيف"، تستسلم "لين". وقد أدرك "جيف" أنه إذا أصبحت "لين" خائفة، كل ما عليه فعله هو إزعاجها بحالاته المزاجية؛ ومن ثم ستعطيه كل ما يريد - ولا يعني هذا أنه شخص سيئ، ولا أنه يحاول أن يؤذيها، ولكن يعني أن ما كان يفعله يحقق النتائج المرجوة.

ونظراً لأن الابتزاز الذي يقوم به "جيف" يبدو متعلقاً تماماً بالمال، فإن "لين" تبدو أحياناً مثل محاسبة تحاول أن تحسب مشاعرها بالورقة والقلم بينما تسمى جاهدة لتجنب مواجهة حالة الذعر داخل الثقب السوداء. وهي تقود نفسها إلى الجنون بهوسها وكثرة تفكيرها:

أنا أحبه كثيراً، لكنني أتساءل ما إذا كنت سأصبح أفضل حالاً بدونه. هل يكلفني البقاء معه الكثير من المال؟ "جيف" يعتمد كلياً علي.

وتتردد "لين" في حديثها عن اعتمادها العاطفي عليه:

كيف أفكر في الانفصال والبدء مرة أخرى مع شخص آخر؟ أنا خائفة للغاية من العودة إلى ذلك الوضع الكئيب الذي كنت فيه قبل أن نتزوج.

أوضحت لـ "لين" أنها كانت تحاول محو الجوانب السيئة ومحت معها الجوانب الجيدة. نعم، هناك خلاف مالي بينهما، لكن خوفها من الهجر يعميها لدرجة أنها فقدت قدرتها على النظر إلى العلاقة بموضوعية كلما ابتزها "جيف". فبدلاً من أن تحاول "لين" التوصل إلى تسوية سليمة، فهي تتصرف بشكل تلقائي وتستسلم بامتعاض لـ "جيف".

الخوف يأخذنا إلى التفكير بالأبيض والأسود؛ بل ويقودنا إلى التفكير الكارثي. كانت "لين" متأكدة أنها إذا واجهت "جيف"، فإنه سيهجرها، وهذا وضعها أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما أن تعطيه ما يريد أو تختار الانفصال عنه، وهو ما سيخلصها من الابتزاز لكنه سيتركها فريسة الوحدة ويعيدها إلى "الثقب الأسود". إلا أنني أُخبرتُ "لين" بأن لديها خيارًا آخر: يمكننا معًا التعامل مع ذلك الجانب من العلاقة الذي كان يسبب لهما الكثير من المتاعب في الوقت الحاضر والعمل على تهدئة مشاعر الخوف من الهجر لديها.

الخوف من الغضب

يبدو أن الغضب يجذب الخوف ويطقوبه إلى السطح بسرعة، وينشط في أجسادنا ردود الفعل المتمثلة في استجابة الكر/ الفر. ويُعد الغضب عاطفة يستطيع القليل منا التعبير عنها أو الإحساس بها بطريقة مريحة نظرًا لأننا نربطه بالصرع والفقدان، بل والعنف أيضًا، فهذا الشعور بعدم الراحة منطقي ووقائي؛ ويقودنا إلى تقاضي موقف ما أو الهروب منه حين يهددنا الغضب الجامح بالتحول إلى شكل مادي وإلحاق الأذى بنا. ولكن في كل العلاقات، باستثناء العلاقات المسيئة إلى حد كبير، يكون الغضب مجرد عاطفة؛ ليست جيدة ولا سيئة، بيد أننا نعزز الكثير من مشاعر القلق والخوف المتعلقة بغضبنا وغضب الآخرين للحد الذي قد يكون له أثر كبير على قدرتنا على التصدي لمحاولات الابتزاز.

وبالنسبة للكثير منا، فإن هذه العاطفة تبدو خطيرة لدرجة أننا نخاف منها في أية صورة كانت، ونحن لا نخشى غضب الآخرين فقط، بل وغضبنا أيضًا. وعلى مدار السنوات، استمعتُ إلى آلاف الأشخاص وهم يعبرون عن مخاوفهم من أنهم إذا ما غضبوا، فإنهم يؤذون شخصًا ما، أو يفقدون السيطرة أو ينهارون تمامًا. إن مجرد وجود تلميح بالغضب في صوت الشخص الآخر يثير بشكل متكرر الخوف من الرفض أو الانتقاد أو الهجر، وفي الحالات القصوى، يثير تصورات عن العنف أو إلحاق الأذى.

عميلي "جوش" - صانع الاثاث الذي قابلناه في الفصل السابق - يشعر بأنه تحت ضغط كبير بسبب الاعتراض الغاضب لأبيه على الفتاة التي يحبها -

ويشعر بالجمود بسبب غضب أبيه. قال "جوش": "كل ما أفعله هو أنني أحاول التحدث معه في الأمر، فبتغيير سلوكه بالكامل؛ حيث أراه يتوتر ويصيح بصوت عالٍ. وعندما أرى تلك النظرة على وجهه وأسمع ذلك الزئير يخرج من فمه، فإنني أشعر بالخوف من هذا الرجل، وما زالت أخافه رغم أنني أفوقه في الطول بمقدار عشرة سنتيمترات.

يملك الآباء قدرة رائعة على إعادة تنشيط مخاوف طفولتنا. يقول "جوش" مسترجعاً ذكريات الطفولة:

عندما كنت طفلاً، كان أبي عندما يغضب يصرخ بصوت عالٍ لدرجة أنني كنت أخشى أن ينفار البيت علينا. هذا أمر مضحك، لكن المشاعر نفسها لا تزال تتابني عندما يغضب مني، على الرغم من أنه أصبح ليئلاً مع مرور السنوات. ولكنني أتصرف كأنه لا يزال الشخص الذي كنت أهابه في مرحلة الطفولة.

إن الأحداث التي مررنا بها والمشاعر التي انتابتنا في مرحلة الطفولة تعيش بداخلنا وعادة ما تعاود الظهور عندما يحدث اضطراب أو قلق. وعلى الرغم من أن الجانب الناضج فينا ربما يعلم أن هذه الأشياء قد حدثت منذ عقود مضت، لكن بالنسبة إلى الجانب غير الناضج داخلنا، فالأمر يبدو كأن هذه الأشياء قد حدثت في الأمس، فالذاكرة العاطفية تبقىنا محبوسين داخل إطار الطرق القديمة للتصرف ورد الفعل القائمة على الخوف، حتى إن لم يكن هناك ما يبرر ذلك الخوف في واقعنا الحالي.

الاستجابات الشرطية

في بعض الأوقات "جوش": "كل ما كان عليّ فعله هو أن يحمر وجهه ويقطب جبينه، فأترجع وأستسلم على الفور. فالأمر يبدو كأنه لم يعد محتاجاً إلى الصراخ". الكثير منكم قد درس مقدمة علم النفس في المدرسة الثانوية أو الجامعة، ومن المرجح أنكم تتذكرون قصة عالم النفس الروسي "إيفان بافلوف"

وتجاربه على الكلاب، وهي المثال الكلاسيكي لإيضاح ما يعرف بالاستجابة الشرطية. كان "بافلوف" يدرس عملية الهضم لدى الكلاب، وهي عملية تبدأ بإسالة الكلاب للعباب كرد فعل طبيعي عندما ترى الطعام. لكن "بافلوف" لاحظ أنه إذا رن جرسًا وهو يقدم لها الطعام، فإن الكلاب سرعان ما تبدأ في الربط بين صوت الجرس والطعام، ويسيل لعابها لمجرد سماع صوت الجرس؛ حتى إن لم يكن هناك طعام. وبالطريقة نفسها تقريباً، يظهر الأشخاص المعرضون للابتزاز العاطفي استجابات شرطية كلما مروا بموقف يثير خوفاً كبيراً داخلهم.

وقد يتمثل ذلك في مواقف مثل: تنفيذ الزوج لتهديده بترك زوجته ومغادرة البيت لوقت قصير، أو غضب ابن بالغ من شيء فعله والداه وتوقفه عن الكلام معهما لعدة أيام، أو انزعاج خطيب فتاة من موقف ما وصراخه في وجهها. وحتى لو تم الصلح، فإن الحدث الصادم لا يُنسى؛ إذ يصبح رمزاً للألم، ويستطيع المبتز من خلال إثارة هذا الحدث أن يجدد شعورنا المتأصل بالخوف، وهو ما يشكل ضغطاً كافياً يجعلنا نستسلم.

بالنسبة لـ "جوش"، كل ما تطلبه الأمر كان نظرة غاضبة من أبيه "بول". وسرعان ما استقر "جوش" على أفضل وسيلة من وجهة نظره، ألا وهي الكذب. فكان يقابل "بيت" لكنه كان يتظاهر أمام والده أنه أنهى علاقته بها. كان ذلك حلاً يفي بالغرض، إلا أن سعي "جوش" لتجنب الغضب كلفه الكثير. وكما سنرى التصرف الذي ينتهجه كل أبطال القصص المذكورة في هذا الكتاب، فإن "جوش" يلعب لعبة خطيرة تسمى تحقيق السلام بأي ثمن. ما الثمن الذي دفعه "جوش"؟ احترامه لنفسه والأعباء الجسدية والعاطفية الناتجة عن السماح للغضب بالتراكم داخله وفي علاقته مع أبيه.

يلوح الخوف في الظلام، وهو لا يخضع لفحص مادي ولكنه حاضر في الذهن بقوة. أجسادنا والأجزاء البدائية من أدمغتنا تقسر هذا الشعور بالخوف على أنه سبب للهروب، وذلك ما نقوم به في كثير من الأحيان؛ حيث نتجنب ما نخافه لأننا في قرارة أنفسنا نعتقد أن هذه هي الطريقة الوحيدة للنجاة. وفي الحقيقة - كما سنرى - فإن سعادتنا العاطفية تعتمد على ما هو عكس ذلك تماماً؛ أي تعتمد على مواجهة أكثر شيء نخافه والتصدي له.

الالتزام

نحن جميعاً نصل إلى مرحلة البلوغ بقواعد وقيم راسخة متعلقة بذلك القدر من حياتنا الذي ندين به للآخرين، وذلك القدر من سلوكنا الذي يجب أن تحدده مثل عليا مثل الشعور بالواجب وابداء الطاعة والولاء والإيثار والتضحية بالذات في سبيل الآخرين. ونحن جميعاً لدينا أفكار متأصلة بعمق عن هذه القيم، وعادة ما نعتقد أنها أفكارنا الخاصة، لكنها في الحقيقة تشكلت بفعل تأثير والدينا وخلفياتنا الدينية والمعتقدات السائدة في المجتمع ووسائل الإعلام والأشخاص المقربين منا.

وغالباً ما تكون أفكارنا عن الواجبات والالتزامات أفكاراً منطقية، وهي تشكل أساساً أخلاقياً ومعنوياً لحياتنا وهو أساس أرى أنه ضروري لنا. لكن في كثير من الأحيان، تفشل محاولتنا في تحقيق التوازن بين الاضطلاع بمسئوليتنا تجاه أنفسنا وبين تحقيق ما نشعر بأننا ندين للآخرين به. فنحن نخل بهذا التوازن من أجل الشعور بالواجب.

والمبترزون لا يترددون أبداً في إخضاع إحساسنا بالالتزام للاختبار؛ حيث يؤكدون على مقدار ما تخلوا عنه، ومقدار ما فعلوه من أجل الأشخاص المستهدفين من ابتزازهم، ومقدار ما ندين به لهم. وربما يستخدمون ما يعزز موقفهم من التعاليم الدينية والتقاليد الاجتماعية ليؤكدوا مدى الامتنان الذي يجب أن يشعر به الأشخاص المستهدفون تجاههم.

- "الابنة الصالحة يجب أن تقضي بعض الوقت مع أمها".
- "أنا أنحت في الصخر من أجل هذه العائلة، وأقل ما يمكنك فعله هو أن تكوني موجودة في المنزل عندما أعود".
- "احترم (وأطع) أباك".
- "المدير دائماً على حق".
- "لقد وقفت بجانبك عندما كنت متزوجة من ذلك الأحمق، وكنت تحتاجين إلى دعم. كل ما أطلبه منك هو أن تقرضيني ألفي دولار. أنا أعز صديقاتك!".

هم يدفعوننا لما يتجاوز حدود العلاقة المتكافئة القائمة على الأخذ والعطاء، ويعلموننا - سواء أعجبنا ذلك أم لا - أن القيام بما يطلبونه هو مسئوليتنا ولن يقبلوا شيئاً أقل من ذلك. وهذه التوقعات تكون مربكة خاصة إذا كان المبتز كريماً معنواً. ولكن الحب والرغبة يسقطان سريعاً من المعادلة عندما يتم استبدال الالتزام والإحساس القسري بالواجب بهما.

ظلت عميلة، قابلتها منذ عدة سنوات، في ذهني باعتبارها أبلغ مثال على الشخص المستهدف من الابتزاز والذي يتم التلاعب به من خلال الشعور بالالتزام والواجب. تعمل "ماريا" موظفة إدارية بأحد المستشفيات وتبلغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً، متزوجة من جراح مشهور، وقد وصفت نفسها بأنها شخص يهب دائماً لمساعدة الآخرين، فقد تأتي إليك الساعة الرابعة صباحاً إذا كنت مكتئباً وتحتاج إلى رقة، وكانت تفعل كل ما بوسعها لمساعدة من حولها؛ لأنها كانت تحب الإحساس بالرضا النابع من العطاء.

استغل زوجها "جاي" تلك السمات استغلالاً كاملاً خلال فترة زواجهما العاصفة بالمشكلات.

أنا من جيل يؤمن بأن أهم وظيفة يمكن للمرأة الاضطلاع بها هي الزواج وإنجاب الأطفال والقيام بدور الزوجة المتقانية الصالحة، وقد تزوجني "جاي" لهذا السبب على الأرجح. أنا أحب عملي في المستشفى، لكن منزلي - ذلك هو مركز العالم بالنسبة لي. لقد تعلمت من أحد الدروس الدينية شيئاً يلازمي دائماً ألا وهو أن نجاح علاقة إنسانية يتطلب شخصاً واحداً. فإذا قدمت كل ما بوسعك وسألت الله العون، يمكن أن تتركب كل الأمواج التي تقابلك وتتجاوزها. وأنا كامرأة جادة بشأن التزاماتي تجاه عائلتي، و"جاي" يعرف ذلك جيداً.

لقد استغل "جاي" حس الالتزام لدى "ماريا"، مؤكداً؛ بل وربما مؤمناً بأنه بغض النظر عن أوجه القصور الأخرى المسئول عنها، فهو عائل جيد للأسرة يتولى القيام بالجزء الخاص به من صفقة الزواج.

لطالما اعتقد الآخرون أننا مثال الزوجين المثاليين، ولكن ما لم يكن يدركه الآخرون أن "جاي" كان مهووسًا بالنساء. قبل زواجنا، كان يحكي لي عن مغامراته العاطفية ويتفاخر بكثرة النساء اللاتي كن يطاردهن أو المعجبات به. أنا في الحقيقة لم أكن أريد أن أعرف شيئًا عنهن، لكن ساورني شعور طيب لمعرفة أنه من بين كل النساء اللاتي تعرف عليهن، اختارني أنا. والآن، أعرف كم كان هذا الاعتقاد ساذجًا.

أنا لست متأكدة من عدد العلاقات غير الشرعية التي أقامها بعد زواجنا، لكنني أعرف أنها كانت علاقات عديدة. المؤتمرات التي تعقد خارج المدينة، والبقاء لساعات متأخرة في العيادة، واختلاط تفاصيل القصص - التي يحكيها - عليه بشكل متكرر، وعدم اهتمامه المتزايد بي كانت جميعها علامات. ثم تلقيت مكالمات هاتفية من "أصدقاء" رأوه مع امرأة أخرى. أخبرني حدسي بأنهم صادقون، لكن استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لمواجهة. كان هناك أشياء كثيرة متضاربة تتصارع في ذهني. أنا شعرتُ بأنني مدينة له - فهو يعمل بجهد من أجلنا.

اتخذ "جاي" وضعية الهجوم في الضغط على "ماريا" لتبقى معه مهما حدث - لأن ذلك واجبها.

أنكر كل شيء بالطبع، وقال لي: "كيف تجرؤين على تصديق بعض الشائعات المفرضة الخبيثة. كل ما قمتُ به هو العمل والتضحية لرؤية هذه العائلة وهي تنعم بالأفضل. لقد مرت عليّ أوقات كثيرة لم أرغب فيها بالملكوث لساعة متأخرة في المستشفى لكنني فعلت ذلك من أجلك. وأنت الآن تستغلين ذلك ضدي. كيف تفكرين في ترك الأسرة وتمكيكها؟ انظري حولك إلى ما لديك وقارنيه بما لدى النساء الأخريات. أنا لا أصدق أنك لا تقدرين ما تكبته لتحقيق هذا". وعندما انتهى من كلامه معي، اضطررت للموافقة - أنا أدين له حقًا بالولاء والثقة. وأطفالي. أنا أحب أطفالي كثيرًا، فكيف أفضل ذلك بهم - هم يحبون أباهم. كيف لي أن أمزق عائلتي؟

ثم وضع يديه على كتفي وهمس في أذني: "ارتدي ذلك الفستان الأسود الذي أحبه كثيراً وسأخذك للعشاء، ولا أريد أن أسمع كلمة طلاق مرة أخرى. هذه كلها شائعات يجب ألا تقلقك". كنت مرتبكة بحيث رسمت ابتسامة على وجهي، وارتديت ذلك الفستان وخرجت معه كأن شيئاً لم يحدث.

كان "جاي" يعرف بالضبط أكثر المواضيع حساسية لدى "ماريا"، ولكي يصل لهذه المواضيع، وصف عواقب أي انفصال محتمل بعبارات تخاطب بشكل مباشر إحساسها بالواجب تجاه عائلتها. فقد أخبرها بأنها لن تترك زوجها كادحاً وحسب، بل ستحكم على أطفالها بحياة يسودها الإهمال والتعاسة.

إن عدم الرغبة في تمزيق العائلة يُبقي كثيراً من الناس في علاقات متدهورة. لا أحد يريد أن يصدّم أطفاله أو يقتلعهم من الحياة الأسرية أو يعرضهم للألم والارتباك. وبعض الأشخاص المستهدين من قبل المبتزين ينتابهم شعور قوي بالالتزام تجاه أطفالهم لدرجة أنهم يقدمون على ما سيئون اعتقاده أنها تضحية نبيلة ويتخلون عن حقهم في أن يحظوا بحياة جيدة. فعلى الرغم من تعاسة "ماريا"، فإن فكرة تمزق أسرتها أزعجتها وأبقتها مشلولة.

كان حس الالتزام لدى "ماريا" قوياً لدرجة أنه أصبح السمة الغالبة عليها. كانت فخورة به، وكانت تدافع بشكل غريزي عن نفسها ضد الآراء القائلة إنها لم ترق بحياتها إلى المستوى الذي تريده. مبالغة تتبع مبالغة في تحريف "جاي" للمعنى الحقيقي للإحساس بالواجب والمسئولية، مضخماً هذا الإحساس لدرجة تغطي تماماً على خيانتته. ووفقاً لتعريف "جاي"، فإن التزام "ماريا" تجاهه كان شاملاً لكل شيء. أما التزامه تجاهها يتوقف حيث يريد له أن يتوقف - في هذه الحالة، يتوقف عند فكرة إخلاصه الدائم لها، وفي موقفه الذي يلعب فيه دور الضحية والمظلوم، كان لا ينتابه أي شعور بالذنب إزاء ما يفعله بها أو بأطفاله الذين تأثرت حياتهم بالفعل بسبب التوتر الذي جلبته علاقاته النسائية إلى البيت. كم سيكون جميلاً لو راعى المبتزون مشاعرنا كما يريدون أن نراعي مشاعرهم.

رفض "جاي" أن يفعل أي شيء حيال دوره في تفكك علاقتهما، مدعياً أنه مشغول للغاية - وليست هناك حاجة أصلاً للقيام بأي تصرف. فهو لم يخطئ

في شيء، وإذا كانت "ماريا" غير سعيدة، فعليها أن "تصلح شئونها" كي تعود الأمور بينهما إلى ما كانت عليه.

لقد ذُكرت "ماريا" بأنه مهما كان الموقف الذي يتخذه "جاي"، أو أي شخص آخر له علاقة بهذا الأمر، فإن عليها التزاماً بأن تعتني بنفسها كما تعتني بالآخرين. إن رغبة "ماريا" - التي تتطوي على إنكار للذات - في مسايرة "جاي" ليست نابعة من شعور باحترام الذات أو دراسة لاختياراتها، بل رد فعل تلقائي للابتزاز العاطفي.

وكما يحدث عادة مع الأشخاص الذين يتم التلاعب بهم بسهولة من خلال شعورهم بالالتزام. فإن "ماريا" تذكرت أن تفعل ما هو أفضل بالنسبة للجميع؛ باستثناءها هي. يجد معظمنا صعوبة في وضع الحدود التي يبدأ وينتهي عندها التزاماتنا نحو الآخرين. وعندما يكون حس الالتزام لدينا أقوى من حس احترام الذات والاعتناء بالذات، يتعلم المبتزون سريعاً كيف يستغلون ذلك لصالحهم.

الدين الدائم

ينظر بعض المبتزين إلى الماضي بانتقائية ليعثثوا عن سبب نكون به مدينين لهم بما يريدون. وتصبح الذاكرة - كما يوظفها المبتز - وسيلة للالتزام، مع تكرار لا يتوقف لسلوك المبتز الجيد والكرام تجاهنا.

فعندما يسدي المبتز لنا معروفًا، فهذا المعروف لا يُنسى سريعاً، فهو قرض مفتوح الأجل أكثر منه هدية، ويكون دائماً مصحوباً بمدفوعات - مع معدل فائدة - ويبدو أننا لن نسددها هذا الدين أبداً. ويكون التركيز منصباً على توضيحات المبتز التي قدمها ليس بقلب صادق، لكن بنية تسجيل نقاط في مرمى الشخص المستهدف، وتجميع كمبيالات يمكن استغلالها في وقت لاحق.

عندما يصبح الشخص المستهدف من الابتزاز مبتزاً

في المراحل الأولى من عملي مع "لين"، اكتشفتُ أن "لين" قد ردت الضربة لـ "جيف" بأن واجهت ابتزازه بابتزاز آخر من جانبها.

طلبت من "جيف" أن يأتي لنعقد جلسة مشتركة، وسأدعه يتحدث عما

حدث:

لقد وصلتُ لمرحلة أنني اضطررت للابتعاد عنها لبضعة أيام. لم أسمعها مطلقاً تتحدث بصراحة عن رأيها في هذه العلاقة إلا بعد أن اتصلت بي في بيت أخي بعد شجارنا بسبب الشاحنة. كانت منخرطة في البكاء، وفي النهاية بدأت في الصراخ قائلة أشياء مثل: "إذا كنت تحبني فعلاً، لم تكن لتفعل هذا بي أبداً. كيف يمكن أن تصبح بهذه الأنانية؟ أنت لا تفكر إلا في نفسك، ودائماً ما تطلب المزيد والمزيد. أنت تعرف من يجني المال في البيت، وأنت تعرف من يوقع الشيكات. بعد كل ما فعلته لأجلك، كيف تجبرو على أن تتركني على هذا النحو. إذا توقفت عن الحديث معي مرة أخرى، فسيتوقف المال سريعاً. ما سيجعل رأسك تدور". علمتُ حينئذ أننا واقعان في مشكلة حقيقية، وكان كلانا خائفاً مما سيحدث بعد ذلك لدرجة جعلتنا نقرر أن نلجأ للحصول على استشارة زوجية.

على غرار العديد من المبتزين، ركزت "لين" على إحساس "جيف" بمقدار ما يدين به لها، في الوقت نفسه الذي أصدرت فيه سلسلة من الأحكام الأخلاقية السلبية على شخصيته ودوافعه. وقامت بكل شيء بمقدورها لإجبار "جيف" على البقاء معها، وتخطت مسألة التأكيد على التزامه تجاهها وحاولت أن تجعله خائفاً مثلما جعلها خائفة. لقد فقدت "لين" سلطتها عندما ذهبت للبحث عن "جيف" بلهفة وتوسلت إليه كي يعود، ومن أجل أن تستعيد هذه السلطة، تحولت إلى دور المبتز حيث يمكنها الإمساك بمقائيد الأمور واتخاذ القرارات.

فمن المؤلف بالنسبة لطرفي أية علاقة أن يغيرا الأدوار ويلعبا بالتناوب دور المستهدف والمبتز. وقد يمارس أحد الطرفين ابتزازاً أكثر من الآخر، لكن من النادر أن يكون الابتزاز من جانب واحد فقط، ونحن قد نكون هدفاً للابتزاز في علاقة ما، وننقلب إلى النقيض لنكون المبتزين في علاقة أخرى. فعلى سبيل المثال، إذا كان رئيسك يبتزك عاطفياً في العمل، فإن الشعور

بالإحباط والغضب - سواء كنت لا تستطيع أو لا تريد التعبير عنه مباشرةً أمامه - قد يدفعك إلى استخدام الأساليب نفسها مع شريكك أو أطفالك لاستعادة بعض الشعور بالسيطرة. أو مثلما هو الوضع في حالة "لين" و"جيف"، فإن التحول قد يحدث داخل العلاقة الواحدة؛ إذ يغير المستهدف دوره ويبتز المبتز.

والالتزام هو شعور من الصعب جدًا الإبقاء عليه متكافئًا في حياتنا. أحيانًا يكون أقل مما ينبغي ونتهرب من مسؤوليتنا. وأحيانًا يكون أكثر من المطلوب - مثلما حدث عندما بدأت "لين" في "دفع فواتير" كل إسهم تقوم به في العلاقة - ونحن نتعرض لضغط هائل تحت وطأة الديون التي لا مفر منها والغضب الحتمي الذي تسفر عنه هذه الديون. الابتزاز بمثابة طريق سريع تتبعه.

الشعور بالذنب

الشعور بالذنب جزء أساسي من كونك شخصًا عطوفًا لديه حس المسؤولية. وهو أداة من أدوات الضمير تعبر - في شكلها غير المشوه - عن عدم الراحة وتوبيخ الذات إذا فعلنا شيئًا ينتهك قواعدنا الأخلاقية على الصعيدين الشخصي والاجتماعي. والشعور بالذنب يسهم في استمرار عمل بوصلتنا الأخلاقية؛ ولأنه يتسبب في إحساسنا بألم شديد، فهو يستحوذ على انتباهنا حتى نفعل شيئًا للتخفيف من حدة هذا الإحساس. ولكي نتجنب الشعور بالذنب، فنحن نحاول تجنب إلحاق الضرر بالآخرين.

نحن نثق بهذا المقياس النشاط لسلوكنا، ونؤمن بأنه عندما نشعر به، فهذا راجع إلى أننا تجاوزنا الحدود، وانتهكنا عن عمد القواعد التي وضعناها لأنفسنا والمتعلقة بما هو مقبول في معاملتنا مع الآخرين. أحيانًا يكون ذلك صحيحًا، ويكون شعورنا بالذنب رد فعل طبيعيًا مبررًا على القيام بشيء مؤذ أو غير شرعي أو قاسٍ أو مسيء أو غير أمين.

إذا كان لدينا ضمير يقظ، فإن خيوط الشعور بالذنب تغزل نسيج حياتنا. ولسوء الحظ، فإن شعورنا بالذنب يمكن بسهولة أن يمدنا بتفسيرات خطأ

عن تأثير أفعالنا على الآخرين. ومثل جهاز إنذار سيارة بالغ الحساسية من المفترض أن ينبهنا عند وقوع جريمة، لكنه يطلق صفارته كلما مرت شاحنة، فإن أجهزة استشعارنا بالذنب قد تعمل بطريقة فوضوية. وعندما يحدث هذا، فنحن لا نحس وحسب بالشعور المبرر بالذنب الذي وصفته لاحقاً، بل أيضاً بما أسميه الشعور بذنب غير مستحق.

في الشعور بالذنب غير المستحق، لا يكون لتأنيب الضمير الذي نشعر به علاقة تذكر بتحديد وتقويم السلوك الضار. وهذا النوع من الشعور بالذنب - والذي يشكل جزءاً كبيراً من الضباب المحيط بالمبتز - يتراكم بفعل اللوم والاتهامات وجلد الذات الذي يصيب بالشلل. بعبارة بسيطة، تبدو خطوات العملية التي تسفر عن الشعور بالذنب غير المستحق على هذا النحو:

١. أنا أتصرف.
٢. يفضب الشخص الآخر.
٣. أتحمّل أنا المسؤولية كاملة عن غضب الطرف الآخر، سواء كانت لي علاقة بذلك أم لا.
٤. أشعر بالذنب.
٥. أفعل أي شيء كتمويض للطرف الآخر كي أشعر بتحسّن.

وبشكل أكثر تفصيلاً

١. أخبر خطيبتي بأنني لن أستطيع الذهاب معها إلى السينما هذا المساء.
٢. تغضب خطيبتي.
٣. ينتابني شعور مريع وأعتقد أن غضبها هو غلطتي. أشعر بأنني شخص سيئ.
٤. أقوم بإلغاء خطبتي الأخرى كي تتمكن من الذهاب إلى السينما معاً. ينتابها شعور بالتحسّن، وأنا أشعر بالتحسّن نظراً لأنها تشعر بإحساس أفضل.

ربما لا يكون للشعور بالذنب غير المستحق أية علاقة على الإطلاق بإحساننا الضرر بشخص ما، لكنه متعلق تمامًا باعتقادنا أننا فعلنا ذلك. والمبتزون العاطفيون يشجعوننا على تولي مسئولية شاملة عن شكواهم وتعاستهم، ويقومون بكل ما بوسعهم لإعادة برمجة الآليات الأساسية والضرورية للشعور المبرر بالذنب في خط إنتاج الذنب غير المستحق والذي تصدر فيه أجهزة الإنذار منذرة بالذنب.

إن تأثير الشعور بالذنب غير المستحق قوي؛ فجميعنا نريد أن نعتقد أننا أشخاص صالحون، والشعور بالذنب الذي يثيره المبتزون يهاجم إحساننا تجاه أنفسنا بأننا أشخاص محبوبون ذوو قيمة. ونحن نشعر بأننا مسئولون عن ألم المبتزين، ونصدقهم عندما يخبروننا بأننا نضاعف بؤسهم من خلال عدم تلبية رغباتهم.

اللوم هو اسم اللعبة

من أسرع الطرق التي يلجأ إليها المبتزون لخلق الشعور بالذنب غير المستحق هو أن يستخدموا اللوم، ويعزوا بشكل نشط كل ما يزعجهم أو المشكلات التي تواجههم إلى الأشخاص المستهدفين من الابتزاز. وبما أن نظام الشعور بالذنب لدينا سريع التأثر بالمواقف التي تجعلنا نتساءل: هل تسببت في ضرر لشخص ما؟ فإن معظمنا يشعر بغصة الذنب في أي وقت يتهمنا شخص ما مباشرة بأننا أذيناها - سواء كنا قمنا بأي شيء لنستحق هذا الشعور أم لا. نحن نستطيع أحياناً أن نقيّد رد فعل الإحساس بالذنب من خلال رؤية أنه ليست هناك صلة بين الاتهام والواقع، لكننا في كثير من الأحيان نعتذر أولاً، ونعيد مراجعة منطوق المبتز لاحقاً - هذا إن راجعناه أصلاً.

نحن عادة ما نتحدث عن المتاجرة بالشعور بالذنب، لكنني أعتقد أنه من الأدق أن نتحدث عن المتاجرة باللوم. وعلى غرار الباعة الجائلين المنتشرين في طول البلاد وعرضها، فإن المبتزين عاطفياً الذين يتاجرون باللوم يفاجئوننا بعرض تسويقي الهدف منه جذب انتباهنا. وعلى الرغم من اختلاف التفاصيل، لكن هناك عبارة واحدة - غالباً لا تُنطق لكنها قابضة دائماً تحت السطح - تكون بمثابة شعار للمتاجر باللوم: كل هذا بسببك. ذلك هو المغناطيس الذي يجذبك لشراء ما يبيعه.

- حالتني المزاجية سيئة (وكل هذا بسببك).
- لديّ برد شديد (وكل هذا بسببك).
- أنا أعرف أنني أسهر لساعة متأخرة خارج البيت (وهذا كله بسببك).
- قضيت يوماً سيئاً في العمل (وهذا كله بسببك).

عندما ترى مثل هذه القائمة، فإن عرضهم التسويقي يبدو سخيلاً. وعلى الأرجح، فإن هذه الشكاوى ليست لها علاقة بك. ولكننا في كثير من الأحيان لا ندرك الرسائل المربكة على حقيقتها؛ لأن معظمنا لديه ميل إلى تلقي اللوم عن شيء ما عندما يغضب شخص نهتم بأمره. ومن أكثر ما يسعد المبتز هو أن يشرح لنا كيف ولماذا نتحمل نحن المسؤولية كاملة عن موقف ما ولماذا يتحمل هو قدرًا ضئيلاً من المسؤولية أو لماذا لا يتحمل هو أية مسؤولية على الإطلاق. فنصدق اللوم، ويتدفق شعورنا بالذنب بكثافة، فتصبح تواقين للارتياح الذي ينبع من الاستسلام إلى المبتز.

الخيوط المتشابكة

من المستحيل فصل العواطف التي تشكل الضباب داخلنا عندما يهين المبتزون عاطفياً الأجواء للتلاعب، فحيثما تجد أحد عناصر الضباب الثلاثة، فمن المؤكد تقريباً أن تجد العنصرين الآخرين بالقرب منه. فكما هي الحال مع "ماريا" مثلاً، فإن الالتزام والشعور بالذنب كانا مرتبطين معاً مع بعضهما بقوة. ولا يستطيع سوى القليل منا أن يفكر في عدم تحقيق ما نعتبره التزاماً دون الشعور بالذنب، و"ماريا" ليست استثناء من ذلك.

أكد "جاي" لي أنه إذا انفصلنا، فسيكون هذا كله بسببي. فكنت أستلقي في سريري وأفكر في معنى أن أفضل كزوجة وأم، وكنت أشعر بذنب شديد. ويتعين عليّ أن أقول إنني كنت تقريباً مشلولة لوقت طويل، ولم أكن أستطيع تحمل فكرة أن أخذل أطفالي - يا إلهي، إنهم لا يستحقون أن يعيشوا حياة

ممزقة أو مدمرة. إن كل الأشياء الجيدة التي قمت بها يبدو كأنها ستمحى تمامًا من خلال فكرة الانفصال عن الأسرة. كنت بالكاد أستطيع تلفظ كلمة طلاق لأنها كانت تجعلني أشعر بأنني أنانية للغاية.

مرة أخرى، تقدم "ماريا" مصلحة الآخرين على مصلحتها، و"جاي" يعرف أن بإمكانه التحويل على استمرارها في فعل ذلك. وعلى الرغم من أن تصرفات "جاي" أعطتها مبررًا للشعور بالفضب والأذى، فإن إحساسها المتزايد بالذنب قد طغى على هذه المشاعر.

وكما هي الحال مع "ماريا"، فإن الكثير من الناس يمرون بهذا في تفاعلاتهم اليومية مع المبتز الذي يثير في داخلهم الشعور بالذنب؛ ولكن الشعور بالفضب، بل وحتى بغض الذات اللذين يتراكمان داخلهم لهما آثار مدمرة. فعندما ينذر المرح أو الحميمة الحقيقية، تتحول العلاقة التي تبدو أنها زواج أو صداقة إلى إطار أجوف.

لا قاعدة للقيود

بمجرد أن يرى المبتزون أن شعور الشخص المستهدف بالذنب يمكن أن يخدمهم، فإن أهمية عنصر الوقت تنعدم. فإذا لم تكن هناك واقعة حدثت مؤخرًا يمكن استغلالها لجعل الطرف الآخر يشعر بالذنب وفي إلقاء اللوم عليه، فإن أية واقعة من الماضي ستضي بالغرض. وهكذا فإنه لا توجد مرحلة يمكن عندها تخطي حدث يسبب الشعور بالذنب، واعتبار أن الطرف الآخر قد كفَّر عنه بالكامل. ويكتشف المستهدفون من الابتزاز أنه أيًا كان الضرر الحقيقي أو المتخيل الذي قاموا به، فليست هناك قاعدة ثابتة للقيود - ليست هناك مرحلة يتم بعدها التوقف عن النظر إلى "جريمة" قديمة على أنها مشكلة أو خطيئة تستحق العقاب.

كانت "كارين" - الممرضة التي قابلناها في الفصل الثاني - مسجونة في ضباب الشعور بالذنب بسبب ابنتها "ميلاني" التي لم تدعها تنسى حادثة وقعت في طفولتها.

تعود تلك القصة إلى زمن بعيد حيث قُتل زوجي - والد "ميلاني" - في حادث سيارة عندما كانت "ميلاني" صغيرة. كانت "ميلاني" موجودة في السيارة، وتعرضت لإصابات خطيرة وكانت هناك ندوب على وجهها. دفعت تكاليف العملية الجراحية التي أجريت لها، والآن مظهره حسن، ولكنها لا تزال خجولة بسبب بعض العلامات المتبقية على جبهتها. وبالطبع، دفعت تكاليف جلسات العلاج النفسي الذي استمر لسنوات لأنني أعرف مدى صعوبة ذلك عليها.

لقد استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لاجتياز شعوري بالذنب المتعلق بتلك الليلة. كنتُ أعرف أن الحادثة نتجت عن خطأ السائق الآخر - لكن لولم ننعطف إلى ذلك الشارع .. لو انتظرنا حتى اليوم التالي لنفادر كما أراد زوجي .. لو كنا .. "ميلاني" لديها تصور بأنني الشخص الشرير في القصة. وهي لا تفوت فرصة لتذكرني بأننا كنا ذاهبين في رحلة تخييم لأنني أصررت على الحصول على إجازة والاستمتاع بالوقت. لولم أفكر في نفسي وأترك العمل ليضعة أيام، لما توجهت السيارة إلى ذلك المكان ولما وقعت الحادثة. أعرف أن هذا التفكير غير عقلاني، لكنه يغذي شعوري بالذنب وفي نهاية المطاف أعطيها ما تريد.

مهما فعلت "كارين" للتخفيف من مرارة شعورها بالذنب، فإن "ميلاني" لن تدعها تنساه لوقت طويل. وقد وجدت "كارين" - كما هي الحال مع جميع الأشخاص المستهدفين في الابتزاز - أن الاستسلام مرة أو مرتين لن ينهي الابتزاز، بل سيزيد المطالب وحسب.

أنا أتساءل أحياناً - هل أنا مطالبة بأن أدفع ثمن هذا حتى آخر حياتي؟ لقد حاولت أن أساعدها، لكن لا شيء يكفيها. أنا أعرف أنني لست الملوثة على مشكلاتها، لكن كل شيء يبدو متعلقًا بتلك اللحظة التي صدم فيها شخص حقير ثمل سيارتنا.

إن شعور "كارين" بالذنب مرتبط بإحساسها بالالتزام تجاه ابنتها. بالنسبة لـ "كارين"، فإن هذا الإحساس المستمر بالذنب يعني أنها تدين دائماً

لـ "ميلاني" بسبب ما يحدث لها، حتى لو كان ما يحدث ليس خطأ "كارين"،
والى أن ترى "كارين" حقيقة ما يحدث، فإنها تستسلم دائماً لمطالب
"ميلاني" في محاولة لتعويضها عن ألمها.

عندما يخرج الشعور المبرر بالذنب عن السيطرة

حتى لو كان شعورنا بالذنب مبرراً، فإن من يبتزنا عاطفياً لن يدعنا ننسى ما قد
فعلناه أو يسمح لشعورنا بالذنب أن يقوم بوظيفته المتمثلة في مساعدتنا على
تصحيح سلوكنا وأن يكون بمثابة درس مستفاد للمستقبل. "بوب" - المحامي
الذي قابلناه في الفصل الأول - كان يعرف أنه انتهك ثقة زوجته "ستيفاني"
بأن أقام علاقة مع امرأة أخرى، وكان يريد بشدة أن يعوض زوجته، ويجد
طريقة يستطيع بها تحسين العلاقة. لكن "ستيفاني" كانت متألّمة بشدة،
وأصرت على تذكيره بخطيئته. وكان "بوب" يحاول جاهداً التعامل مع ما قد
أصبح الآن شعوراً دائماً غير مبرر بالذنب.

أنا لا أعرف ماذا أفعل لأصلحها. لا بد لي من الخروج وكسب العيش، ولا
يمكنني قضاء كل وقتي في طمأننتها. أنا لا أعرف كيف أجعلها تشعر بالأمان
مرة أخرى، وهي لا تخبرني ما ينبغي فعله في سبيل تحقيق ذلك، لكنها لا تريد
تخطي الأمر. لقد جعلتها تعاني، ولذا فهي ستحرص على أن أعاني بالقدر
نفسه أو أكثر. يا إلهي! حتى المجرمون يخرجون من السجن في النهاية،
لكنني أقضي عقوبة مدى الحياة دون وجود فرصة للحصول على إطلاق سراح
مشروط.

"ستيفاني" لديها كل الحق في أن تغضب وتتأذى، ولكنها تبقى نفسها
و"بوب" معلقين في حقبلة زمنية معينة، وتستخدم شعوره بالذنب للتحكم
فيه. وما دام أن الشعور بالذنب يهيمن على التعامل بينهما، فلا توجد فرصة
لتحسين العلاقة. ولن يتمكن أي من "ستيفاني" و"بوب" أن يرى مخرجاً من

الابتزاز العاطفي الذي أصاب حياتهما الزوجية بالجمود التام إلا بعد أن يتعلم كلاهما كيف يتعامل مع هذه العاطفة المتقلبة.

الشعور بالذنب هو الضئيلة النيوترونية للمبتز؛ فهو ربما يبقي العلاقات قائمة، لكنه يقوض الثقة والحميمية اللتين جعلتا نريد أن نكون طرفاً في هذه العلاقات.

متحير ومحاط بالضباب

قبل عدة سنوات مضت، كنت أعيش في مجمع سكني ساحلي حيث كان الضباب يتواجد بكثافة في آخر اليوم ويستمر طوال الليل في أوقات عديدة من السنة. وفي إحدى الليالي، بينما كنت عائدة إلى البيت من العمل في ساعة متأخرة، كان الضباب كثيفاً للغاية، وكنت أقود في الحي الذي أسكن فيه وأنا أحاول جاهدة أن أرى معالم الطريق. شعرت براحة عندما وصلت إلى الشارع الذي أسكن فيه ورأيت الممر المؤدي إلى المرآب الملحق ببيتي. ولكن لسبب ما، لم يستجب باب المرآب للريموت. وعندما خرجت من السيارة لأتفحصه، أدركت أنني توقفت في ممر المنزل المجاور لمنزلي. فأنا ببساطة لم أر ما كنت أفعله إلا بعد أن فعلته.

تجربتي في تلك الليلة مطابقة لما يحدث عندما نمر بضباب الابتزاز العاطفي. فحتى لو كانت اتجاهاتنا سليمة، فإن الضباب الذي ينفثه المبتزون عاطفياً يضيف بعداً جديداً يضللنا حتى في منتصف أكثر المواقف والعلاقات المألوفة بالنسبة لنا.

لا يمكننا أن نعلم باستقرار عاطفي إذا كان الضباب يسيطر على حياتنا؛ فهو يحرف نظرتنا للأمر، ويشوه تاريخنا الشخصي، ويشوش على فهمنا لما يحدث من حولنا. والضباب يتجاهل عمليات تفكيرنا ويستهدف استجاباتنا العاطفية مباشرة. فتتناهبنا الدهشة ولا نعرف ما حل بنا. النتيجة: المبتز ١٠٠ نقطة، الشخص المستهدف صفر.

أدوات المهنة

كيف ينثر المبتزون عاطفياً الضباب في علاقاتنا معهم؟ كيف يدفعوننا إلى أن ننحي جانباً مصلحتنا بينما نسقط في النمط المحبب المتمثل في الطلب، ثم الضغط، ثم الإذعان؟ بإمكاننا البدء في رؤية الكيفية التي تسير بها العملية من خلال النظر بتمعن إلى الإستراتيجيات التي يستخدمها المبتزون باستمرار - أدواتهم المتخصصة المتعلقة بالمهنة.

هذه الوسائل - التي تستخدم معاً أو على حدة - تبرز عنصراً أو أكثر من عناصر الضباب من أجل مضاعفة الضغط داخلنا لنجد الراحة في الموافقة على طلبات المبتز. وهي أيضاً تساعد المبتزين على تبرير أفعالهم لأنفسهم ولنا. وهذا عنصر حاسم؛ لأنه يساهم في إخفاء الابتزاز في أسباب مقبولة، بل ونبيلة تبرر وجوده. وكما هي الحال مع الآباء الذين يعاقبون أطفالهم وهم يقولون: "أنا لا أفعل هذا إلا من منطلق مصلحتك"، فإن المبتزين خبراء في التبرير ويستخدمون أدواتهم ليقنعونا بأن الابتزاز يخدمنا بطريقة ما.

والأدوات هي عامل ثابت يتخلل سيناريوهات الابتزاز العاطفي المتنوعة إلى ما لا نهاية، وكل المميزين - مهما كان أسلوبهم - يستخدمون أداة أو أكثر من هذه الأدوات.

الالتفاف

يرى المبتزون صراعاتنا معهم كانعكاسات على مدى ضلالتنا وتوهمنا، بينما يصفون أنفسهم بأنهم حكماء وحسنو النية. وبعبارة أبسط، نحن الطالحون، وهم الصالحون. وبالإستعانة بالمصطلحات السياسية، يطلق على عملية إدارة الأحداث باستخدام فلتر يرشح الصالح من الطالح اسم "الالتفاف"، ويُعد المبتزون عاطفياً الخبراء الأصليين في الالتفاف، وأساتذة في وضع هالة حول شخصيتهم ودوافعهم وتلطيح شخصيتنا ودوافعنا بالشكوك، بل وبالافتراءات الأكثر سواداً.

الخبير في الالتفاف

ذات يوم، تلقيت اتصالاً من امرأة تدعى "مارجريت"، التي أخبرتني بأن زواجها يواجه مشكلات خطيرة وأرادت أن ترى ما إذا كانت هناك طريقة لإتقاضه. حددنا ميعاداً، وعندما جاءت إليّ، أدهشني سحرها وسلوكها الأنيق. كانت "مارجريت" في أواخر الأربعينات من عمرها، وطلّقت منذ خمسة أعوام قبل أن تلتقي بزوجها الجديد في إحدى المحاضرات الدينية التي حضرها معاً. وبعد خطوبة قصيرة مفعمة بالحب، تزوج "كال" و"مارجريت". وعندما جاءت لرؤيتي، كان قد مر على زواجهما عام تقريباً.

أشعر بارتباك واكتئاب شديدين، وأحتاج إلى بعض الإجابات - فأنا لا أعرف إذا كنت أنا محقة أم هو. لقد اعتقدت حقاً أنني سأكون على صواب هذه المرة. "كال" شخص ناجح حسن المظهر وكنتم أعتقد أنه إنسان طيب يراعي الآخرين، وحقبة أننا تقابلنا في إحدى المحاضرات الدينية كانت عنصراً مهماً بالنسبة لي لأنها تعني أن لدينا قيماً ومعتقدات متماثلة. ولذا، تخيلي

صدمتي عندما يخبرني بعد ثمانية أشهر من الزواج بأنه يريد مني أن أذهب معه إلى حفلات ماجنة - ويأثني معتاد حضور هذه الحفلات منذ سنوات. وقال إنه يعينني لدرجة أنه يريد مني أن أحضر معه مثل هذه الحفلات.

قلت له من المستحيل أن أفعل شيئاً كهذا؛ فالفكرة تثير اشمئزازي. تصرف "كال" كأنه تعرض لصدمة حقيقية، وقال إنه كان دائماً محبباً لجموعي، ويريد أن يقدم لي شيئاً سيثري حياتي حقاً. وقال إنه يعرف أنه يخاطر بطرح هذا الموضوع، لكن كونه يريد أن أشاركه كل شيء يفعله فهذا دليل على حبه لي، وقيامه بذلك معه دليل على حبه لي.

وعندما رفضتُ، تصرف "كال" بطريقة تنم عن تأذيه وغضبه الشديد. وقال إنني أسأت الحكم عليه تماماً، وأنه كان يعتقد أنني ليبرالية ومنفتحة ومحبة للحياة، ولم تكن لديه أدنى فكرة عن أنني مترمة وضيقة الأفق. وأحسست أنه طعنني بسكين عندما قال إنني إذا لم أذهب معه، فهناك الكثير من صديقاته القديمات اللاتي سيوافقن على الذهاب معه.

مثل جميع الخبراء في الالتفاف، كان "كال" يفسر رغباته بعبارات حماسية إيجابية ويصف مقاومة "مارجريت" على أنها سلبية كثيفة. يخبرنا المبتزون بأنهم يجب أن يفوزوا لأن النتيجة التي يريدونها تتم عن حب أكثر وانفتاح أكثر ونضج أكثر. وهي النتيجة الأفضل، ومن حقهم الحصول عليها. وفي الوقت نفسه - وأحياناً بأكثر الطرق تأديباً - يصفوننا بالأنانية والعصبية وعدم النضج والحماسة والجهود والضعف. وأية مقاومة من جانبنا يتم تحويلها من تعبير عن احتجاجاتنا إلى دليل على عيوبنا.

قام "كال" بالتلميح حتى إلى أن أسلوب "مارجريت" في بداية العلاقة قد ضلله وخذعه. لكنها تستطيع تغيير ذلك التقييم من خلال مسايرة "كال"، وهو تصرف من شأنه أن يثبت أنها المرأة المنفتحة الجامحة التي يريد "كال" لها أن تكون كذلك.

الأوصاف المربكة

أنا أركز على الأوصاف المربكة التي أطلقها "كال" على "مارجريت" لأن الالتفاف يتضمن استعمال صفات - الإيجابي منها يذهب إلى المبتز والشخص المستهدف المطيع، أما الصفات السلبية فتذهب إلى الشخص الذي يقاوم. فقد فسر "كال" اختلافاته مع "مارجريت" على أنها دليل على وجود عيب في شخصيتها ثم بدأ في استخدام أوصاف تبرز موقفه. هذه تجربة مربكة؛ فالأوصاف التي يطلقها المبتزون تختلف عن الأوصاف التي كنا سنختارها لنصف أنفسنا لدرجة أننا بعد وقت قصير نشك في الأوصاف التي نطلقها نحن على الأشياء، ونبدأ في تقبل تساؤلات المبتز عن تصوراتنا وشخصيتنا وقيمنا ورغباتنا وقيمنا؛ فيحاصرنا ضباب كثيف من أسوأ نوع، كما أخبرتني "مارجريت":

لم أستطع إدراك كيف لـ "كال" أن يكون بهذا الاختلاف عن الرجل الذي أردت الزواج به. كيف يمكن أن أكون قد أخطأت بشأنه لهذه الدرجة؟ لم أستطع تصديق هذا. وبأكثر الطرق العقلانية التي يمكنك تخيلها، جعل "كال" الأمر يبدو كأنني قد قدته إلى الاعتقاد أنني سأفعل أي شيء معه، وأخذ يتحدث عن: إلى أي مدى سيكون ذلك مفيداً لنا كزوجين. كان من الأسهل بالنسبة لي أن أعتقد أن هناك شيئاً ما غائباً عن ذهني وأنتي إذا فهمت أفكار "كال" عن الحفلات الماجنة فلن يكون الأمر بهذه الشناعة بالنسبة لي. ربما أنا متزمتة بعض الشيء. وربما لا أفهم طبيعة الأمر. لقد بدأت في التفكير أن هناك خطأ ما بي وأنتي كنت أفعل مشكلة من لا شيء.

كانت "مارجريت" متأكدة من أن الحفلات الماجنة لا يمكن أن يكون لها أي تأثير إيجابي عليها وعلى زوجها، ولكن مع استمرار "كال" في إقناعها، بدأت تشك في نفسها. فعندما يكون الالتفاف فعالاً، فإنه يجعلنا مرتبكين فيما يتعلق بما هو ضار أو صحي ويجعلنا نشك في نظرتنا لما يحدث بيننا وبين المبتز. ونحن نصدق هذه الالتفاف لأننا نريد أصدقاءنا وأحباءنا ومديرينا

أن يكونوا محقين وصالحين، وليسوا وضعاء أو متبلدي المشاعر أو قمعيين. نحن نريد أن نثق بالطرف الآخر بدلاً من الاعتراف أنه يتلاعب بنا من خلال وصفنا بأشياء تجعلنا نشعر بالعار أو عدم الكفاءة.

حاولت "مارجريت" جاهدة أن تجعل الموقف يتلاءم منطقياً مع الصور التي تخيلتها عن حياتها مع "كال". كان هناك بالتأكيد شيء لم تكن "مارجريت" أدركته بعد، وهو تفسير سيجعل مطلب "كارل" يبدو مقبولاً. إذا كانت مخاوف "مارجريت" مشروعة، فما دلالة ذلك على زواجهما، وعلى "كال"؟ كانت هذه أسئلة مخيفة، ولم تكن "مارجريت" تريد أن تواجهها إلى حد ما؛ إذ لم تكن تريد أن تعترف لنفسها بأنها ارتكبت خطأ في اختيار "كال" زوجاً لها. فكان تصديق رؤية "كال" للواقع أقل ألماً بالنسبة لها من مواجهة الحقائق غير المريحة حياله وحيال علاقتهما.

"كال" - بالإضافة إلى شك "مارجريت" الملح في نفسها - مارس ضغطاً شديداً على حس الالتزام لديها. ووفقاً لالتفاف "كال"، كان من واجب "مارجريت" كزوجة أن تذهب مع زوجها إلى الحفلات الماجنة - فهو لم يكن يريد زوجة تتكر عليه حقه في ذلك. تخيل مدى الدهشة والضعف اللذين لا بد أن مارجريت شعرت بهما عندما هدها بأن يستبدل بها امرأة أخرى تليبي مطلبه "المنطقي".

ومع الأسف، استسلمت "مارجريت".

لا أصدق أنني استسلمت لضغطه ووافقت على تجربة الأمر، إذ كان هذا الأمر يعني الكثير له. أحس بالخزي الشديد، وأكره كل دقيقة قضيتها هناك، وأشعر بأنني قدرة وغاضبة وأشعر بالاكتاب.

كان الضياع كثيفاً للغاية، وتم دفع "مارجريت" بعيداً عن المسار الصحيح؛ فلم يعد من المفاجئ أن تتصرف في النهاية بطرق لم تكن لتفكر فيها إطلاقاً.

تحويلنا إلى أشخاص "سيئين"

بالإضافة إلى تشويه المبتزين لسمة الأشخاص المستهدفين، فإنهم يمارسون ضغطاً من خلال تحدي شخصيتنا ودوافعنا وقيمتنا. وهذا النوع من أساليب الالتفاف شائع في الصراعات العائلية، وبالأخص تلك الصراعات التي ينتشبت فيها الآباء بالسيطرة على أبنائهم البالغين حيث يتساوى الحب والاحترام مع الطاعة الكاملة. وحين لا يكون ذلك صراحة، يبدو الأمر كأن هناك خيانة قد حدثت. ويكون توجه المبتز الذي يتكرر بأشكال لا حصر لها هو أنت تفعل ذلك فقط لتجرحني. أنت لا تبالي إطلاقاً بمشاعري.

عندما وقع "جوش" في حب "بيت" وبدأ في التفكير في الزواج من فتاة لا تنتمي لطائفته نفسها، كان يعرف أن والديه سينزعجان لذلك، لكنه لم يكن يتوقع الهجوم الشامل الذي شنّه والده في محاولة منه ليثنيه عن قراره.

لم أستطع تصديق ما كان يقوله أبي. فقد جعل الأمر يبدو كأنني دبرت نوعاً من المؤامرة لتدمير حياته. لماذا كنت أعذبه؟ لماذا كنت أدق مسامراً في نعشه؟ وبين عشية وضحاها تحولت من الابن الصالح إلى أكبر فاشل في العائلة.

كان "جوش" يعيش بعيداً عن والديه لعدة سنوات، لكن مثل معظم الأشخاص الذين يسمعون أحد الأبوين يقول: "أنت تجرحني" أو "أنت تصيبني بخيبة أمل"، فقد شعر "جوش" بتأثير تلك الجمل كأنه لكمة في المعدة.

إن مثل هذه الكلمات التي تصدر من شخص مقرب منا تعلق في أذهاننا وتؤثر في بوصلتنا الداخلية التي توجه أفعالنا وتتركنا في حالة تذبذب. ومن الواضح أننا قد نوصف بأننا بلا قلب أو بلا قيمة أو بالأنانية في أية علاقة مع المبتزين، لكن هذه الأوصاف يصعب مقاومتها خاصة عندما تصدر من الأبوين اللذين قضينا سنوات نشأتنا ونحن نعتبرهما منبعاً للحكمة والصلاح. ويمكن للأبوين اللذين يستخدمان الالتفاف ضدنا أن يمحقوا ثقافتنا بأنفسنا تقريباً أسرع من أي شخص آخر.

الاتهام الباثولوجي

بعض المبتزين يخبروننا بأننا نقاومهم فقط لأننا مرضى أو مهووسون. وفي مجال العلاج النفسي، يسمى هذا الاتهام الباثولوجي، وعلى الرغم من أنني أكره استخدام مصطلحات طبية متخصصة، فإن كلمة الاتهام الباثولوجي تصف هذا النشاط تمامًا، فكلمة باثولوجيا مشتقة من الكلمة اللاتينية *pa-* *thos*، والتي تشير إلى المعاناة أو الشعور العميق، لكن المفهوم الحالي للكلمة هو "المرض". والاتهام الباثولوجي هو عبارة عن اتهامنا "بالمرض" عندما لا نوافق على ما يريده المبتز، فيتهمنا المبتزون بأننا عصبيون ومنحرفون وهستيريون. والشيء الأكثر إيلاماً أنهم يبددون الثقة التي تراكمت في العلاقة من خلال جمع كل الأحداث غير السعيدة التي شاركناهم إياها وسردها في وجوهنا ليثبتوا أننا السبب في حدوث هذه الأشياء لأننا نعاني عجزاً على الصعيد العاطفي.

ولأن تعرضنا للاتهام بالمرض من جانب المبتز يمكن أن تكون ضريبة مدمرة لتقننا وإدراكنا لأنفسنا، فإنها أداة سامة وفعالة جداً.

عندما يكون الحب مطلباً

الاتهام الباثولوجي عادة ما ينشأ في العلاقات الغرامية عندما يكون هناك عدم توازن في الرغبات. أحد الطرفين يريد شيئاً ما أكثر من الآخر - حياً أكثر، اهتماماً أكثر، التزاماً أكثر - وعندما لا يتحقق ذلك، يحاول الطرف الآخر أن يحصل عليه منا من خلال التشكيك في قدرتنا على الحب. والكثيرون منا يبذلون أقصى ما بوسعهم ليثبتوا أنهم محبوبون ومحبوبون، والكثيرون يؤمنون بهذا الاعتقاد الخاطئ: "إذا كان هناك شخص ما يحبني، فمن المفترض أن أحبه أيضاً والآن هناك خطب ما بي".

عميلي "روجر" - كاتب سيناريوهات في منتصف الثلاثينيات من العمر - واجه عاصفة من الاتهامات الباثولوجية عندما أخذ قراراً بخصوص احتياجه لبعض الاستقلالية عن "أليس"، وهي ممثلة قابلها في إحدى جلسات برنامج الاثني عشرة خطوة لمعالجة الإدمان قبل ثمانية أشهر.

أشعر بأن "أليس" متفانية في حبي أكثر من أي شخص آخر عرفته طوال حياتي. وقد قضيت معها وقتاً رائعاً للغاية بعد أن التقينا لأول مرة؛ فقد كانت تأتي وتجلس بجانبني وتقرأ مسودات أعمالني وتثني عليها، وكان يبدو عليها أنها تقدر ما أحاول القيام به، وتحبه وتحبني كذلك؛ ولذا كانت تتناوبني تجاهها مشاعر قوية. تشاهد "أليس" الأفلام بكثرة وهي شخصية مرحة ورائعة وهي تعتقد أننا مقدر لنا أن نعيش معاً.

لكن بعد شهرين فقط، كانت تضغط عليّ لتتزوج، وأخذت تتحدث عن مدى سعادتها لآتنا وجدنا بعضنا ولأنها تعرف أننا سنغير حياة بعضنا البعض. كل ما كان عليّ فعله هو أن أتخلى عن مقاومتي - أن أنسى الماضي وأدعو الله أن يوقفني لعلاقة ناجحة. قالت "أليس" إنها تعرف أنني قد أكون ممانعاً بسبب الانفصال السيئ عن زوجتي السابقة السنة الماضية، لكنني يجب أن أواجه مخاوفي، وألا أهرب من هذه المخاوف. كان الزواج يبدو فكرة جيدة، ولكنني شعرت بأنه قرار متسرع للغاية.

قضى "روجر" و"أليس" الكثير من وقتهما في الحديث عن برنامج الاثنتي عشرة خطوة الذي كانا يقومان به، وكان يدعم كل منهما الآخر في تنفيذه. لكن "أليس" راقها أن تلعب دور المعالج النفسي، بالأخص عندما كان "روجر" يتحدث عن خوفه من أن العلاقة تتطور بسرعة أكثر مما ينبغي. قالت له "أليس" إنه يحاول التحكم في الأمور وعليه أن يتوقف عن المقاومة. وحتى في هذه المرحلة المبكرة، كانت "أليس" تميل إلى تعريف تردد "روجر" على أنه سلوك عصبي من تبعات الإدمان على الكحوليات، برغم إقلاعه عن الإدمان قبل أحد عشر عاماً. وقد ترك رأي "أليس" أثراً في نفس "روجر". وعلى الرغم من الإحساس المزعج لدى "روجر" بأنه فاقد السيطرة على علاقته مع "أليس"، فإنه ظن أنها قد تكون محقة، وطلب من "أليس" أن تحدد موعد الزواج.

كانت "أليس" واضحة بخصوص مستقبلنا، وكنت أحاول استيعاب الأمور خطوة بخطوة - لكن عندما يحبك شخص ما على هذا النحو، تجد هذا الشخص مفعماً بدفعة هائلة من الطاقة تجتاح حياتك. وأنا أعترف بأن

الأمر جعلني متوترًا، ولكنني أتأقلم. لكن في الشهرين الماضيين، بدأت في الحديث عن إنجاب طفل. هي تبلغ من العمر ٢٥ سنة، وتنتابها رغبة شديدة في إنجاب الأطفال، وتقول إن هذه ستكون الفرصة المثالية للتعبير عن كامل حبنا وإبداعنا. وكانت تقرأ على مسامعي كتبًا متعلقة بالأطفال وتخرج صورًا لي وأنا طفل لترى كيف سيبدو شكل طفلنا القادم. وهذا أمر زائد على الحد؛ فأنا لا أعرف ما إذا كنت أريد أن أقضي باقي حياتي معها، أم ما إذا كنت أريد أن أصبح أبًا. أنا أحتاج إلى متسع للعمل والكتابة.

الأمر لا يتعلق بأنني لست معجبًا بها، بل إنني أعتقد أنها شخصية رائعة، لكن عليّ أن أرتب أموري. وأنا لست متأكدًا من أن شعوري تجاهها هو نفس شعورها تجاهي - أنا لست متأكدًا! ولذا، قلت لها إنني أريد مساحة شخصية ومتسعًا من الوقت لإعادة النظر في الأمور.

معارضة "روجر" لـ "أليس" أطلقت شرارة رد فعل غاضب من جانبها.

قالت "أليس" شيئًا من هذا القبيل: "أنا أخاف منك عندما تتحدث بهذه الطريقة. أنت قلت إنك تحبني، لكن استنادًا إلى ما قد قلته لي لتوك، ليس أمامي سوى أن أعتقد أنك كاذب بارع. أعلم أنك خائف من أن تكون قريبًا مني بعد أن أفسدت علاقتك السابقة، لكنني كنت أعتقد أنك مستعد للعيش في الحاضر بدلًا من الماضي. أنا أعلم أنني شخصية ذات عواطف جياشة، لكنني اعتقدت أنني قابلت الزوج المناسب لي. أعتقد أنني لست غاضبة منك، لكنني أشعر بالشفقة عليك. أنت خائف من الحياة لدرجة أنك لا تشعر بالحب، ولا تجد الراحة إلا في الخيالات التي تنسجها في سيناريوهاتك. واجه الأمر، أنت ستظل مدمنًا على الكحوليات مثلما كان أبوك المغموم بالنساء".

ثم قال "روجر" بضحكة عصبية:

أخذتُ أعيد كلامها في ذهني وأتساءل ما إذا كانت محقة. أنا بالفعل أواجه صعوبة في إقامة علاقات. وربما أنا لا أعرف كيف أتعامل مع شخص يحبني حقًا.

أخبرت " روجر " أنه قد أغفل شيئاً ينسأه الكثيرون: ليس هناك "خطب" فيك لمجرد أنك لا تريد أن تكون مع شخص بقدر ما يريد هذا الشخص أن يكون معك. ومثل الكثيرين ممن يتبعون نهج الاتهام الباثولوجي، فإن "أليس" أساءت استخدام كلمة حب. وكانت تصرفاتها مليئة بالتبعية والتلف والاحتياج إلى امتلاك " روجر " بالكامل، وكل هذه التصرفات ليست لها علاقة بالحب الناضج. لكن بالنسبة لها كان الضغط مبرراً باسم عاطفتها الطاغية تجاهه - وإن لم يستطع " روجر " أن يواكب عاطفتها الجياشة، فإن التفسير الوحيد الذي تستطيع قبوله هو أنه يعاني حتماً مشكلة نفسية بشعة.

وجاء رد فعل "أليس" على طلب " روجر " المتمثل في الحصول على مساحة شخصية أكبر حيث إنها استخدمت أسلوباً يعتمد عليه معظم من يسلكون نهج الاتهام الباثولوجي ألا وهو اتهام " روجر " بأشياء غير مريحة كان قد أسربها إليها متعلقة به وبعائلته، فقد حكى لها " روجر " عن أبيه الذي توقف عن الإدمان فقط ليستبدل به هوس ملاحقة النساء، وكانت "أليس" تعرف - مثل الكثيرين منا - أن " روجر " كان يخشى بشدة أن يصبح مثل أبيه. وهكذا فالأسرار أو المخاوف أو الخبايا التي أطلعنا عليها من يتبع نهج الاتهام الباثولوجي تصبح أسلحة يسهل إشهارها في الصراعات. إن أحداث الحياة المؤلمة - الطلاق ومعارك الحصول على حضانة الأطفال، والإجهاض - التي وصفناها في لحظات حميمة يتم استخدامها جميعاً كدليل على عدم استقرارنا النفسي. فبالنسبة لـ " روجر "، فإن " دليل " "أليس" على أن تعافيه من الإدمان الذي حققه بشق الأنفس هو تعافٍ موصوم بالفشل كان بمثابة ناقوس للخطر.

عادة ما يتهمنا المبتزون عاطفياً بعدم القدرة على الحب أو الحفاظ على الصداقات لمجرد أننا لسنا مقربين منهم كأصدقاء أو أجرة أو كما يشعرون بأننا يجب أن نكون. وهذه مجموعة متنوعة من الاتهامات الباثولوجية التي يضعف الكثير منا أمامها خصوصاً إذا كنا ننظر إلى العلاقات الحميمة على أنها الاختبار الحقيقي للصحة النفسية. وعلى الرغم من أن المبتزين يبالغون في الجدال بأن فشل العلاقة بينهم وبين الطرف الآخر يرجع إلى أن الطرف

الآخر مريض أو مدمر نفسياً، فإن مثل هذه العبارات تنفذ مباشرة إلى القلب، وعادةً ما تحقق أهدافها.

ما خطبك؟

ليس جميع من يتبعون نهج الاتهام الباثولوجي يصفون صراحةً الشخص بأنه مريض، فهذه الأداة لها أشكال أخرى أكثر دهاءً. لجأت عميلتي "كاثرين" إليّ وكانت تفتتها مضطربة بعد خلافات متكررة مع معالجتها السابقة.

كنت مستعدة للعمل بدوام جزئي والدراسة للحصول على ماجستير في إدارة الأعمال، وكنت أشعر بقلق شديد حيال ذلك، لكن السبب الرئيسي لهذا القلق هو أنني مررت بتجربة سيئة مع أحدهم، وأردت أن أفهم ما حدث؛ ولذا، قررت الذهاب لزيارة معالجة كانت صديقتي "لاني" متحمسة لها.

كان هناك شيء منفرفي "روندا" من البداية، لكنني اعتقدت أنها مسألة وقت وحسب كي أعتاد هذا النوع الجديد من العلاقات، لكن الأمر بدا لي كأنها تضايقني دائماً، وكان من الأشياء المفضلة لها أن تقص مقالات من الجرائد عن نساء ناجحات وتعطيني إياها في بداية الجلسة من أجل أن تمدني بـ "الإلهام"، لكن ذلك كان يشعرنني بالاشمئزاز. كانت الرسالة مفادها "هذه هي الطريقة التي يجب أن تتبعها، وإذا فعلت ما طلبته منك، فستصلين إلى هذا المستوى".

ظلت "روندا" تقنعني بالانضمام إلى إحدى مجموعاتها العلاجية، لكن ذلك لم يكن أمراً ذا أهمية بالنسبة لي. ربما كانت "روندا" محقة في أن ذلك سيجعلني أشعر بتحسّن بالغ، لكن يا إلهي! كان عليّ قضاء ساعات كثيرة في برنامج إعداد رسالة الماجستير والعمل بحيث لم يتبق لي أي وقت للقيام بما تطلبه مني. لكن "روندا" نظرت إليّ الأمر بطريقة أخرى، وقالت إنني عنيدة وغير مرنة وهذا سبب المشكلات التي أواجهها في حياتي.

إن الاتهام الباثولوجي يكون مقنماً على نحو خاص عندما يأتي من شخص يمثل مرجعية ما - طبيباً أو أستاذاً جامعياً أو محامياً أو معالجاً. فعلاقتنا

مع هؤلاء الأشخاص مبنية على الثقة، ونحن نميل إلى أن نلبس المحترفين عباءة الحكمة التي لا يستحقها بعضهم. إننا نفترض أنهم سيعاملوننا بنزاهة وانفتاح، لكننا جميعاً قابلنا مرجعيات يعتقدون - على ما يبدو - أن رخصة مزاولة المهنة تضع آراءهم وأفعالهم فوق مستوى الشبهات، فهم ربما لا يصارحونك ويقولون "أنت غير كفاء"، لكنهم بإشارة أو بنبرة صوت قاسية أو حاسمة أو بتعبير جامد على الوجه يخبرونك بأنك مخطئ وبأن موقفك خطأ.

كان واضحاً من نبرة صوتها ولغة جسدها وتوجهها بالكامل أنها منزعجة مني - وقد انتابني شعور مريع لذلك، وكنت خائفة من أنها قد تغضب مني. وسيكون ذلك التأكيد النهائي لحقيقة أنني لست على ما يرام. فرغم كل شيء، فإن معالجك هو الحكم الفصل فيما هو صحيح وخطأ، وإذا كنت لا تروق لمعالجك أو تتعرض لانتقاد منه، فهناك إذن خطب ما بك. بالإضافة إلى ذلك، أنا دائماً أخاف من الغضب والكلمات القاسية، وعندما تتعامل مع شخص يمثل لك مرجعية ما، فإن ذلك الخوف يتزايد عشرة أضعاف.

تشير "المرجعيات" مثل "روندا" بمرور إلى أنه ليس من المسموح به تحديها، وتخبرنا بأنها تبحث عن مصلحتنا، وأنها عندما تقاومها فتحن تثبت مدى عنادنا أو ضلالنا أو عدم ثقتنا بأنفسنا، فهم الخبراء، حتى عندما يتعلق الأمر بمعرفتنا الأعمق بأنفسنا، وغير مسموح لنا بأن نشكك في نصائحهم أو في تفسيراتهم للمواقف.

أسرار خطيرة

العديد من العائلات التي لديها أسرار "مخزية" عن استغلال الأطفال والإدمان والأمراض النفسية والانتحار تتفق ضمناً على إخفاء الحقائق وعدم مناقشتها إطلاقاً. لكن عندما يخل فرد من العائلة بالاتفاق عن طريق التمرد على نظام العائلة القائم على الإنكار والسرية، فمن المعتاد أن يصف أفراد العائلة هذا الشخص بأنه مجنون أو قاسي القلب أو هادم للعائلة؛ لأنه تجرأ على مناقشة تاريخهم الخفي الذي ينكرونه منذ أمد بعيد. وأنا رأيت هذا النوع من الاتهام الباثولوجي بشكل متكرر خلال السنوات التي تخصصت فيها

في معالجة البالغين الذين تعرضوا لاعتداء جنسي أو جسدي وهم أطفال. وبينما بدأ عملائي يشعرون بتحسّن في صحتهم، أرادوا واحتاجوا للحديث عن تجاربهم، لكن بعض العائلات حاولت باستماتة منعهم من كسر حاجز الصمت.

من البديهي أنه كلما زادت الاضطرابات الأسرية، زادت محاولات هذه الأسر لإعاقة أفرادها عندما يحاولون التعافي مرة أخرى. وفي كثير من الحالات، ينجح الابتزاز؛ فالتهديدات بالهجر والإبعاد والعقاب والانتقام والانتقاد أو الاحتقار الكامل يمكنها أن تحطم عزيمة الشخص الذي تم وصف محاولته الشجاعة للتعافي على أنها محاولة أنانية وغير ضرورية وهدامة.

"روبرتاً" - مسؤولة تنفيذية في شركة تسويق عبر الهاتف تبلغ من العمر ٣٠ عاماً - لا تزال تتحمل جروحاً في رقبتها وعظامها والتي عانتها منذ مرحلة الطفولة على يدي أبيها المسيء. عندما النقيت بها، كانت تتعالج من الاكتئاب في مستشفى كنت أعمل به. ومن أول الأشياء التي أخبرتني بها هو أنها لا تستطيع تحمل التكتّم على سر الإساءة الذي تخفيه أسرته. وعندما بدأت "روبرتاً" في التعامل مع مرحلة طفولتها، لجأت لأمها لتؤكد ما قد رأته ومررت به، لكن بدلاً من التفهم الذي تمنّت أن تلاقه، تمت مواجهتها بانتهام باثولوجي.

حاولت أن أفتح أمني في الموضوع قبل حوالي ستة شهور وأخبرها بأنني وجدت على جسمي بعض الجروح القديمة من ضرب أبي لي. ولكنها أذهلتني بردها؛ حيث قالت إنني أجعل الأمر يبدو كأن أبي قد قتلني أو شيء من هذا القبيل. فقلت: "هل تتذكرين عندما جذبني أبي من شعري وطوحنني في الهواء وألقى بي على الأرض؟".

فنظرت إليّ كأنني كائن فضائي قد جاء من الفضاء الخارجي، وقالت: "يا إلهي، من أين تأتيين بهذا الكلام؟ ما الذي يقوله لك هؤلاء الأطباء الذين تذهبين إليهم؟ هل تعرضت لفسيل مخ؟"، فقلت: "أمي، لقد كنت حاضرة معظم الأوقات التي ضربني أبي فيها - وكنت تشاهدين ذلك وأنت واقفة عند مدخل الباب". فجن جنونها، ولم تستطع التعامل مع الموقف، وقالت إنني

أخترت كل هذا وإنها تعتقد أنني فقدت صوابي. كيف لي أن أتحدث عن والدي بهذا الشكل؟ قالت أمي إنها لن تستطيع الحديث إليّ إلا بعد أن أحصل على مساعدة وأتوقف عن قول هذه الأكاذيب الضيعة. كان الأمر مدمراً لي.

وجدت أم "روبرت" أن ذكريات ابنتها تمثل تهديداً قوياً مما جعلها لا تنكر هذه الذكريات وحسب، بل ضغطت على "روبرت" أيضاً لتتكرها هي الأخرى وهددت بأن تقطع علاقتها بها إلى أن تتوقف "روبرت" عن إغضاب عائلتها. يرى أفراد الأسرة الآخرون محاولات التعافي هذه، مثل محاولة "روبرت" لكشف ومناقشة ما قد حدث معها، ومحاولات شريرة، ويصفونها بأنها "خيالية" و"مبالغ فيها" ونتاج عقل مريض. ربما نكون بحاجة ماسة للتعبير عن حقيقة ما حدث لنا، لكن الأمر يتطلب إصراراً وإعداداً ودعماً لمواجهة الاتهامات الباثولوجية المستشرية التي تصاحب الإساءة طويلة الأمد أو المشكلات العميقة داخل الأسرة.

يستهدف الاتهام الباثولوجي منطقة تصعب علينا مواجهتها. من السهل على معظمنا أن ندافع عن أنفسنا ضد الانتقادات الموجهة لمهاراتنا وإنجازاتنا لأن هناك شواهد ظاهرية تؤكد ما يمكننا إنجازه. لكن عندما يخبرنا المبتز بأننا بطريقة ما غير ناضجين نفسياً، فربما نقبل وصفهم على أنه تقييم عقلاني. نحن نعرف أننا لا يمكن أن نكون موضوعيين تماماً بشأن أنفسنا، والكثير منا يخاف منابع الشر المجهول بداخلنا، فيلعب من يتبعون نهج الاتهام الباثولوجي على هذا الخوف.

ومثل الانتصاف، فإن من يسلكون نهج الاتهام الباثولوجي يجعلوننا نشك في ذكرياتنا وأحكامنا وذكائنا وشخصيتنا. لكن مع الاتهام الباثولوجي، تكون المخاطر أعلى؛ إذ يمكن لهذه الأداة أن تجعلنا نشك في سلامتنا العقلية.

الاستعانة بحلفاء

عندما تصبح المحاولات الفردية غير فعّالة، فإن العديد من المبتزين العاطفيين يستعينون بتعزيزات خارجية. فيستعينون بأشخاص آخرين -

أفراد عائلة، أصدقاء، رجال دين - لدعم موقفهم وإثبات أنهم على حق. وبهذه الطريقة، يكون هجومهم على الأشخاص المستهدفين من الابتزاز هجومًا ثنائيًا أو ثلاثيًا. وهكذا فإن المبتزين يجمعون كل الذين يعرفون أن الشخص المستهدف بهذه الجبهة القوية، فقد يشعر بأنه ضعيف وقليل الحيلة. ذات مساء بعد وقت قصير من بداية عملي مع "روبرت"، رأيت هذه الأداة على أرض الواقع. حضر والدا "روبرت" جلسة استشارية عائلية مع أخي "روبرت" وأختها، والذين كانوا جميعهم متحمسين لإظهار تضامنهم مع والديهم. وعندما سألتهم عن شعورهم تجاه رغبة "روبرت" في التحدث بصراحة عن إساءة والدها لها، لاحظت مدى اتحادهم ضدها. نظر الأشقاء إلى بعضهم البعض، وفي النهاية بدأ أخوها الأكبر "أل" في الحديث:

اتصلت أُمِّي وسألت ما إذا ما كنا نستطيع المجيء وإخبارك بحقيقة ما حدث في عائلتنا لأننا عائلة صالحة، و"روبرت" تحاول أن تدمرنا. أنت تعرفين كم هي مريضة - انظري إليها، تدخل وتخرج من المستشفى باستمرار للعلاج من الاكتئاب ومحاولات الانتحار... ليس من المستغرب أن تتوهم الاستماع إلى أصوات أو شيء من هذا القبيل.

ابتسم "أل" ونظر في أنحاء الغرفة بينما أوما والده وأشقائه برءوسهم.

كانت "روبرت" دائماً تعاني مشكلات كبيرة، ونحن جميعاً نريد أن نساعدنا لتحسن، لكننا لا يمكننا أن ندعها تحكي قصصاً مرعبة عنا. فلقد اختلفت موضوع الإساءة هذا، ويبدو أن كثيراً من الناس يصدقونها، ونحن نريد فقط تبرئة أنفسنا وأن تحصل "روبرت" على المساعدة التي تحتاج إليها.

كانت "روبرت" تواجه صعوبة في التمسك بما تعرفه في مواجهة إنكار أمها، والآن أصبحت مهمتها أكثر صعوبة، فقد كانت تواجه غرفة مليئة بالمبتزين الذين يريدونها أن تبقى فيها مغلقة، ويضغطون بكامل قوتهم على

"الخائنة" لتعرف أنها ستكون محل ترحاب مرة أخرى في كنف العائلة إذا التزمت الهدوء، وبهذا يستطيع الجميع استئناف طريقة التعامل المألوفة - حتى لو كانت مدمرة لهم جميعاً - وبالتالي يشعرون جميعاً بالراحة.

جلب المزيد من التعزيزات الخارجية

عميلتي "ماريا" - موظفة إدارية تعمل في مستشفى والتي قابلناها في الفصل السابق - تقدم مثلاً صارخاً آخر على هذا النوع من الهجوم الثنائي. فعندما اكتشفت علاقة زوجها بامرأة أخرى، وأخبرته بأنها تفكر في الرحيل عنه، حاول بجميع السبل إقناعها بأن تغيير رأيها - بما في ذلك الاستعانة بأقاربه.

رأى "جاي" أن التهديدات والإغراءات وكل الأشياء التي كانت تؤتي ثمارها معه في الماضي لم تعد تؤتي ثمارها الآن؛ ولذا قام بالاستعانة بالمدفعية الثقيلة وأقصد هنا والديه، وأنا كنت متيمة بأبويه. كان والده يعمل طبيباً أيضاً، ووالدته شخصية رقيقة وكانت تعاملني بطريقة رائعة منذ أول يوم قابلتها فيه؛ ولذا، عندما اتصل والدا "جاي" واقترحا أن نعقد اجتماعاً أسرياً في منزلهما، كنت مترددة حيال ذلك، لكنني شعرت بأنني أدين له بالتفكير في الأمر.

ومنذ لحظة دخولي بيتهما، عرفت أنني سأرتكب خطأ ما. كان "جاي" قد وصل مبكراً وكان من الواضح أنه يتحدث عن عدم منطقية أفكاره. كيف لهما أن يكونا موضوعيين في موضوع يتعلق بابنهما الأثير، وكيف لهما أن يكونا منصفين معي؟

كانت مخاوف "ماريا" قائمة على أسس سليمة؛ فمن المستحيل أن يكون والدا "جاي" موضوعيين في هذا الموقف، وما حدث بعد ذلك لم يكن مفاجئاً.

تحدث والدا "جاي" لأكثر من ساعة عن كيف أن جميع الزيجات تمر بأوقات صعبة، ولا يمكنك أن تطلب الانفصال عند ظهور أولى علامات الاضطرابات. وقالوا إن "جاي" قد وافق على قضاء مزيد من الوقت في البيت وتقليل

ساعات عمله في المستشفى، وهذا يجب أن يحل خلافنا البسيط. والآن، إذا توقفتُ عن استخدام كلمة طلاق، فلن يعرف أحد شيئاً عن الأمر. وسألاني ما إذا كنت حقاً أريد تفكك الأسرة بسببي، خصوصاً مع العلم بمدى حب "جاي" لسي. وقال إن قلبيهما ينفطران لرؤيته وهو يعاني، وسألاني ما إذا كنت أعرف تبعات ذلك على الأطفال؟ كيف لي أن أتحمل أن أكون السبب في تعاسة العديد من الأشخاص بينما زوجي يفعل الكثير ليوفر لي مستقبلاً جيداً؟ وعندما سألتهما ما إذا كان "جاي" قد أخبرهما بعلاقاته غير الشرعية، استنتجت من رد فعلهما أنه لم يخبرهما. بدا عليهما الانزعاج الشديد لدرجة أنني اعتقدت أنهما قد يتفهمان بشكل أفضل سبب عدم سعادتي بالعيش مع ابنيهما، لكن والده قال أغرب شيء سمعته في حياتي: "هذا ليس سبباً وجيهاً لتفكيك أسرتك! الأسرة تأتي في المقام الأول. لا يمكنك أن تنهاري عند ظهور أولى علامات الاضطرابات وتدمري كل شيء. فكري في الأطفال - أحفادنا". كان هذا مؤلماً!

والآن، بدلاً من أن يكون هناك شخص واحد يلوي ذراع "ماريا"، كان هناك ثلاثة، وتطلب الأمر جميع مواردها الداخلية للثبات على موقفها في مواجهتهم. كانت الرسالة منهم جميعاً واحدة - وكأن "جاي" نفسه قد كتب نص هذه الرسالة - لكن سماع كلمات "جاي" من أشخاص آخرين تحبهم "ماريا" وثق بهم أكسب هذه الكلمات مزيداً من الثقل.

الاستعانة بسلطات أعلى

عندما يكون الأصدقاء وأفراد العائلة بمثابة تعزيزات غير كافية للمبتزين عاطفياً، فربما يلجأون إلى سلطة أعلى مثل الكتب الدينية، أو مصادر خارجية أخرى للمعرفة أو الخبرة، لدعم موقفهم. وقد يبدو هذا النوع من الضغط بسيطاً مثل "معالجي يقول إنك فظ" أو "لقد أخذت دورة تدريبية أخبرونا فيها..." أو "يقول رجل الدين إن..."

يتردد صدى الحكمة بشكل مختلف في كل منا، لكن أحداً منا لا يستطيع الزعم بأنه يحتكرها لنفسه، لكننا نتوقع من المبتزين أن يصروا - من خلال

الاستشهاد باقتباسات انتقائية وتعليقات وتعاليم وكتابات من مجموعة من المصادر الموثوق بها - على أن هناك حقيقة واحدة فقط : نسختهم الخاصة من الحقيقة.

المقارنات السلبية

"لماذا لا يمكنك أن تكون مثل ... " هذه الكلمات الست تمثل ضربة عاطفية قوية تتواصل بقوة مع إحساسنا بالشك في أنفسنا، وخوفنا من أن نكون دون المستوى. وعادة ما يستعين المبتزون بشخص آخر كنموذج، شخص مثالي خالٍ من العيوب يبدو عاجزين عندما نقارن به. ذلك الشخص لن تكون لديه أية مشكلة في تلبية طلبات المبتز - فلماذا إذن لا يمكننا نحن تلبيةها؟.

"أنظري لأختك - هي مستعدة للمساعدة في العمل".

"لا يبدو أن فرانك يعاني أية مشكلة في الالتزام بالمواعيد النهائية لتسليم العمل - ربما يمكنك الحصول على بعض النصائح منه".

"منى لا تهجر زوجها عندما تسوء الأمور بينهما".

المقارنات السلبية تجعلنا نشعر فجأة بالقصور؛ فنحن لسنا على مستوى صلاح فلان، أو إخلاصه، أو نجاحه، إلخ، ونشعر بالتوتر والذنب من جراء ذلك. وهذا التوتر قد يجعلنا على استعداد للاستسلام إلى المبتزين لإثبات أنهم كانوا مخطئين بشأننا.

عميلتي "لي" تعمل سمسارة أسهم في البورصة وأمها "إلين" حاصلة على الحزام الأسود في المقارنات السلبية، كانت "لي" تشعر بالضغط على اختلاف أشكاله على مر السنوات.

عندما توفي أبي، كانت أمي عاجزة تمامًا، فطوال حياتها كان لديها رجال يعتمون بها، وعندما مات أبي، لجأت إليّ لأتولى شؤون حياتها من أجلها. لكنني اكتشفت سريعًا أنه من المفترض أن (أ) أقضي قدرًا هائلًا من الوقت مع أمي (ب) وأحضر لها معامياً، وأحضر لها محاسبًا وأقوم بالكثير

من الأشياء التي تستطيع أُمي القيام بها على أكمل وجه وحدها. لكنها كانت جيدة في لعب دور الشخص المغلوب على أمره، وقد تطورت في الأمر سريعاً. أنا أجد سهولة في القيام بتلك الأشياء؛ ولذا لم يشكل الأمر مشكلة بالنسبة لي، لكن المنطقي أنك تحصل على الحب والاستحسان مقابل ذلك. لكن ما يحدث في الواقع هو أنه لا يمكنك القيام بأي شيء لإرضاء امرأة مثلها. وبالطبع، كلفها المحاسن كثيراً ولم يكن المحامي جيداً، وقد أجمعت في حقها لأنني لم أتناول العشاء معها لأنني وعدت ابني بتدريبه على المسرحية التي سيشارك فيها.

إذا لم يكن ما قمت به مثاليًا تمامًا، فإنها بالتأكيد ستبلغني بذلك. وفي أي وقت أبدأ فيه في الابتعاد، تبدأ أُمي في الاتكال على ابنة عمي "كارولين". وسرعان ما كانت أُمي تقول "كارولين تريد أن تبقى معي طوال الوقت. انظري كم هي ابنة بارة لي - أكثر من ابنتي الحقيقية". أنا أتساءل ما إذا كانت لديها أية فكرة عن مدى الألم العميق الذي تسببه تلك الكلمات لي ومدى الذنب الذي تجعلني أشعر به. فوجدت نفسي أقضي مزيداً من الوقت معها أكثر مما أردت في محاولة مني لمعالجة مشكلاتها من أجل فقط أن أتجنب أن تتم مقارنتي بـ "كارولين".

يبدو أن الشخص الذي تتم مقارنتنا به يحصل على كل الحب والاستحسان اللذين نريدهما لأنفسنا، ومن الطبيعي أن نبدي رد فعل تنافسياً ونحاول الحصول على تلك المكانة. وبالنسبة لـ "لي"، لم تكن للمقارنات نهاية، ولم يكن هناك سبيل لترقى إلى المستوى المطلوب.

الضغط الخطير

في مكان العمل، تخلق المقارنات السلبية مناخاً يشبه ذلك المناخ الموجود في العائلة الفاسدة، ما يزيد من التنافس والحسد بين زملاء العمل. وربما نجد أنفسنا نحاول الوصول إلى مستويات مستحيلة وضعها مدير ذو توجه أبوي والذي يخلق - من خلال إزكاء روح المنافسة بين العاملين - جو "تنافس الأشقاء" بين الموظفين.

عندما جاءت عميلتي "كيم" لمقابلتي، كانت تحت ضغط شديد بسبب رئيسها الذي كان يستخدم مقارنات سلبية لـ "تحفيزها". كان من سوء حظ "كيم" - وهي في منتصف الثلاثينات من العمر - أنه قد تم تعيينها لتحل محل "ميراندا" وهي محررة مجلات شهيرة كانت على وشك التقاعد.

أنا فعّالة للغاية، ولديّ الكثير من الأفكار الجيدة، وأعمل بشكل جيد مع الكتاب، واعتدت حب ما أقوم به. لكن رئيسي يحفزني بقوة أكثر من أي شخص آخر من طاقم العمل، ويقارنتني دائماً بـ "ميراندا". والأمر يبدو كأنني غير قادرة أبداً على القيام بما يكفي. لو أنجزت أربع مهام في أسبوع، يقول رئيسي "كين" شيئاً على غرار: "هذا عظيم. اعتادت ميراندا أن تفعل ذلك في أسبوع كانت رتبة العمل فيه بطيئة. ولكن في العادي كانت تنجز ثماني أو تسع مهام. إذا قلت إنني أحتاج إلى المفادرة في الموعد الرسمي بدلاً من العشر ساعات أو الإحدى عشرة ساعة المعتادة التي أقضيها عادة في العمل، يتحدث رئيسي عن أن أخلاقيات العمل ستقرض بدون "ميراندا"؛ فهي شخصية استثنائية لأنها كانت تعيش تقريباً في المكتب.

أعتقد أن "ميراندا" بارعة - لكنها تدخن بشراهة، وليست لديها عائلة وتعيش من أجل عملها. الفكرة هنا هي أنني أحاول أن أنافسها - وأنا لذيّ حياة أخرى. وأحتاج إلى قضاء بعض الوقت مع أطفالي وزوجي وأشارك في فعاليات في دار العبادة، وذلك أمر مهم جداً بالنسبة لي. لكن "كين" يلاحقني دائماً للقيام بالمزيد، وأحياناً عندما يقول إنني قد أصبح خليفة "ميراندا" إذا قمت بمشروع واحد آخر فقط، فإنني أنخدع بذلك. كان يصيبيني بارتباك، وإذا لم أفعل ما يريد، يقول إنني لا أرقى إلى مستواها. وفي الوقت نفسه يقول أيضاً إنني أمتلك الموهبة لأكون نجمة مثلها - إذا قمت بالعمل الإضافي الذي يريده. ويقول إنني يجب ألا أنظر إلى ذلك على أنه عمل إضافي، بل يجب أن أنظر له على أنه أمان وظيفي.

عائلتي تستشيط غضباً لأنني لا أتواجد معها، وأنا أشعر بالإنهاك، وبدأت في الإحساس بالآلام في ذراعي ورقبتي بسبب العمل لساعات طويلة أمام الكمبيوتر - والأسوأ من كل هذا أن هناك شكوكاً تراودني بشأن كفاءتي. لكنني

أشعر كأنني مضطرة إلى أن أرقى لمستوى "ميراندا"، كأنني لن أكون جيدة بما يكفي إلا بعد أن أرقى لمستواها.

عندما نفكر في الضغط في مكان العمل، عادة ما ينصب معظم انتباهنا على الضغط الصريح - مثل الفصل من العمل. لكن مكان العمل يمكن أن يعيد تنشيط العديد من المشاعر والعلاقات نفسها التي مررنا بها داخل عائلتنا، ويتم استخدام الديناميكيات نفسها. إن قضايا مثل المنافسة والحسد وتنافس الأصدقاء والرغبة في إرضاء رموز السلطة قد تدفعنا أيضاً إلى بذل أقصى ما بوسعنا، بل حتى تجاوز قدراتنا. ويكمن الخطر في أنه في أثناء محاولتنا الارتقاء لمستوى صعب لتكون في موضع مقارنة مع شخص له احتياجات ومواهب وظروف مختلفة اختلافاً شامعاً عنا، فإننا نجد أنفسنا نضحي بعائلتنا واهتماماتنا الخارجية؛ بل وحتى صحتنا، من أجل العمل.

عادةً ما نكون محددين في البداية بشأن ما نحتاج إليه وسبب مقاومتنا للمبتز عاطفياً، لكن أدوات المبتز تمحو أي وضوح لدينا ويقنعوننا بأننا لا نعرف ما نريده في الحقيقة. ويستطيع المبتز بشكل شبه دائم - من خلال استخدام هذه الإستراتيجيات السلوكية - أن يدفعنا إلى الإذعان، وهذا ليس أمراً مفاجئاً، ويضع المبتز في اعتباره أن الشخص الذي يقاوم سيتم على الأرجح إرباكه أو انتقاده أو التحزب ضده أو وصفه بالافتقار إلى الكفاءة. أجل، هذا يبدو مريباً، لكن هذه كلها أنماط سلوكية يتم تعلمها ولقد أسهمنا في تعليمهم إياها. وكما سنرى، فمثلما سلّمنا للمبتزين أدواتهم بفاعلية وأرشدناهم لها، فنستطيع أيضاً أن نسلبهم إياها أو نجعلها بلا فائدة.

العالم الداخلي للمبتز

يكره المبتزون عاطفياً الخسارة، فهم يأخذون القول المأثور "لا يهم أن تفوز أو تخسر، بل المهم هو طريقتك في اللعبة" ويقلبونه رأساً على عقب ليصبح "لا يهم طريقتك في اللعبة مادمت لا تخسر". وبالنسبة للمبتز عاطفياً، لا يهم الحفاظ على ثقتك، ولا يهم احترام مشاعرك، ولا يهم التحلي بالإنصاف. والقواعد الأساسية التي تسمح بإقامة علاقة صحية مبنية على الأخذ والعطاء تذهب أدراج الرياح. وفي منتصف ما كنا نعتقد أنها علاقة راسخة، يبدو الأمر كأن الطرف الآخر يصرخ قائلاً "ليهتم كل فرد بنفسه"، وينتهز الفرصة ليستغلنا في وقت لم نأخذ فيه حذرنا.

ونتساءل في قرارة أنفسنا عن سبب الأهمية الشديدة للفوز بالنسبة للمبتزين. لماذا يفعلون هذا بناءً؟ لماذا تكون رغبتهم في فرض إرادتهم شديدة لدرجة أنهم يماقبوننا إذا لم يحققوا ذلك؟

علاقة الإحباط

وفي أثناء سعيها لفهم ما يحول الأشخاص القريبين منا إلى متممين عاطفياً، نحتاج للعودة إلى الموضوع الذي بدأ منه الابتزاز - اللحظة التي أراد فيها المبتز شيئاً ما منا ورفضنا بالكلام أو الفعل.

ليس هناك ما يشين الرغبة؛ لا بأس أن تريد شيئاً ما وتطلبه وتحاول أن تجد الطريقة التي يمكن أن تصل بها لما تريد. ومن المقبول أن تناشد أو تجادل، بل وحتى أن تستعطف وتنتحب قليلاً - مادام الرفض القاطع يعني رفضاً. ربما يكون من الصعب قبول الرفض، وربما ينزعج أو يغضب الطرف الآخر لبعض الوقت، لكن إذا كانت العلاقة ناجحة، ستمر العاصفة وسنحاول التفاوض للوصول إلى قرار أو حل وسط.

لكن كما رأينا في هذا الكتاب، فإن العكس تماماً يحدث مع المبتز؛ حيث يصبح الإحباط باعثاً ليس على التفاوض بل على ممارسة الضغط وتوجيه التهديدات. والمبتزون لا يتحملون الإحباط.

ومن الصعب فهم سبب تضخيمهم الأمر على هذا النحو. ففي النهاية، واجه العديد منا الكثير من خيبات الأمل دون أن يتحولوا لمتممين من أجل الإحساس بشعور أفضل. فنحن نقبل خيبة الأمل كعقبة مؤقتة، ونمضي قدماً في حياتنا. ولكن في نفسية المبتزين، يمثل الإحباط شيئاً يتجاوز بكثير مسألة الرفض أو التعرض لخيبة أمل، وعندما يواجهونه، لا يستطيعون أن يعيدوا ترتيب أوراقهم أو تغيير موقفهم. فبالنسبة للمبتز، يرتبط الإحباط بمخاوف رنانة عميقة من الخسارة والحرمان، ويعتبره المبتز إشارة تحذيرية بأنه إذا لم يتخذ إجراءً فورياً، فسيواجه عواقب لا تحتمل.

من الإحباط إلى الحرمان

من الناحية الظاهرية يبدو المبتزون مثل الآخرين، وعادةً ما يكونون ذوي فاعلية كبيرة في مناح عديدة من حياتهم. لكن في جوانب عديدة، فإن العالم الداخلي للمبتز يشبه أمريكا في فترة الكساد الكبير - ذلك الوقت العصيب

الذي رأى فيه الكثير من الأشخاص الكادحين حياتهم قهاراً وأمانتهم يعترها حرمان كاسح. إذا كنت تعرف أشخاصاً عاشوا في تلك الفترة، فلقد لاحظت على الأرجح كيف أن كثيراً منهم لا يزالون يدخرون ويوفرون كل بنس ويستعدون لصدمة أخرى ولخسارة أخرى، بينما يحاولون طمأنة أنفسهم بأنهم لن يضطروا أبداً لمواجهة ألم كهذا مرة أخرى.

المبتزون العاطفيون - بغض النظر عن أسلوبهم أو أدواتهم المفضلة - يتصرفون من منطلق نوع مشابه لعقلية الحرمان، ولعلنا لا نلمح ذلك إلى أن يحدث شيء يهز إحساسهم بالاستقرار ويثير الخوف داخلهم من الحرمان. ومثلما قد يفسر بعض الناس الصداق على أنه إشارة أكيدة على وجود ورم في المخ، فإن المبتزين ينظرون إلى المقاومة على أنها أحد الأعراض لشيء أكثر خطورة. وحتى الإحباط البسيط ينظرون إليه على أنه كارثة محتملة، ويعتقدون أنهم إذا لم يستجيبوا له بقوة، فإن العالم - أو أنت - سيمنعهم من الحصول على شيء هم في أمس الحاجة إليه. ويبدأ شريط الحرمان في الدوران في رؤوسهم:

- هذه العلاقة لن تنجح.
- أنا لا أحصل أبداً على ما أريده.
- أنا لا أثق بأن الآخرين سيهتمون بما أريده.
- ليس لدي ما يلزم للحصول على ما أريده.
- أنا لا أعرف إذا ما كنت أستطيع تحمل خسارة شيء أريده.
- لا يهتم الآخرون بي بقدر ما أهتم بهم.
- أنا دائماً ما أخسر أي إنسان أهتم بأمره.

ومع تردد هذه الأفكار في أذهان المبتزين في حلقة مفرغة لا تنتهي، يعتقد المبتزون أنهم لا يمتلكون أية فرصة للسيطرة - ما لم يصمموا على الحصول على ما يريدونه. وبعد ذلك الاعتقاد قاسماً مشتركاً يستند إليه جميع أشكال الابتزاز العاطفي.

الحرمان والاعتماد على الآخرين

بالنسبة لبعض المبتزين، فإن هذه القناعات متجذرة في تاريخ طويل من الشعور بالقلق وعدم الأمان، وإذا استرجعنا أحداث حياتهم الماضية بالقدر الكافي، فإنه يمكننا في كثير من الأحيان أن نجد صلات مهمة بين أحداث وقعت في طفولتهم وبعض مخاوفهم من الحرمان كبالغين.

بدأ "الن" - رجل الأعمال الذي استخدمت زوجته الابتزاز العاطفي لتمنعه من وضع خطط لا تشملها - في رؤية بعض الدعائم التي تبني "جو" عليها سلوكها عندما أصبحت متقلبة المزاج بشدة مع اقتراب ذكرى وفاة والدها.

سألتهما ما إذا كان هناك شيء أستطيع القيام به لأخفف عنها، فأخرجت بعض صور تخرجها في المدرسة الثانوية التي لم أرها من قبل. وكان والدها قد مات قبل ليلتين من التقاط هذه الصور، وكانت تبدو مثل فتاة صغيرة مذعورة تحاول رسم ابتسامة على وجهها. وقد اتضح أنها اضطرت للقيام بكل شيء بعد موته - الاتصال بالأقارب والقيام بترتيبات الجنازة، بل وحتى إعداد نفسها لاحتفال كبير في المدرسة لأنها كانت ستلقي خطاباً ساعدها والدها على كتابته. كان عليها أن تجمع شتات نفسها لأن باقي أفراد عائلتها كانوا قد انهاروا. وقد سألت أمها عن هذا مؤخراً، وقالت إن "جو" لم تيك كثيراً أيضاً، لكنها انعزلت في غرفتها.

أخبرتني "جو" بأنها لم تحب أحداً بقدر ما أحبت والدها، وقد رحل عنها فجأة؛ ولذا، أعتقد أنها خائفة دائماً من أن أغادر، وتمسكها بي هي طريقة للاحتفاظ بي.

إن الابتزاز العاطفي هو الطريقة الوحيدة التي تعرفها "جو" للتأقلم في عالم لا تتق به، عالم هي متأكدة أنه سيسلبها ما تحبه. إن الأشخاص الذين واجهوا خسارة وحرماناً كبيرين في طفولتهم عادة ما يصبحون كثيري المطالب على المستوى العاطفي وعالة على الآخرين بشكل واضح كبالغين كي يتجنبوا الإحساس بالرفض أو الهجر أو التجاهل.

كان مستوى "جو" في المدرسة جيداً وقد أشعرها والدها بأن لها قيمة، لكن أياً من ذلك لم يكن كافياً لحمايتها؛ ولذا، فإن الإحساس العميق بالعجز في الطفولة لازمها، وحاولت كشخص بالغ أن تعوض هذا بوضع إستراتيجيات مفصلة لحماية نفسها من الشعور بالأثم إلى هذا الحد مرة أخرى. وقد تعلمت أن تتشبث بأصدقائها وأحبائها بقوة، لكنها لم تجد يوماً طريقة ملائمة للتعبير عن خوفها بأنها مهما فعلت، فإنهم سيُسلبون منها.

وعندما تزوجت "ألن"، تصاعدت مخاوفها. فبدلاً من أن تكون قادرة على الاستمتاع بعلاقتهم، أصبحت خائفة من أن يضع "ألن" خططاً في أي وقت لا تكون هي جزءاً منها. وأقنعت نفسها بأنه إذا أبقتة معها طوال الوقت، فلن تتجنب خسارته وحسب، لكنها ستستعيد أيضاً بعضاً من الأمن الذي فقدته عندما مات والدها. وكان لديها اعتقاد راسخ شائع بين الكثير من المبتزين عاطفياً: أنا لست واثقة بأنني سأحصل على ما أريد؛ ولذا سأستغل كل فرصة تأتيني. وهذا برر كل أشكال التشبث والابتزاز.

مزيج من الأسباب

كان من السهل إلى حد ما تعقب الجذور الأولية التي ينبع منها إحساس "جو" بالحرمان، لكن ضع في الاعتبار أن السلوك الإنساني معقد، وينبع من مجموعة متنوعة من العوامل النفسية والسلوكية. وعادة ما يتحدى هذا السلوك الإنساني أي تفسير فردي. نحن ولدنا بحالات نفسية معينة وميول جينية - مجموعة الدوائر الفريدة الخاصة بنا - وهذه العناصر تتفاعل مع الطريقة التي تتم معاملتنا بها وما نعرفه عن أنفسنا وعلاقاتنا مع الآخرين، وتشكل حياتنا الداخلية والخارجية.

"إيف" - التي كان زوجها "إليوت" الذي يعمل فناناً يعاني حساسية مفرطة تجاه الاكتئاب وكان يهددها باستمرار أن يؤذي نفسه عندما يشعر بالخطر - أخبرتني في مرة بمحادثة جرت بينها وبين أخت "إليوت".

ضحكت أخت "إليوت" عندما سألتها عما إذا كانت تعرف سبب دخوله المستمر في نوبات غضب، وقالت إنه على هذه الحالة منذ ولادته. فحتى عندما كان رضيماً، إذا لم تكن زجاجة الرضاعة في فمه بشكل مناسب، أو إذا ظل مبتلاً لثانيتين، كان صراخه يملأ أركان المنزل. وعندما كبر قليلاً، كان مصدرًا للعرب بنوبات غضبه هذه. وقالت هذه هي طريقته في التصرف بغرابة - لقد كان الطفل الأكثر تطلبًا واحتياجًا الذي رأته على الإطلاق.

نشأ ذلك الطفل ليكون شخصًا بالغًا كثير الاحتياجات يواصل الدخول في نوبات غضب ليحصل على ما يريد؛ ولذا، جزء كبير من الحالة المزاجية الأساسية لـ "إليوت" كان متأسلاً في مرحلة طفولته، بما في ذلك مقاومته الضعيفة للاكتئاب.

يعد تكملة هذه العوامل الجينية أو تعزيزها بالطبع رسالة قوية ممن يمتنون بنا ومن المجتمع بشأن من نكون وكيف يفترض بنا أن نتصرف. وهناك تجارب محددة في الطفولة والمراهقة وحتى في حياتنا كبالغين تخلق معتقدات ومشاعر قوية تطفو في أحيان كثيرة على السطح، خصوصًا في الصراعات أو عندما نكون واقعيين تحت ضغط. ونحن نعود إلى تلك الأنماط القديمة لأنها مألوفة لنا، وعلى الرغم من أنها قد تتسبب في شعورنا بالألم، فإنها تقدم نهجًا مطمئنًا ويمكن التنبؤ به. ونؤمن أيضًا بأنه حتى إذا لم يكن التصرف القديم قد حقق نتائج ناجحة معنا من قبل، إلا أننا عندما نقوم به هذه المرة، سيؤتي ثماره.

ومثلما هي الحال مع "جو"، فإن الكثير من المبتزين لديهم تخيل بأن العجز وعدم الكفاءة اللذين شعروا بهما كأطفال سيتلاشيان، والآن كبالغين، يستطيعون - بطريقة سحرية - "إصلاح" موقف سيئ أو إسعاد أب حزين أو ضمان الأمن الذي يتوقون إليه. ويعتقدون أنهم يستطيعون تعويض بعض من إحباطات الماضي من خلال تغيير واقعهم الحالي.

عندما تكون الأزمة هي العامل المحفز

قد يكون عدم القدرة على تحمل الإحباط استجابة أيضاً للشكوك والضغط الحديثة نسبياً؛ حيث تزداد احتمالية حدوث ابتزاز زيادة مهولة خلال أزمات مثل الانفصال أو الطلاق، وفقدان الوظيفة، والمرض، والتقاعد، التي تقوض إحساس المبتزين بأنفسهم كأشخاص ذوي قيمة. ومعظم الوقت لا يكون هؤلاء الأشخاص مدركين بوعي لمخاوفهم المثارة حديثاً، وكل ما يمكنهم رؤيته هو ما يريدونه الآن وكيف يحققونه.

بالنسبة لـ "ستيفاني"، فإن الأزمة المحفزة كانت اعتراف زوجها بعلاقتها غير الشرعية القصيرة. كان "بوب" يعمل جاهداً لترسيخ دعائم الزواج مرة أخرى، ويحضر جلسات علاجية بشكل منتظم، لكن "ستيفاني" ظلت عنيدة بشأن حقها في إبقاء "بوب" ملتزماً بالسلوكيات القوية عن طريق جرعات صحية من الابتزاز العاطفي. وبعد عام من غضبها وانتقامها، كان "بوب" مستعداً تقريباً للاستسلام. أخبرته بأنها ستكون فكرة جيدة لها أن يحضرا جلسة استشارات زوجية مشتركة، ووافقت "ستيفاني" على ذلك.

أنت من بين كل الناس ستفهميني بالتأكيد؛ فلقد قرأت كل كتاب وأنت تتحدثين كثيراً عن ضرورة عدم ترك الآخرين يتمادون في خطئهم وضرورة مواجعتهم ووضع حدود للأمر. وأنا لذي كل الحق في أن أغضب، و"بوب" يستحق بعض العقاب جزاء ما فعله.

أخبرت "ستيفاني" بأنها لها الحق بالتأكيد في أن تشعر بالغضب والإساءة والخيانة والصدمة، وأنا لا أريد أن أقلل من قدر ألمها بأية طريقة؛ لكنني أخبرتها بأن هناك فرقاً كبيراً بين المواجهة والابتزاز العاطفي. وعلى الرغم من أنها قد تشعر بالرضا حين تلعب دور الزوجة المظلومة المنتقمة وتضغط على "بوب"، فإن زوجها معرض للانهايار.

أصبح موقف "ستيفاني" أقل دفاعية بشكل ملحوظ مع مضي الجلسة قدمًا، وبينما كانت "ستيفاني" تصف وهي تبكي كيف كان شعورها عندما اكتشفت علاقة "بوب" بامرأة أخرى، ظهرت طبقة أخرى من الأسباب التي تسلط الضوء على سبب الصعوبة التي وجدتتها في التغلبي عن حاجتها للانتقام.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أعطيت فيها قلبي وروحي لرجل يخذلني، وكان "بوب" يعرف ذلك. كيف له أن يفكر في امرأة أخرى في حين أنه يعرف كم كنت مدمرة نفسيًا عندما خانني زوجي الأول؟ لقد كاد ذلك يقتلني. ما الذي يفترض به فعله الآن؟ كيف يمكنني أن أتق به مرة أخرى؟ فأنا لم أشعر في حياتي بأنني غير جذابة ومهانة وغير صاحبة كفاءة و... بالقدر نفسه الذي أشعر به الآن!

لم تكن "ستيفاني" غير قادرة على التعايش مع ما قد فعله "بوب" وحسب، وهو ما كان صعبًا عليها بما يكفي، ولكن جاء ذلك مع الألم النابع من تجربتها مع زوجها الأول أيضًا. ونتيجة لعدم ثقة "ستيفاني" بـ "بوب" وعدم ثقها بنفسها، قامت بالرد على ما فعله "بوب" بالابتزاز العاطفي العقابي، وهي الطريقة الوحيدة التي شعرت بأنها تستطيع من خلالها استعادة السيطرة على الفوضى العاطفية داخلها.

وعلى الرغم من وجود مشكلات من طفولة "ستيفاني" قد لعبت دورًا على الأرجح في ردود أفعالها، فإننا ركزنا على الأمثلة المشابهة في حياتها كامرأة راشدة. وعندما رأت "ستيفاني" كيف أن الألم الذي تحمله معها من زواجها السابق يشكل خطرًا على احتمالية الاستمتاع بعلاقة طيبة مع "بوب" مرة أخرى، وافقت على زيارة زميلة لي. وتعمل هي و"بوب" جاهدين، واستطاعا أن يستخدما هذه الأزمة كعامل محفز لفتح قنوات جديدة للتواصل والاستكشاف. وأنا أعتقد أنهما سينجحان في التغلب على الأزمة.

حياة ساحرة

من أكثر المبتزين المعيرين هم الأشخاص الذين يبدو أن لديهم كل شيء ويريدون المزيد. وليس من المنطقي - فيما يبدو - أن نشير إلى أن الحرمان هو ما يفهمهم لذلك؛ لأنهم يبدو أنهم لم يعانون منه إلا في حالات نادرة. ولكن في أحيان كثيرة، لا يعطى الأشخاص الذين يتعرضون لحماية مفرطة وتدخل زائد على فرص كافية لتعزيز الثقة بقدراتهم على التعامل مع أي نوع من أنواع الخسارة. وقد يبدو للوهلة الأولى محرومين ومرعوبين، ويعززون أنفسهم بالابتزاز.

كانت تلك بالتأكيد هي الحال مع زوج "ماريا" الطبيب "جاي". وتقد عرفت من عملي مع "ماريا" أن "جاي" رجل قد أتى كل شيء إليه بسهولة. فقد انتهى سريعاً من الدراسة في كلية الطب، وصنع لنفسه اسمًا كطبيب عبقرى لكونه رائدًا في إجراء عدد من العمليات الجراحية وتقل بسهولة في أرقى الأوساط الاجتماعية. كانت الكلمة التي خطرت على بالي هي الاستحقاق.

كانت طفولته رائعة. لم تكن هناك معاملة سيئة. لم تكن هناك صدمات نفسية. لم يكن هناك سوى الحب. كان أبوه فقيرًا وأول فرد في عائلته يلتحق بالجامعة، لكنه كان رجلًا رائعًا؛ فقد اجتاز الدراسة في كلية الطب مع مزيج من العمل الشاق والتحدي وساعتي نوم ليلاً. وكان يعمل نادلًا بدوام جزئي ليحصل على ما يكفي من المال للخروج مع والدة "جاي". وقد أخبرني بأحد الأشياء التي وعد نفسه بتحقيقها ألا وهي ضرورة ألا يعاني "جاي" مثلما عانى هو. كان "جاي" طفلًا أثيرًا لدى والديه، لا شك في ذلك. وعندما قرر أن يصبح طبيبًا، لم يبخلا عليه بأية نقود ليحصل على مجموعة الأدوات الكيميائية والذهاب إلى معسكرات العلم الطلابية. لم يكن مضطربًا إلى العمل بدوام جزئي. فقد قدم له العالم على طبق من ذهب - إلى جانب دروس التنس والسترات الأنيقة المصنوعة من الكشمير وبالطبع الكثير من الفتيات.

كانت حياة "جاي" أكثر من مميزة - فقد كانت مذهلة. لكن بينما كان والده يحرص على ألا يجد الحرمان مكاناً في حياة "جاي"، لم يفعل شيئاً يذكر لإعداده لمواجهة خيبات الأمل أو الإخفاقات.

هناك جانبان سلبيين لهذه الحياة الساحرة، فالأشخاص الذين ينشئون في هذا المناخ الآمن يضعون توقعات غير واقعية ويعتقدون أن أي شيء يريدونه سيقدّم لهم على طبق من ذهب. والأمر الأكثر إضراراً هو أنهم محرومون من فرصة تطوير المهارات الأساسية التي نحتاج إليها جميعاً للتعامل مع الإحباطات. فمع ما بدت أنها دوافع ونيات طيبة، تسبب والد "جاي" في الحقيقة في حدوث إعاقة عاطفية لديه.

وعندما طلعت "ماريا" في إيمان "جاي" بأن له الحق في الحصول على كل شيء - الوظيفة والعائلة والزوجة والعشيقة - كانت أول شخص عزيز عليه يهدد بأن يحرمه من شيء مهم. كان "جاي" مذعوراً؛ حيث إن هناك شخصاً ما قد غير قواعد اللعبة، فكان الابتزاز العاطفي وسيلته لاستعادة مكانته المعتادة فوق الجميع.

غريباء حميمون

عندما استعان "جاي" بوالديه للضغط على "ماريا" لتبقى معه، لم تصدق ما كانا يقولانه لها:

يا إلهي - من الذي أتعامل معهم هنا؟ الأشخاص الذين أحببتهم واحترمتهم يبدون لي فجأة بلا قناعات أخلاقية على الإطلاق. هل الحفاظ على المظاهر أهم من المشاعر وكرامة الإنسان الأساسية؟

شاهدت "ماريا" "جاي" يتحول من الشخص الساحر الذي يعجبها بجنون إلى غريب متلاعب مراوغ. عندما يلجأ أشخاص مقربون منا إلى الابتزاز العاطفي، نصدم بمدى التحول الذي يحدث في شخصيتهم، وهي عملية قد تكون تدريجية أو سريعة على نحو مدهش. والكثير من الألم والارتباك الذي

يتسبب فيه الابتزاز العاطفي ينبع في الحقيقة من رؤية أشخاص نهتم بأمرهم وبعقد أنهم يهتمون بأمرنا يتحولون لأشخاص يريدون فرض إرادتهم لدرجة أنهم مستعدون أن يضربوا بمشاعرنا عرض الحائط.
كان ينتاب "ليز" شعور من الارتباك عندما أخبرها "مايكل" بمدى القسوة التي سيعاقبها بها إذا استمرت في الحديث عن الرحيل عنه.

قال مايكل: " المال الذي سيتبقى معك عند الانتهاء من إجراءات الطلاق لن يكفي لشراء طعام كلاب. وعليك أن تقبلي أولادك قبلة الوداع؛ لأنني أفكر في أخذهم إلي كندا كي لا يستمعوا إلي أكاذيبك عني". هذا رجل تزوجته ونمت معه على سرير واحد. من هذا الشخص بحق الله؟

من الواضح أن اللوم والتهديد والمقارنات السببية وغيرها من الأدوات التي رأيناها ليست الأشياء التي جذبتنا إلى إقامة تلك العلاقات الوثيقة، وليست بالطبع سبب استمرارنا فيها. هناك أشخاص يشاركوننا حياتنا وعملنا ومشاعرنا وأسرارنا، لكن عندما يتدخل الابتزاز العاطفي، نواجه سريعاً بعض الجوانب غير السارة في شخصيتهم - الأنانية والمبالغة في رد الفعل والإصرار على تحقيق مكاسب قصيرة الأمد حتى لو ستؤدي إلى خسائر طويلة الأمد، والرغبة في الفوز، بغض النظر عن أي شيء آخر.

رضاهم أولاً وأخيراً

إن جميع المبتزين الذين رأيناهم يركزون تقريباً بشكل كامل على رغباتهم واحتياجاتهم، ولا يبدون أي مظهر من مظاهر الاهتمام باحتياجاتنا أو مدى تأثير ضعفهم علينا.

يمكن للمبتزين عاطفياً أن يتحولوا إلى قوة ساحقة عندما لا نرضيهم، ويفتقرون إلى الرحمة في سعيهم الحثيث نحو تحقيق أهدافهم. وهذا نوع غريب من الحب يغفل تماماً مشاعر الشخص المستهدف.

من أفضل الأمثلة على المبتزين النرجسين هو زوج "باتي"، "جو" الذي استشاط غضباً عندما قالت له "باتي" إنهما لا يستطيعان تحمل تكلفة شراء كمبيوتر جديد. وفي حادثة وقعت مؤخراً، كان إيثارة لنفسه جلياً للغاية:

يجني "جو" مالاً وفيراً، لكنه ينفقه في وقت أسرع من الوقت الذي يستغرقه أي منا في كسبه؛ ولذا، عادة ما نكون متأخرين في كل شيء. في الأسبوع الماضي تراكمت علينا الفواتير بكثرة، وطلب مني أن أتصل بعمتي وأطلب منها أن تقرضنا بعض المال. عمتي ميسورة الحال، لكنها كانت قد خضعت لتوها إلى عملية جراحية لاستئصال ورم سرطاني في الثدي. قلت له إنه من المستحيل أن أزججها بهذا، ولم أصدق كيف بدأ في الضغط عليّ: "إليك رقمها في المستشفى؛ لست مضطرة للبحث عنه. اتصلي بها الآن - لا شيء في ذلك. فهي لا تعاني أي ألم ولقد كنت دائماً من الأشخاص المفضلين لها. لماذا لا تقومين بهذا الشيء الصغير من أجلي؟".

سرطان الثدي؟ مستشفى؟ جراحة؟ لا توجد مشكلة بالنسبة لهذا المبتز. ففي النهاية، هو يريد شيئاً. الآن. وفي وقت الضرورة الملحة، وكأنه لا يوجد غيره على وجه الأرض.

وفي كثير من الأحيان، تتبع أنانية المبتز من اعتقاد أن مخزون الانتباه والحب المتوافر له محدود - ويتضاءل بسرعة. كان "إليوت" أنانياً لدرجة أنه حتى عندما أرادت زوجته أن تتلقى بعض الدورات التدريبية لضمان وظيفة احتياطية، كان لا يفكر إلا في تأثير ذلك عليه. ففي ذهنه، نجاح "إيف" سيسلبه الأمن. ماذا إذا احتاج إلى شيء وهي غير موجودة؟ ماذا إذا أصابه الملل أو الوحدة؟ من سيعتني به؟ الكون يتمحور حوله، مثلما كان يتمحور حوله وهو طفل. ومرة أخرى، يصبح الطفل الاستبدادي ذا الخمسة أعوام الذي يطلب الاهتمام والرضا الكاملين من الشخص الذي يعتمد عليه، ودائماً ما يريد المزيد.

يهوئون من شأن الأمور

عادةً ما يتصرف المبتزون عاطفياً وكأن كل خلاف هو عنصر حاسم في العلاقة، ويشعرون بخيبة أمل واحباط شديدين عندما يواجهون مقاومة لدرجة أنهم يضخمون أي خلاف صغير ويسمحون له بأن يضيء صبغته على العلاقة بأسرها. لماذا يثير أي إنسان مشكلة لأنك لا تريد تناول العشاء مع والديه، أو يهاجمك لأنك تريد أخذ دورة تدريبية، أو الذهاب في رحلة صيد، أو لأنك لم تكن متحمساً لخططه؟ إن ضراوة رغبة المبتز لا تكون منطقية إلا عندما تدرك أنه لا يصدر رد فعله بناء على الموقف الحالي، لكن على ما يمثله لك الموقف له من تجاربه الماضية.

وقد اتضح من بعض الأشياء التي أخبرتني بها "إيف" عن خلفية "إليوت" أنه يعتقد أن الرجل لا يمكنه الحصول على ما يريده من امرأة مستقلة.

أتذكر أنه حكى لي عن أبيه وشكواه من تعرضه للإهمال. لا بد أن والدة "إليوت" كانت رائدة حقيقة في عالم الأعمال، وكانت تدير شركة ملابس أطفال صغيرة، وهو عمل عظيم - إلا بالنسبة لزوجها الذي كان يكره عملها. قال "إليوت" إن أكثر شيء يتذكره هو غياب أمه الكثير عن المنزل. كانت شخصية حنوننة عندما كانت تتواجد بالمنزل، لكنها كانت تغادر فجأة في رحلة عمل، وكان يفتردها بشدة. كان والده يفضب منها معظم الوقت، وكان باستمرار يقول أشياء على غرار: "هؤلاء النسوة اللعينات - يبذلن من أجلك كل ما بوسعهن عندما يحتجن إليك - لكنهن ينسين أنك موجود في حياتهن عندما يشرعن في تحقيق النجاح". أعتقد بأنك إذا استمعت إلى ذلك بما يكفي فإنه يتسرب إلى ذهنك ويستقر في اعتقادك.

الرسالة التي توصل لها "إليوت" كانت واضحة: لن تكون المرأة زوجة صالحة إلا إذا حرصت على أن تظل معك طوال الوقت. هو على الأرجح سينكر إيمانه بهذا المعتقد، لكن رد فعله المبالغ فيه تجاه "إيف" يكشف أن

التصورات القديمة كانت تتم إثارتها. بالنسبة لـ "إليوت"، فإن أية علامة على الاستقلالية في المرأة تمثل تهديداً. وقد أصبحت "إيف" بديلاً لأمه، المرأة التي يعتمد عليها عاطفياً والمتعلق تماماً بها. وهي - أيضاً - ستخلى عنه، كما تصور أن أمه قد تخلت عن والده - وعنه - من خلال التغييب لفترات طويلة عن البيت. وفي كل مرة تحاول فيها "إيف" مغادرة المنزل، يبدأ "إليوت" في استعادة إحساسه القديم بالحرمان.

كما هي الحال مع جميع ردود الفعل المبالغ فيها، فإن الكثير من الانفعالات يتم التنفيس عنها؛ ولكن المشاعر الحقيقية الكامنة نادراً ما يتم التعبير عنها. كان "إليوت" يتوق إلى الحميمة، ولكن الوايل الذي يفتحه على "إيف" يكاد يضمن له عدم الحصول على ما يريد. هيا نلق نظرة على ما تم التعبير عنه وما لم يُعبر عنه حين اقترحت "إيف" عليه التفكير جدياً في الحصول على مساعدة محترفة للتغلب على مخاوفه.

ما يقوله "إليوت": "ستخرجين وتفعلين ما تريدن وسأكون وحيداً - لماذا يجب أن أعيش؟ أنت لا تهتمين بي ولو بالقليل".

ما يعنيه "إليوت": "أنا خائف لأنك تتغيرين. في البداية، كنتُ كافياً بالنسبة لك، ولكن ليس بعد الآن. إذا التحقت بهذه الدورات التدريبية، فأخشى أن تحصلني على وظيفة، ولن يكون لديك وقت لي. أخشى أن تتعرفني على رجل آخر. أخشى أن تصبحي مستقلة أكثر مما ينبغي، وبالتالي لن تحتاجني إليّ وستركينني".

لم يكن هذا النوع من التواصل ضمن مهارات "إليوت" لأنه لو كان قادراً على ذلك، لما تعين عليه اللجوء إلى الابتزاز العاطفي. ربما كان "إليوت" - مثل كثير من الرجال - يخجل من شعوره بالاحتياج والمخاوف التي تنتابه، وكان الخيار الوحيد الذي رأى أنه سيمكنه من الحصول على ما يريد هو الصراخ والموويل مبالغاً في رد فعله تجاه أدنى مؤشر على رغبة "إيف" في تحسين نفسها ومهاراتها.

مشاعر من وقت آخر

كان "روجر" - كاتب انسيناريو - مندهشاً من الهجوم المحدث الذي شنته "أليس" عليه عندما أبدى عدم التحمس لاقتراحها بأن يتجبا صيبياً. وعندما بدأ غير متأكد بشأن ما يريد، بالغت "أليس" في رد فعلها على نحو تقليدي.

أنت لم تهتم يوماً بي اهتماماً حقيقياً. كيف لك أن تسمي هذا حباً في حين أنك لا تريد أن تأخذ أية خطوات تقرينا من بعضنا. أنا لم أعد أثق بك، بل لست واثقة ما إذا كنت لا أزال أحبك! أنت تعاني مشكلات خطيرة، وتحتاج حقاً إلى مساعدة!

لكن ذات مساء في إحدى جلسات برنامج معالجة الإدمان، تمكن "روجر" من اكتساب رؤية مهمة بخصوص المخاوف الكامنة وراء ضغط "أليس" الشديد للإنجاب منه والتمتع بالتزام طويل الأمد من جانبه. وقد أخبرتنا بالآتي:

أنا لا أؤمن بشيء إلا باللحظة الآنية، فأنا منغمسة في الحاضر وأتمسك به بشدة. كان أبي مدمناً على القمار، وكنت أحبه بحق، لكن إدمانه على القمار يعني أنه يوماً ما تصبح غنياً وفي اليوم التالي تحصل على مستلزماتك من الجمعيات الخيرية ولا تستطيع الرد على الهاتف لأن من يتصل هم الدائنون. كل شيء كنت أحصل عليه في طفولتي كان معرضاً لأن يسلب مني في أي وقت - المال المخصص لجلسة الأطفال، الهدايا التي ألقاها من الآخرين، أي شيء يمكن رهنه. حتى أبي كان يأتي ويرحل، وأحياناً كان يغيب عنا لأسابيع. هل خطئي أنني أريد قدرًا من الأمان وقدرًا من الالتزام؟ هذه تبدو قيمًا جيدة بالنسبة لي. ما العيب في الحب؟

نقدت "أليس" أعواماً خائفة من أن يختفي ما تمتلكه فجأة، وليس من المستغرب أنها أرادت ضمانات من أجل المستقبل. لكنها مثل معظم

المبتزين، استخدمت أسلوباً قاسياً في محاولتها الانتفاف حول مقاومة الشخص الذي تستهدفه.

إن رد فعل "أليس" المبالغ فيه - والذي أخذ شكل الهجوم اللفظي الحاد على "روجر" - نابع من مكان ما داخلها مليء بالجوع والخوف. ومهما بلغ تمسك "أليس" بـ "روجر"، فإنه لن يستطيع ملء ذلك المكان، حتى لو أراد ذلك.

ومن خلال مشاركة "أليس" في برنامج معالجة الإدمان، تمكنت من رؤية كيف أنها كانت تحاول تقييد "روجر"، وأدركت أنها ستجد صعوبة في إقامة أية علاقة إذا لم تعمل على تغيير نفسها. واستطاعت منذ ذلك الحين أن تقلل الضغط بشكل ملحوظ على "روجر" وأن تعطي للعلاقة الوقت الكافي لتتطور بشكل طبيعي.

الفوز في معركة وخسارة الحرب

كثيراً ما يفوز المبتزون باستخدام أساليب تسفر عن شرخ عميق يصعب رأه في العلاقة. ولكن الفوز قصير الأمد يبدو في كثير من الأحيان انتصاراً كافياً لأنه ليس هناك مستقبل يجب وضعه في الاعتبار.

ومعظم المبتزين يتصرفون من منطلق عقلية "أنا أريد ما أريده في الوقت الذي أريده"، ويبدو أنهم يعانون - كالأطفال - عدم القدرة على ربط التصرفات بالموافق ويبدو أنهم لا يلقون بالأل للنتائج التي سيتعرضون لها بعد أن يجبروا الشخص المستهدف على الامتثال لهم.

من الصعب تصديق أن "مايكل" أو "إليوت" و "أليس" أو "جاي" أو "ستيفاني" أو أي مبتز آخر تعرضنا له في الكتاب حتى الآن يفكر في أنه سيتبقى له أي شيء ذي قيمة إذا استسلم هدفه إلى تهديداته وضغوطه. ما نوع العلاقة التي يتوقع والد "جوش" أن تنشأ مع ابنه إذا قدم له "جوش" الفوز الذي ينشده والده من خلال التخلي عن حبيبته "مارجريت" - التي أجبرها زوجها "كال" على الذهاب معه إلى الحفلات الماجنة؟ - استسلمت إلى الابتزاز العاطفي لزوجها، لكن ذلك كان بمثابة الضربة القاضية لزوجها.

أخذت "ليز" بعض الوقت لتنظم شئون حياتها من خلال ما يبدو أنه استسلام لتهديدات "مايكل". وكما قالت "ليز":

اتصلت بالمحامي وطلبت منه إيقاف جميع الإجراءات. وأنا كلي أمل أن يستعيد "مايكل" هدوءه ليجري معي حوارًا عقلانيًا على الأقل. كان يتعامل معي بمذوبة لأنه يعتقد أنه جعلني أفعل ما يريد وأنني في النهاية سأذهب إليه وأقبله وأصالحه. لكن الحقيقة أنني فعلت ما فعلته دون اقتناع؛ فأنا أعيش مع رجل لم أعد أشعر تجاهه بإعجاب، ناهيك عن حب.

إن أي منطلق أو قدرة على رؤية المبتزين لعواقب أفعالهم يتم حجبتها من خلال الحاجة الملحة التي يشعرون بها للتمسك بما لديهم. فهم محاطون بضباب خاص بهم يجعلهم غافلين عن رؤية إلى أي مدى يجعلون الآخرين ينفرون منهم بسبب تنمرهم. كل ما يهمهم هو العثور على راحة فورية من مخاوف الحرمان التي تتناهم - مهما كانت تكلفة هذه الراحة.

مكاسب العقاب

عندما ننظر إلى أي مدى يخشى المبتزون الحرمان بشدة، تتضح لنا صورة أكثر اكتمالاً ويصبح من الأسهل فهم سبب تصرفهم على النحو الذي يتصرفون به. ولكن هناك سؤالاً يزعج الكثيرين ممن تحدثت معهم عن هذا الموضوع: لماذا يحتاجون إلى عقابنا؟ وتجدهم يتساءلون: "حسنًا، أنا أتفهم سبب إزعاجهم لنا أو ضغطهم علينا أو حتى تهديدنا، لكن لماذا يؤذوننا إذا لم نلب رغباتهم؟".

يبدو الأمر في كثير من الأحيان كأن الهدف من الابتزاز العاطفي ليس أن ينتاب المبتز شعور جيد وحسب، بل أن ينتاب الشخص المستهدف شعور سيئ أيضًا. فالمبتزون يحاصرون الآخرين بمطالبهم ويحطون من قدراتهم على إنجاز المطلوب. وفي محاولاتهم لإظهار صحة ما يفعلونه، فهم يطعنون في شخصيتنا ويشككون في دوافعنا، وحتى عندما تكون تهديداتهم بالعقاب

موجهة لأنفسهم أكثر مما هي موجهة إلينا، فهم يستهدفوننا من خلال إغراقنا في الشعور بالذنب.

وأحد الأسباب الواضحة هو الفرق بين ما يقوله المبتزون لأنفسهم لتبرير ما يفعلونه وسبب قيامهم به - "الالتفاف" الذي رأيناه في الفصل السابق - والتأثير الفعلي لسلوكهم علينا. لا يرى المعاقبون أنفسهم أنهم يعاقبون، بل يحافظون على النظام أو يديرون الأمور بحزم أو يقومون "بما هو مناسب" أو يعرفوننا أنهم لا يمكن الضغط عليهم. ويرون أنفسهم كأشخاص أقوياء ومسؤولين. وإذا كانت تصرفاتهم تجرحنا، لا بأس في ذلك.

وكما رأينا من قبل، فإن كثيراً من المعاقبين يرون أنفسهم كضحايا. وفي الواقع، كلما زادت إساءة المبتزين، زاد تحريفهم للحقائق. فحساسيتهم المفرطة وأتانيتهم تضخمان الآلام التي يشعرون بها وتساعدانهم على تبرير انتقامهم منا بسبب ما يرون أنها محاولات متعمدة لإحباطهم.

ويتيح العقاب أيضاً للمبتزين أن يتخذوا موقفاً نشطاً وعدائياً يجعلهم يشعرون بالقوة والحصانة. وهذه طريقة فعّالة للغاية بالنسبة لهم لتهديئة أي شعور بوجود تهديد متصور بالحرمان وكبحه. ففي النهاية، إذا كان هناك شخص ما يصرخ أو يهدد أو يصفع الباب أو يرفض التحدث معك، فلا يوجد هناك متسع كبير من الوقت للتعامل مع المشاعر.

ومن البديهي أن ما لا نعبر عنه بالكلمات، نعبر عنه بالأفعال. فلو خصص المعاقبون لأنفسهم عدة دقائق ليفحصوا فيها ذاتهم، فسيصابون على الأرجح باشمئزاز من المخاوف والضعف الذي سيكتشفونه. إن من أكثر المفارقات المثيرة في السلوك الإنساني أن الأشخاص المعاقبين الغاضبين يكونون خائفين للغاية، لكنهم نادراً ما يواجهون تلك المخاوف أو يقلصونها. وبدلاً من ذلك يهاجمون الآخرين عندما يشعرون بالإحباط لإثبات مدى قوتهم. ويتسببون في قدر هائل من التعاسة بسلوكهم لدرجة أنهم في كثير من الأحيان يتسببون في رحيل الآخرين عنهم، وهذا يضمن تحقق أسوأ مخاوفهم.

تقليص خسائرهم

أكثر المبتزين ميلاً للعقاب هم في الغالب الأشخاص الذين فقدوا أو يخشون فقدان شخص ما مهم لهم: لأن ذلك الشخص يعتمد عاطفياً أو بسبب انفصال أو طلاق أو شرح عميق في العلاقة.

هل تتذكر "شيري" و"تشارلز"، الرجل المتزوج الذي كانت تعمل لديه والذي هدد بطردها إذا أنهت علاقتها العاطفية به؟

في لحظة ما كنتُ المرأة الأكثر جمالاً وحماساً وإثارة في العالم، لكن بمجرد أن قلت له إنني أشعر كأنني أسير في طريق مسدود، وإن عليّ أن أرحل لأمضي قدماً في حياتي، أصبحتُ الشريرة متحجرة القلب التي لا تراعي كل الضغوط التي تقع على كاهله والمحاولات الكثيرة التي يبذلها لتسيير الأمور. والآن يخبرني بأن كل ما يفعله هو العطاء والعطاء والعطاء، وكل ما أفعله هو الأخذ والأخذ والأخذ - وهو العكس تماماً مما يحدث. أوه - وفجأة أصبح يجد أخطاءً في كل شيء أفعله في العمل. إذا كان يحاول أن يجعل حياتي بائسة، فهو يبلي بلاءً حسناً في ذلك. كيف تحول وأصبح بهذا الشكل؟

عندما واجه "تشارلز" خسارة عشيقته الشابة، ورأى أن تهديداته لا تجدي نفعاً، قام بفعل شيء ما للتخفيف من ألمه - قام بالانتقاص من قيمتها. فإذا استطاع أن يجعلها أقل جاذبية، وأقل قيمة، فهو إذن لم يخسر كثيراً، وسيخف شعوره بالحرمان إلى حد كبير. ففي النهاية، يسهل التخلي عن البضائع المعيبة. ويستطيع كذلك بسهولة تبرير فصلها من العمل من خلال الانتقاص من قيمة عملها. انتقاص مزدوج في القيمة، وعقاب مزدوج أيضاً.

يعد الانتقاص من القيمة أسلوباً شائعاً بين المبتزين الغاضبين؛ فهو يخفف من وطأة المواجهة ويمكنهم من تقليص مشاعر الخسارة لديهم. لكن في أثناء قيامهم بذلك، يبعثون للأشخاص المستهدفين برسائل مزدوجة مربكة. فالأمر يبدو كأنهم يقولون: "أنت لست شخصاً جيداً، ولكني سأبدل كل ما بوسعي للتشبث بك" - مثال آخر على مدى اليأس الذي يشعرون به.

وحتى لو كان إنهاء العلاقة هو آخر شيء يريدون حدوثه في العالم، فإنهم في كثير من الأحيان يبادرون بالانفصال إذا شعروا بأن شريكهم جاد بشأن الرحيل؛ فموقفهم العدائي يتيح لهم الاستمرار في التحكم في الأمور، كأنهم يتبعون الإجراء الوقائي لحفظ ماء الوجه: "دعني أستقل قبل أن أقال".

تلقينا درسًا

على غرار الآباء الذين يعتقدون أن العقاب سيقوم شخصية الطفل، فإن المبتزين ربما يقنعون أنفسهم بأنهم يساعدوننا بعقابهم. فبدلاً من أن يشعروا بالذنب أو تأنيب الضمير بشأن إيذاء شخص ما يهتمون كثيراً بأمره، يشعرون في الواقع بالفخر، فهم يجعلون منا أشخاصاً أفضل، ويعلموننا دروساً مستفادة.

"اليكس" - الذي قابلناه في الفصل الثاني ينتمي لنوعية المبتزين المغربيين - كان يعتقد عندما يقدم وعوداً لخطيبته "جولي" بأن يساعدها ويقدمها إلى معارفه، لكنه يعلق عروضه لها إلى أن "ترتقي إلى المستوى"، فهو بذلك يسدي لها معروفًا عظيمًا:

قال لي إن إرسال ابني إلى زوجي السابق سيكون أفضل شيء بالنسبة لي. كل كلامه كان يدور حول "أنت تعوقين نفسك" و"أنا فقط أريد أن أراك تكتشفين إمكانياتك، في حين أن ما كان يريد حقا هو أن أكون ملكا له دون وجود ابني في حياتنا. حقا، لقد كان كريما بالفعل.

ويمكن تفسير الإهانات ومعاملة الآخرين كأطفال بمنطق "هذا لمصلحتك". وبوجه عام، هناك قدر ضئيل جداً من الخبث أقل مما قد تعتقد بكثير؛ فمعظم المبتزين يعتقدون أنهم يلقوننا دروساً قيمة. و"تشارلز" كان مخلصاً تماماً عندما قال لـ "شيري": "عليك أن تتعلمي الولاء؛ فهو أهم شيء في هذا المجال".

كان "لين" و"جيف" - اللذان ابتز كل منهما الآخر - يعتقدان أيضاً أنهما كانا يحاولان تحسين شخصية بعضهما البعض. قال لي "جيف" بعد واحد من شجاراتهما: "يجب أن تتعلم أنها لا يمكنها معاملة الناس على هذا النحو"، وكان يعتقد أنه كان يعلم "لين" ألا تكون امرأة "سليطة"، وكانت "لين" ترى تصرفاتها كتدريب له أيضاً. قالت "لين": "لعلني إذا أهنته بالقدر الكافي، فربما ينهض ويبحث عن وظيفة بدوام جزئي. فأحياناً ما يتطلب الأمر أن تركل شخصاً من الخلف كي يتحرك".

ومن الواضح تماماً - وخصوصاً بالنسبة للشخص الواقع عليه العقاب - أن العقاب لا يحقق النتائج التي يعتقد المبتز أنه سيحققها، ومع ذلك فهناك مكاسب جذابة للتمسك بالفكرة الخاطئة المتمثلة في أن العقاب يُعد تدريباً. فالمبتزون يستطيعون التعايش مع كل شيء تقريباً إذا أمكنهم أن يجعلوا الأشخاص المستهدفين يبدون كأنهم حمقى؛ فهذه الطريقة يمكنهم تجنب أية مواجهة مع الذات أو أي تلميحات بأن شيئاً ما داخلهم يصد الحب أو العلاقة التي هم في أمس الحاجة إليها.

معارك قديمة، ضحايا جدد

كما رأينا من قبل، فإن الضغوط الحالية على المبتز أحياناً ما تعيد فتح جروح قديمة، ويهاجم المبتز شخصاً مستهدفاً آخر يقوم مقام البديل عن شخص ما من الماضي. وعندما يحدث هذا، فإن عقاب المبتز قد يتضخم، وقد يبدو أنه بلا داع إطلاقاً.

بدا "مايكل" - ولعله أكثر الأمثلة وضوحاً على الابتزاز التي قابلناها على صفحات هذا الكتاب - كوحش بالنسبة لـ "ليز" التي شعرت بصدمة عنيفة في مواجهة الهجوم الذي شنّه عليها. وعندما سألتها لماذا تعتقد أنه يتصرف معها على هذا النحو الوضيع، صمتت للحظة، ثم أجابت قائلة:

أتعرفين، عندما أفكر في الأمر، أعتقد أن "مايكل" كان مثل برميل بارود جاهز للانفجار؛ فقد كان يعمل كادحاً منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره

في مشروع تجاري للعائلة. كانوا يبيعون مستلزمات مكتبية، وكانوا ناجحين للغاية، لكن لم يتسن لـ "مايكل" أن يكون طفلاً عادياً. كان رائعاً في الرياضة - فهو لا يزال شخصاً رياضياً جداً - لكن أباه وأمه لم يكن يسمحان له باللعب أبداً. فقد كان عليه أن يقوم بالجرء أو يكفس المتجر أو يتابع سجل الحساب. في بداية علاقتنا، ذهبنا في رحلة إلى شيكاغو وكان يعرف كل شيء عن المباني، وقال لي إن حلمه الكبير هو دراسة الهندسة المعمارية، لكنهم لم يدعوه يفعل ذلك وتخلي عن ذلك الحلم؛ فقد كان يتمتع بحس مسئولية كبير. أنا أعرف أنه غاضب منهم، على الرغم من أنه لم يقل كلمة ولن يقول، ولكنني لا أعتقد أن ذلك يعني أن يصب جام غضبه عليّ.

أخبرت "ليز" بأنها محقة؛ فليس هناك عذر لهذا النوع من الهجوم والتهديدات اللفظية التي وجهها "مايكل" لها، لكن كان من المهم بالنسبة لها أن تفهم أن انتقادات "مايكل" لها وغضبه من عيوبها المزعومة لم تكن لها علاقة بها شخصياً، على الرغم من أنه من الصعب ألا تأخذها على محمل شخصي. وعندما سئمت "ليز" من الوضع وهددت بأن تتركه، فإن العقوبات وصلت لحد جنوني؛ حيث إن خوفه من أن يعيش بدونها أثار الإحباطات الكامنة التي رأتها "ليز".

إذا كان "مايكل" لديه القدرة على التعبير عما يشعر به، فربما كان قد قال لها: "أرجوك لا تسلمي من أحلامي مرة أخرى، فأنا أشعر بالإحباط والألم والحرمان منذ أن كنت مراهقاً، ولم أحصل أبداً على ما أردته. لا يوجد من يهتم بي، وهذا يؤلمني حقاً. كيف لوالدي أن يدمرا كل شيء أحببته ويجبراني على العمل في وظيفة أكرهها؟ والآن تريدان أن ترحلي؟ أنا لا أستطيع تحمل رؤية هذا يحدث مرة أخرى. في رأيك إلى أي مدى يمكنني تحمل خيبة الأمل؟". هذا كلام مليء بالعواطف يستحق أن يوجهه إلى والديه، لكن بما أنه ظل خاضعاً لسيطرتهم طوال حياته، لم يشعر قط بالثقة أو الشجاعة الكافية ليفعل ذلك. وكل هذا القدر من الحزن والغضب الذي امتلأ به "مايكل" لم يختف، بل تضخم في حياته. وقد خلط "مايكل" بين "ليز" التي يحبها ووالديه اللذين يشعر بالحنق تجاههما.

الحفاظ على تواصل قوي

على الرغم من أن ذلك يبدو غريباً، فإن العقاب يبقي المبتز على تواصل عاطفي قوي معك، فالمبتزون يعرفون أنه من خلال خلق متاخ مشحون للغاية يمكنهم تنشيط مشاعر الأشخاص المستهدفين تجاههم. وحتى لو كانت المشاعر سلبية، فإنهم يحافظون على روابط قوية. فأنت قد تستاء من المبتز أو تكرهه أيضاً، لكن طالما أن تركيزك منصب عليهم، فهم لم يتعرضوا للهجر أو الإهمال وابداء اللامبالاة. فالعقاب يبقي على الكثير من العاطفة والتفاعل في العلاقات المحطمة.

استمرت زوجة "ألن" السابقة "بيفرلي" في معاقبته بأقسى طريقة ممكنة - من خلال استخدام أطفاله كسلاح للضغط عليه. انتهى زواج "ألن" و"بيفرلي" بطلاق مرير. وعلى الرغم من أن زواجهما كان مصدرًا للتعاسة والتوتر لكل منهما، كان الطلاق اختيار "ألن" وليس "بيفرلي"، وحاربه "بيفرلي" بضراوة. وكانا قد قاما بعدة محاولات للصلح، بل وحتى حاولا الحصول على استشارة زوجية، لكن دون جدوى.

هي تعرف ما يعنيه الأطفال بالنسبة لي، ولا أعتقد أن كثيراً من الناس يفهمون حقاً الوضع الذي لا يستطيع فيه المرء رؤية أبنائه كل يوم، خصوصاً في مرحلة نشأتهم. كان عليّ أن انفصل عن "بيفرلي"، لكنني لم أرد أن انفصل عن أبنائي. في البداية، هددتني بأنني إذا تركتها، فلن أراهم مرة أخرى، وأنها سترحل عن الولاية التي أقيم فيها، أو ربما حتى عن البلد، فأصابني الرعب، ولم أستطع التفكير بوضوح. أنا أعرف نساء فعلن ذلك - اللعنة، أعرف رجالاً فعلوا ذلك بزوجاتهم السابقات أيضاً.

توصل الاثنان أخيراً لتسوية، وحصل "ألن" في النهاية على حق الرؤية، ونجح هو و"بيفرلي" في أن يتعاملا بتحضر مع بعضهما البعض، واحترمت "بيفرلي" حكم المحكمة. لكن زواجه من "جو" تسبب في بدء الابتزاز مرة أخرى.

والآن، بعد أن أصبح في حياتي شخص يهتم حقاً بي، لم تتحمل "بيفرلي" هذا، فأنا أعتقد أنها كانت تتصور أنه لا تزال هناك فرصة لرجوعنا طالما أنني أعزب. أعرف أنها لا تزال بالقسوة نفسها؛ ولذا سنتنقم مني مرة ثانية من خلال الأطفال. إذا تأخرت عشر دقائق على موعد قدومي لأخذهم، تكون قد اصطحبتهم إلى مكان ما. إن المسافة تستغرق ساعة على الأقل بالسيارة لأصل إلى حيث يعيشون، ولا أستطيع دائماً الوصول في الميعاد المحدد. في الأسبوع الماضي، اضطررت للانتظار ساعة ونصف تقريباً، وعندما وصلت "بيفرلي" إلى مدخل المرآب قالت: "أنا لن أجلس وأنتظر. من أين لي أن أعرف أنك ستأتي؟" هي تتوقع مني أن أتقبل الوضع وألا أشتكي. لكن إذا احتجت إلى إعادة ترتيب مواعيد شيء ما، كانت تستشيط غضباً، وإذا تأخرت مصاريف نفقة الأطفال يوماً واحداً، تتصل بي وتهددني بأن تعيدني إلى المحكمة وتقل عدد الزيارات. يا إلهي! نحن نتكلم الآن أكثر مما كنا نتكلم عندما كنا متزوجين!

من الواضح أن زوجة "ألن" السابقة لم تتجاوز أزمة الانفصال، وعلى غرار العديد من المبتزين المطلقين - رجالاً ونساءً - استخدمت "بيفرلي" أقوى سلاح في ترسانتها - ألا وهو الأطفال - للحفاظ على التواصل العاطفي معه. "ألن" و"بيفرلي" منفصلان قانونياً لكن الانفصال النفسي لا يزال معلقاً.

يُعد استخدام الأطفال كسلاح ضد أحد الوالدين الذي لم يُمنح حق الحضانه من أقدم وأقسى أشكال الابتزاز العاطفي؛ فليس هناك خطر أكبر من هذا. وهو فعّال على نحو خاص بسبب حدة العواطف التي يتضمنها الموقف، وهو يبقي الطرفين اللذين كانا يهتمان لأمر بعضهما البعض فيما مضى عالقين في معركة يخسر فيها جميع الأطراف.

الأمر لا يتعلق بك

أهم شيء نستخلصه من جولتنا في عقلية المبتز هو أن الابتزاز العاطفي يبدو كأن الأمر برمته متعلق بك، ولكن في الغالب ليست لك علاقة بالأمر على الإطلاق؛ إذ إن المشكلة تتبع من زوايا غير آمنة داخل المبتز يحاول أن يجلب الاستقرار إليها. ومعظم اللوم والالتفاف وادعاء الصلاح الذي يجعلنا نشعر بإحساس سيئ جداً تجاه أنفسنا - وغالباً ما يكون سيئاً بما يكفي لنستسلم إلى ضغط المبتز - ليس حقيقياً، لكنه نابع من الخوف، نابع من القلق، نابع من عدم الثقة بالنفس. وهذا الخوف والقلق وعدم الثقة بالنفس يعيشون داخل المبتز. وفي أحيان كثيرة، يكون الابتزاز العاطفي متعلقاً بالماضي أكثر من الحاضر، ويكون معنياً بتلبية احتياجات المبتز أكثر مما هو معني بأي شيء يقول المبتز بأننا فعلناه أو لم نفعله.

لكن هذا ليس معناه أننا لا نلعب دوراً محورياً في عملية الابتزاز. ففي النهاية، لا يمكن لهذه العملية أن تتم دون إزعاجنا واستسلامنا. والآن حان وقت فحص العناصر التي تكمن داخلنا التي تسمح للابتزاز بتسيخ أقدامه.

الابتزاز يتطلب طرفين

يتطلب الابتزاز طرفين. فهو عملية ثنائية، وليس أداءً فردياً، ولا يمكن أن ينجح دون المشاركة الفعالة للشخص المستهدف.

أعرف أننا غالباً لا نرى الأمر كذلك، وأعرف أنه من الطبيعي أن نتخذ موقفاً دفاعياً حيال سلوكنا. ومن المريح بالنسبة لنا أن نركز أكثر على ما يفعله الطرف الآخر من الاعتراف بما أسهمنا به في موقف ما. لكن من أجل إنهاء شراكة الابتزاز، عليك أن تحول انتباهك للداخل وتنتظر في العناصر التي قادتك - غالباً دون دراية منك - للمشاركة في الابتزاز العاطفي.

برجاء تذكر أنني عندما أتحدث عن المشاركة في الابتزاز، فأنا لا أشير إلى أنك أثرته أو تسببت فيه، بل ما أقصده أنك أعطيته الإذن ليحدث. ولعلك غير مدرك حتى أن مطالب الطرف الآخر غير منطقية؛ لأنك ربما تتصرف من منطلق أنك موظف كفاء أو زوجة صالحة أو ابن بار/ابنة بارة - متقبلاً اختيارات الشخص الآخر تقريباً بلا جدال لأننا قد تعلمنا أن هذا ما يفترض بنا فعله.

أو ربما تكون مدرّكاً تماماً للابتزاز، لكنك تشعر كأنك لا تستطيع مقاومته؛ لأن ضغط المبتز يفجر في داخلك استجابات مبرمجة تقريباً؛ فتصدر أنت ردود فعل تلقائية أو مندفعة. ضع في اعتبارك أن الجميع لا يردون على محاولات الابتزاز بالإذعان. وإذا كنت تدعن للمبتز، أريد أن أساعدك على فهم كيفية ذلك وسببه. كبداية، فكر رجاءً في الأسئلة التالية وأجب عنها. عندما تواجه ضغط المبتزين، هل:

- توبخ نفسك باستمرار لأنك استسلمت لمطالبهم؟
- تشعر غالباً بالإحباط والحقد؟
- تشعر بالذنب وتعتقد أنك ستكون شخصاً سيئاً إذا لم تستسلم؟
- تخشى من أن تنهار العلاقة إذ لم تستسلم؟
- تصبح الشخص الوحيد الذي يلجأون إليه في الأزمات، حتى لو هناك آخرون يمكنهم مساعدتهم؟
- تعتقد أن الالتزام الذي تشعر به تجاههم أكبر من الالتزام الذي تشعر به تجاه نفسك؟

إذا أجبت بـ نعم عن سؤال واحد فقط من هذه الأسئلة، فإن استجاباتك للضغط تساهم في خلق مناخ مثالي للابتزاز.

مثيرات الاستجابة العاصفة

لماذا يكون بعض الناس - مهما كان ذكاؤهم أو ثباتهم الانفعالي - عرضة للابتزاز العاطفي، في حين يستطيع آخرون التصدي له؟ تكمن الإجابة في مثيرات الاستجابة العاصفة بداخلنا؛ أي العزم الحساسة للأعصاب الانفعالية التي تتشكل في داخل كل منا. وكل مثير استجابة يشبه خلية طاقة يتم شحنها بالمشكلات النفسية التي لم يتم التعامل معها - السخط المختزن، والشعور بالذنب، والمخاوف، ومواضع الضعف. هذه هي نقاط ضعفنا التي شكلها مزاجنا ونفسيتنا إلى جانب تجاربنا منذ أن كنا أطفالاً. وكل نقطة ضعف،

إذا تم فحصها بعناية، فستكشف طبقات حيوية من تاريخنا الشخصي - كيف كانت تتم معاملتنا، والصورة الذاتية التي كونها عن أنفسنا، وكيف تم تشكيل سماتنا من خلال انطباعات من ماضينا.

ويمكن للمشاعر والذكريات المخزنة في مثيرات الاستجابة أن تكون لازمة، وعندما تذكرنا الأحداث الحالية في حياتنا بشيء أبقيناه مدفوناً داخلنا، تتسبب هذه المشاعر والذكريات في صدور ردود فعل منافية للفكر أو المنطق، تستغل العاطفة النقية التي كانت مخزنة وتكتسب قوة لفترة طويلة. قد لا نتذكر دائماً الأحداث التي قادت إلى تكوين مثيرات الاستجابة هذه، وعندما يتعلق الأمر بالتعقيدات المرتبطة بسبب قيامنا بالأشياء التي نقوم بها، فإن السبب والنتيجة يمكن أن يكونا مراوغين. لكن إذا تساءلت يوماً أين تذهب المشاعر والخبرات "المكبوتة"، فإن مثيرات الاستجابة بداخلك هي مكان ملائم لتبحث فيه.

تقديم خريطة للمبتزر

على مدار السنوات، قد يُرصد مشهدنا العاطفي بمثيرات الاستجابة، ويخصص الكثيرون أجزاء من حياتهم لتفادي التعامل مع هذه المثيرات العاطفية. وفي الحقيقة، يمكن تلخيص الإستراتيجية الأكثر شيوعاً للأشخاص الذين يحاولون التعامل مع هذه المواضيع الحساسة في أربع كلمات: تجنبها مهما كان الثمن. وربما نكون غير مدركين لما نفعله، لكن بينما نسلك طريق التجنب هذا، فنحن نكشف أنفسنا بوضوح أكثر مما نعرف. فعندما نتحاشى التعامل مع مثيرات الاستجابة لدينا، نرسم بشكل عملي خريطة لمكان تواجدنا، وهي خريطة سيتمكن الذين يعرفوننا جيداً من رؤيتها.

نعرف جميعاً الأشياء التي يشعر الأشخاص المحيطون بنا تجاهها بالحساسية؛ ولذا ليس بسر أن نعرف متى يخاف صديق لنا من الغضب أو متى يعيل لتقبل اللوم. ولكن في أغلب الأحيان تتناوبنا بعض الشمقة ولا نستغل تلك المعلومات لتحقيق غايتنا. وعندما يشعر من يبتزوننا بالأمان، فلا يستغلونها أيضاً. لكن عندما يواجهون مقاومة، فإن مخاوف الحرمان لديهم تحتدم؛

ويتخلون عن شعورهم بالشفقة ويستغلون كل معلومة يعرفونها عنا لضمان فرض سيطرتهم علينا.

السمات التي تجعلنا عرضة للابتزاز

لكي نقي أنفسنا من تفعيل مثيرات الاستجابة، فنحن نطور مجموعة من السمات الشخصية المحددة. وهذه السمات تُعد جزءاً من شخصيتنا؛ إذ إنها من المحتمل ألا تبدو - في البداية - كأنها سبيل دفاعية ضد ما نخشاه. ولكن عندما ننظر إليها عن قرب، سنرى أنها جميعاً مرتبطة ارتباطاً عميقاً بمثيرات الاستجابة داخلنا. ومن المفارقات أن هذه الصفات "الوقائية" هي التي تجعلنا عرضة للابتزاز العاطفي. وهي:

- الاحتياج المفرط لنيل رضا الآخرين
- الخوف الشديد من الغضب
- الاحتياج إلى الطمأنينة بأي ثمن
- الميل إلى تحمل مسؤوليات أكثر مما ينبغي عن حياة الآخرين
- مستوى عالٍ من الشك في الذات

ولا توجد سمة من هذه السمات ضارة - إن تم استخدامها باعتدال. وفي الحقيقة، يتم النظر إلى بعضها على أنها إيجابية، بل وحتى تستحق الإشادة طالما أننا لا نبالغ فيها. ولكن عندما تتحكم هذه الصفات فينا وتدخل في حرب مع ذكائنا وثقتنا ويقيننا وفكرنا، فنحن نهين أنفسنا لتكون ضحية لتلاعب كبير.

وبينما نفحص هذه السمات والأنماط السلوكية التي أسفرت عنها هذه السمات، لاحظ كيف أن سلوك الشخص المستهدف هو في الواقع استجابة لمشاعر مترسبة من الماضي. لاحظ أيضاً كيف ينخدع الأشخاص المستهدفون كثيراً بالاستجابات التي يعتقدون أنها تحميهم.

المدمن على نيل رضا الآخرين

من الطبيعي تماماً أن نرغب في نيل رضا الأشخاص الذين نهتم بأمرهم - كلنا نريد نيل استحسان هؤلاء. لكن عندما يكون الحصول على رضاهم ضرورة، ويصبح مخدراً لا نستطيع العيش بدونه، فنحن نلقي الضوء على أحد مثيرات الاستجابة التي يستطيع المبتز الانتباه إليها بسهولة.

حدثتُ في المقدمة عن عميلتي "سارة"، التي كان يتعين عليها أن تثبت نفسها باستمرار لخطيبها "فرانك". ففي كل مرة كانت تجتاز أحد اختبارات، كانت تستمتع بلذة رضاه عنها. لكن في كل مرة كانت تحتج فيها، كان "فرانك" يجرمها من رضاه، وكانت تشعر ببيؤس؛ ولذا، حاولت الحفاظ على التدفق غير المتقطع لرضاه عليها من خلال استسلامها لضغطه - حتى عندما كان ما يريد يتعارض مع مصلحتها.

أنا لا أتحمل غضبه مني. فعندما قلت له إن طلاء الكوخ ليس الشيء الذي توقعت أن أقضي فيه عطلة الأسبوع، هز رأسه وحسب ثم ذهب إلى الشرفة، فتبعته إلى هناك، وقال لي إنه لا يصدق كم أنا مدللة ومتصايبية. شعرت بخوف ورجفة؛ ولذا، دخلت وارتديت ملابس قديمة والتقطت فرشاة، فابتسم لي ابتسامته الرائعة تلك وضحك، فاستطعت التنفس مرة أخرى.

لقد حصلت "سارة" على "جرعتها". لا بأس في الرغبة في نيل رضا الآخرين أو حتى طلبه. لكن المدمنين على نيل رضا الآخرين يحتاجون إلى إمدادات مستمرة، ويحكمون على أنفسهم بالفشل إذا لم ينالوه. ويعتقدون أنهم ليسوا أشخاصاً صالحين إلى أن يقول لهم أحدهم إنهم صالحون، ويعتمد إحساسهم بالأمان تقريباً بالكامل على تأكيدات خارجية. شعار المدمن على نيل رضا الآخرين: "إذا لم أتل الرضا، فأنا مخطئ"، أو ما هو أسوأ "إذا لم أتل رضاهم، فهناك خطب ما بي".

وصف "سارة" لمدى الخطر الذي شعرت به عندما كان "فرانك" غاضباً منها يشير إلى حاجة ماسة لنيل الرضا والرعب مما سيحدث إذا لم تستعده.

وهذا الخوف يشبه تماماً الخوف الذي يفتاب الطفل الصغير. ففي مخيلة الطفل، تكون عواقب خسارة رضا الآخرين كارثية. "لقد فعلتُ شيئاً لم يعجب أبي (أو أمي). أبي غاضب مني. أبي لم يعد يحبني. قد يتخلص أبي مني. سأكون وحيداً وسأموت".

اكتشفت "سارة" أن ميلها لربط نيلها لرضا الآخرين بالبقاء لم يأت من والديها بالأساس؛ بل من جدتها التي اعتنت بها لفترة في أثناء ذهاب والديها للعمل.

يا إلهي، لقد كانت مرعبة! كانت تعيش في شقة أسفل شقتنا أعدها والداي لها، والتي كنت أذهب إليها كل يوم بعد المدرسة. كانت تنقذني باستمرار - كانت تخبرني بأنني مزعجة للغاية وبأنني كسولة. وكانت تقول إن الله لا يحب الفتيات الكسالى، وأحياناً يتم التخلص منهن. أنا لا أعتقد أنها كانت تقصد أن تتصرف بوضاعة معي، وأنا متأكدة أن شخصاً ما قال لها كلاماً سخيفاً مثل هذا عندما كانت طفلة، لكنه كان يربطني بشدة. كانت قد علمتني مقولة لا أعتقد أنها غابت عن ذهني يوماً: "هناك جيد وعظيم وأعظم، فلا ترتاحي إلى أن يصبح الجيد عظيماً، ويصبح العظيم أعظم".

تعلمت "سارة" دروساً كثيرة من جدتها التي تعشقها والتي قضت معها ساعات كثيرة في سنوات نشأتها. كان لبعض الدروس تأثير كبير عليها، وبعضها كان أقل تأثيراً. تعلمت "سارة" أنها إذا تصرفت بطريقة تنال بها رضا جدتها، فهي فتاة جيدة، وبالتالي فهي آمنة. لكنها تعلمت أيضاً أن ما كانت تفعله لم يكن أبداً جيداً بما يكفي بالنسبة لجدتها التي تتوخى الكمال، وأن "الأعظم" المرادف كان دائماً بعيد المنال.

إن الشعورين اللذين تصفهما "سارة" وهي مع "فرانك" - الإحساس بأنها مرغمة على إرضائه والخوف من غضبه اللذين يبدوان كأنهما كافيان للهيمنة على حياة الإنسان - هما شعوران مألوفان لكل المدمنين على نيل رضا الآخرين. ويعدان علامة أكيدة على أن شخصاً ما قد ضغط على مشيرات الاستجابة.

عندما كنا أطفالاً، كنا نحتاج لرضا العمالقة الأقوياء الذين يمتنون بنا، وقد تلاحقنا أشباح ذلك الاحتياج لفترة طويلة بعد أن نتعلم الاعتناء بأنفسنا. وفي البيت الذي نشأت فيه "سارة"، كان الحب يُعطى ويُسلب بناءً على "أدائها"، وقد تطور داخلها احتياج شره لموافقة الآخرين على ما تفعله. وقد استغل "فرانك" ذلك الاحتياج عندما قام وأوقف "استحسانه" وعاطفته. كانت "سارة" تعرف أنها منطقيًا لن تستطيع إرضاء الجميع بنسبة ١٠٠٪ من الوقت - لكنها شعرت بأنها يجب أن تحاول.

ركزت "سارة" بشكل أساسي على رضا "فرانك". "ماريا" - التي كانت تحاول مقاومة ضغط زوجها لتستمر في الزواج حتى بعد أن علمت بعلاقاته الغرامية مع نساء أخريات - وجدت أن هناك قلبًا مختلفًا إلى حد ما يهيمن عليها: ماذا سيكون رأي الناس؟

ليست هناك حالات طلاق في عائلتي، أو بين المقربين لي. إذا كان ذلك يبدو فكرًا عتيق الطراز، حسنًا، فليكن. أنا فكري عتيق الطراز، وأنا فخورة به. فأنا لا أتحمّل فكرة أنني لا أستطيع إنجاح الزواج، ولا أستطيع التفكير فيما سيحدث إذا قررت أن أرحل عن "جاي". ماذا سيكون رأي الناس؟ حياتي ستتهار، وسيغضب مني والدي ووالداه وأطفالي ورجل الدين. وسيعتقدون أنني لا أملك الشجاعة لأصمد وأقاتل من أجل زواجي.

عندما ذكرت "ماريا" أسباب بقائها مع "جاي"، بدأ أن حمل التقاليد العائلية والتاريخ والمجتمع كان يضغط عليها وهي متأكدة أنه ليس أمامها اختيار سوى البقاء مع "جاي". كانت متيقنة أنها ستتخلى عن مبادئها إذا فكرت في الطلاق. لكن بينما كنا نعمل معًا، بدأت "ماريا" هي إدراك أن المعتقدات التي اعتنقتها بقوة كانت مفروضة عليها - وأن الأفكار التي دافعت عنها بشراسة لم تكن حتى أفكارها - وأن تعريفها لما يجعل العائلة متماسكة أو الزواج ناجحًا كان أوسع وأعمق بكثير من "بقاء الزوجين معًا مهما يحدث". بالنسبة لـ "ماريا"، هذا الاكتشاف جعلها تشعر بتحرر، لكنها كانت مترددة في فحص أو التعبير عن المعتقدات الحقيقية التي كانت تكتشفها في

نفسها لأنها كانت تحتاج بشدة إلى الحفاظ على إرضاء أقاربها وأصدقائها ومجتمعها. هذه المرأة، التي شغلت وظيفة رائعة، وتولت شؤون عائلة، وربت طفلين رائعين، وأدارت حياة اجتماعية ودينية نشطة، أصبحت طفلة قليلة الحيلة عندما تخيلت استنكار الأشخاص الذين تهتم بأمرهم. وبينما كنا نبحث عن جذور تعطشها لنيل رضا الآخرين، وهي عملية استغرقت عدة أسابيع، تذكرت "ماريا" ما كانت تعتقد دائماً أنه "حادثة صغيرة" وقعت عندما كانت في بداية المرحلة الثانوية.

لقد كنت دائماً فتاة مستقيمة، لكن في أحد الأيام قرب نهاية العام الدراسي، صديقي "داني" - الذي كان حب حياتي وقتها - قال لي لن يعرف أحد بعدم حضورنا الفترة الأخيرة من العام الدراسي وذهابنا إلى الشاطئ. نفذنا ما اقترحه، ولم ألق للأمر بالآ. لكن بعد عدة أيام، بدأ أبي في سؤالي إذا كان لدي شيء ما أريد أن أقوله له، وعندما قلت إنه لا يوجد شيء لأخبره به، قال إنه لا يصدق أن ابنته قد تكذب؛ ولذا سألتني مرة أخرى. هل لدي شيء أريد أن أقوله له؟

بدأت ضربات قلبي في التسارع، لكنني لم أستطع أن أعترف والتزمت الصمت فأخبرني أبي بنبرة صوت هادئة للغاية بأن المدرسة اتصلت وأنه علم بما فعلته، وأنني تسببت في إحراج له ولعائلتنا، وكان علي أن أعتذر للجميع على العشاء وأعد درساً لخطبته الدينية ليأقيه ذلك الأسبوع عن أهمية قول الحقيقة.

شعرتُ بخزي، وفعلتُ ما قاله، لكنني لن أنسى أبداً الإهانة والإحساس بالعزلة الذي شعرتُ به. كان الأمر يبدو كأنني مكتوب على جبهتي "كاذبة"، وأحسستُ كأن الجميع يعاملونني بطريقة مغايرة لما اعتدت وذلك على مدار الأسابيع التالية لهذه الحادثة. وكانت هذه ربما آخر مرة أحيدها فيها عن الطريق القويم.

سُجلت تلك المحاولة حسنة النية لإظهار عواقب الهروب من المدرسة وانتهاك قواعد المدرسة والعائلة لدى "ماريا" كالآتي:

الدعم الذي أحصل عليه من عائلتي والمجتمع هو دعم هش، ويمكن أن يتم سحبه في لحظة إذا لم أرضهم؛ ولذا، أنا مضطرة لكسب رضاهم.

لم تكن هذه هي الرسالة المقصودة أو الملائمة، لكن هذا ما حملته "ماريا" معها طوال حياتها؛ ما جعلها تقيس نجاحها بمدى رضا الآخرين عنها. وقبل أن تتمكن من التفكير في مواجهة ضغط "جاي"، كان عليها أن تتبذ الدرس الذي تعلمته منذ أكثر من ثلاثة عقود والذي لم يفدها وغير من مجموعة استجاباتها لعدم استحسان الآخرين.

ويتردد أكثر المدمنين على نيل رضا الآخرين رهاقة في الحس في القيام بأي فعل ربما يكون في مصلحتهم؛ إذا كانوا سيخاطرون بالتسبب في استياء أي شخص منهم. "إيف" مثلاً لم تستطع تحمل عبوس موظف المتجر في وجهها، ومتلماً يفعل معظمنا في بعض الأحيان، كانت توافق على الإبقاء على الأشياء التي ذهبت لإعادتها إذا جعلها البائع تشعر بذنب تجاه ذلك؛ فهي لم تستطع حتى أن تخاطر بعدم استحسان شخص غريب لها.

متجنب الغضب / صانع السلام

يعيش معظمنا كأن هناك قانوناً صارماً يقول "يجب ألا تغضب"، وقانوناً آخر يقول: "يجب ألا تجعل الآخرين غاضبين منك". فعند ظهور أول بوادر حدوث خلاف، يهرع العديد منا لعقد صلح، خامداً النيران التي يخشى أن يخرج لهبها عن السيطرة.

إن رغبة صانعي السلام في تقديم قدر من الهدوء والعقلانية في المواقف الصعبة قد تمثل مشكلة عندما تصبح اعتقاداً راسخاً بأنه لا يوجد ما هو أسوأ من القتال. وذلك يجعلهم يخشون الجدال - حتى مع صديق - خشية أن تتأثر العلاقة بشكل لا يمكنها التعافي منه. ويخبرون أنفسهم أنه برغم كل شيء، فإن الاستسلام هو تنازل مؤقت لتحقيق فائدة أكبر.

صوت العقل

تمتلك "ليز" - التي كانت تصارع مع الابتزاز العقابي لزوجها "مايكل" - صوتاً خافتاً للغاية وأسلوباً هادئاً بحيث يصعب على شخص لا يعرفها أن يراها غاضبة. وعندما علقْتُ على ذلك، ضحكت "ليز" وقالت:

أوه، ذلك مظهر زائف لي. عندما كنت طفلة، لاحظت وأنا أشاهد إخوتي وأخواتي أن من يصيح في وجه أمي عندما تفضب منه يتم ضربه أو عقابه، ومن لا يصيح يتم تجاهله. أعتقد أنه لا بد أنني قد تصورت أنه يمكنك تهدئة الأشخاص مثلما يمكنك تهدئة حيوان، من خلال ملاطفتهم والتحدث إليهم بطريقة رقيقة، دون أن تزعج. في تقييمات العمل التي تم إجراؤها لي، كانوا دائماً ما يقولون أشياء مثل "تصعب استثارته" و"تؤدي العمل تحت وطأة الضغط"، وأنا أشعر بأن لدي هذه الموهبة الحقيقية المتمثلة في نزع فتيل التوتر مثلما يفعل خبراء المفترقات، يعجبني ذلك في نفسي، ومن أحد أسباب هذا أنه يجعلني غير خائفة إطلاقاً من الغضب لأنني أستطيع التعامل معه وأمنعه من الخروج عن السيطرة.

عندما وصفت "ليز" نفسها بهذه الطريقة، كانت مقنعة للغاية لأن الصفات "هادئة" و"مريحة" و"تصعب استثارته" و"تؤدي العمل تحت وطأة الضغط" قد أصبحت جزءاً من تعريفها لذاتها. وهي سمات تبدو مبهرة، لكن كان من الواضح أن موقفها من "مايكل" كان بعيداً كل البعد عن الهدوء.

أعتقد أنني وقعت في حب "مايكل" لأننا مختلفان للغاية. فهو اجتماعي ونشيط ومباشر - لديه جانب شغوف من شخصيته ويتمتع بالكثير من الحماس. أما أنا فأكثر ليونة ولا أجدب الكثير من الانتباه. أظن أنني لطالما عرفت أنه قد يكون حاد المزاج، ولكنني لم أر هذا لوقت طويل، ومثلما قلتُ من قبل، أنا أعرف كيف أتعامل مع الغضب. إلا أن هذا يبدو سخيفاً، أليس كذلك؟ ها أنا متزوجة من هذا الممتوه الهائج الذي يهددني، وأنا خائفة منه بشدة ومع

ذلك أقول إنني يمكنني التعامل مع الغضب. حسناً، اعتقدت أنه يمكنني ذلك. لكن الوضع بعد ذلك خرج برمته عن السيطرة، وكذلك أنا. كل شيء فعلته، كل الملاطفة والتهديئة والاعتذارات بدت كأنها تجعله أكثر غضباً. أنا لا أفهم الأمر. ما الخطأ الذي وقع؟

لقد قضت "ليز" معظم حياتها تشذب أسلوبياً للتعامل مع الناس والذي بدا ملائماً لها، وهو أسلوب ينال تقديراً كبيراً - فمجتمعنا سريع الانفعال يحترم الأشخاص الذين يكبحون جماح غضبهم. كان هدوء صوتها وأسلوبها وطريقتها ناجحة في نزع فتيل الغضب بحيث أخطأت في رؤية نفسها شخصاً لا يخاف الغضب على الإطلاق لأنها كانت تعرف كيف تبطل مفعوله. وقد اعتقدت لفترة طويلة أنها إذا استطاعت الحفاظ على السلام، فسيكون "مايكل" لطيفاً وستكون هي قادرة على تيسير الأمور معه بشكل عقلاني، وقالت لنفسها إنه لا يوجد هناك سبب لأن تغضب. وحتى عندما أظهر تمرره، لجأت إلى المنطق، وهي أدواتها التي أثبت الزمن فاعليتها.

وعندما لم تؤت أساليبها المتقنة ثمارها معه، شعرت بالعجز والإحباط المتزايد. إن مواجهة ضغطه المتزايد وتهديداته قد قامت بتفعيل مثيرات استجابة لديها لم تكن تعتقد أنها ما زالت موجودة، وهو مثير تمتد جذوره إلى طفولة مليئة بالغضب والصراعات. عندما كانت "ليز" طفلة، كانت تقول في نفسها: "لا تزيد من غضب شخص غاضب، بل هدئهم أو سيجرحونك، أو ما هو أسوأ، سيتركونك. لا تكوني الشخص الذي يزعجهم". هذا قد حد بشكل كبير الخيارات المتاحة أمام "ليز"، ولم تتعلم قط التعبير عن غضبها بطريقة ملائمة. وعندما فشلت أساليبها في التهديئة، وانتهى بها المطاف بإطلاق العنان لمخزونها من الغضب والإحباط، تصاعدت الأزمة بشكل سريع.

ما لم تعد "ليز" النظر في خوفها من الغضب وتوسيع الطرق التي من خلالها تستجيب لهذا الغضب، فإنها ستظل دوماً عرضة لابتزاز الآخرين مثل "مايكل" والانفجارات المروعة لعواطفها المكبوتة.

الوجه الآخر للغضب

عميلتي "هيلين" - أستاذة الأدب التي قابلناها في الفصل الأول - اعتقدت أنها وجدت الرجل المثالي في خطيبها "جيم". هي تعرف أنها مرهفة الحس تجاه الغضب، وقد صاغ هذا الأمر تفكيرها حيال أنواع الناس الذين ترغب في التواجد معهم وخصوصاً شركاء الحياة.

لم أكن لأفكر في الارتباط، برجل يرفع صوته عليّ لأنني اكتفيت من هذا الأمر في أثناء نشأتي مع أبي وأمي. أبي رجل ثوري، وهذا جملة الشخص غير المناسب إطلاقاً ليختار العمل في الجيش، فلم يستطع الحصول على ترقية لينقذ حياته، ولم تتعد وظيفته كونه موظف حفظ ملفات لعشرين عاماً. ولم يتحمل رؤية حمقى أغبياء - هكذا وصفهم - يحصلون على ترقية لأنهم كانوا ماهرين في الإذعان، وكان مصائباً بالإحباط. كان يأتي إلى البيت وكان يصرخ في وجه أمي فتصرخ أمي بدورها في وجهه، وكانا يصفعان الأبواب، ويقرعان القدور والأواني في المطبخ - وكان ذلك مرعباً لنا بشدة كأطفال. كنت أعرف أنه لن يحدث شيء، لكن أخي كان يجري على غرفته ويبدأ في البكاء، وكنا ندفع سريره وراء الباب طلباً للحماية - كي لا يسمع أصوات الصراخ. وعندما كان الوضع يسوء بشدة، كان أبي يغادر غاضباً ويظل متغيّباً لمدة بضعة أيام. لم تكن هناك صدمات كبرى، لكنني لم أعد أحتاج لهذا النوع من الدراما في حياتي. لقد عانيت ذلك وانتهيت منه. وهذا أمر يصيبني حقاً بالإحباط.

وأسلوب "هيلين" لتجنب الغضب وهي راشدة - "أفضل ألا أتواجد مع أشخاص غاضبين" - يحاكي أسلوب طفولتها - الهروب والاختباء إلى أن يهدأ الأمر، أو الاختباء في مكان لن يجدهك فيه الغضب أبداً. ولكن ما كان غائباً عن "هيلين" أن الغضب هو عاطفة إنسانية فطرية، ومهما بذلت من محاولات جادة للبحث عن مكان لا يوجد فيه غضب أو شخص لا يعبر عنه، فكل محاولاتها مصيرها الفشل.

عندما التقيت "جيم"، ظننت أنني دخلت الجنة. فقد كان هادئًا ورفيقًا، وكان دائمًا يكتب لي رسائل ويؤلف أغاني من أجلي - شخص رومانسي بحق. وفي الوقت الذي قابلته فيه، لم أكن أستطيع تخيله وهو يصرخ أو يحدث جلبة. قضى الأمرا سأوافق على الارتباط به! لكنك تعرفين القول "كن حذرًا فيما تمناه، فقد تحصل عليه". حسنًا، الآن أعرف ما يعنيه هذا.

قد تعتقدين أن الطريقة التي يتم التأثير بي عليها هي الصراخ - هذا منطقي. لكن "جيم" كان العكس، وعندما يغضب، يصبح أكثر هدوءًا، ولا يخبرني ما المشكلة - لا يقول أي شيء. أنا أكاد أتمنى أن يبدأ في الصراخ كي أعرف ما الذي أنا بصدد مواجهته. وهذا أسوأ. فعندما يغادر، أشعر بأنني أموت داخليًا، وأنتي منعزلة تمامًا - مثل جزيرة صغيرة وسط المحيط. أنا لا أتحمل غضبه بتلك الطريقة الهادئة الباردة، ويكون عليّ أن أخرجه من هذه القوقعة حتى لو تحتم عليّ أن أقف على رأسي.

أو، كما كان يحدث مرارًا وتكرارًا، أستسلم للابتزاز العاطفي. لقد ساعدت "هيلين" على إعادة النظر في الاختيارات التي اخترتها، ومعظمها تم اختيارها في الطفولة، بشأن التعامل مع الغضب - ثم عملنا على إفساح مجال له في حياتها. وقد تمكنت من إجراء تحسينات كبيرة في حياتها مع "جيم"، وهي عملية سنراها في الفصول التالية. لا يجب أحد فينا الغضب، لكن إذا اعتقدنا أن مسئوليتنا دائمًا تجنب الغضب أو إخماده للحفاظ على السلام بأي ثمن، فإن نطاق التصرفات المتاحة أمامنا سيكون ضيقًا للغاية: يمكننا أن نتراجع، نستسلم، نسترضي - جميع الأشياء التي تخبر المبتزين كيف يحصلون على ما يريدونه منا.

متقبل اللوم

أنا أشجع الآخرين على تحمل مسئولية ما يقومون به، لكن الكثير منا يعتقدون أن علينا أن نتحمل اللوم عن أية مشكلة تظهر في حياتنا أو حياة الآخرين، حتى لو كانت علاقتنا بحدوثها محدودة أو ليست لنا علاقة على الإطلاق.

والمبتزون بالطبع يغدون هذه الفكرة، بل في الواقع يطلبون أن تؤمن بها. إذا لم يكونوا سعداء، فنحن المشكلة، ويكون إذعانتنا لهم هو الحل.

اللوم الغريب

انهارت حياة "إيف" عندما تناول "إليوت" جرعة زائدة من الأدوية الموصوفة بعد إحدى المرات التي تشاجرا فيها. تم إخضاع "إليوت" للفحص والمراقبة في مؤسسة علاجية لعدة أسابيع، وعندما عاد إلى البيت، حمل "إيف" مسئولية ألمه ومشكلاته وكل مخاوفه.

هاج وماج ولم يتوقف عن إخباري بأن كل شيء كان خطئي. وقال: "انظري، الآن ستضعينني في مستشفى أمراض عقلية وسأقتل نفسي، والفضل سيمود لك. الآن لدي هذا السجل وسيقومون بإيداعي في مستشفى للأمراض العقلية، وسأموت بسبب هذا". كان ذلك فظيماً؛ فقد شعرتُ بأنني السبب في معاناته لمجرد أنني أتصرف بطبيعتي، ولم أعرف ماذا أفعل.

وفقاً للمقاييس الموضوعية، كان تصرف "إليوت" غريباً وكانت اتهاماته مبالغاً فيها، ويبدو أنه من غير المقنع أن شابة ذكية مثل "إيف" سوف تأخذ كلامه على محمل الجد، ولكنها بالفعل صدقته، وكانت متأكدة أن ما تتبأ به سيحدث على الأرجح - وسيقع كل اللوم عليها.

عندما سألتها ما إذا كانت لديها فكرة عن سبب تصديقها لكل ما يلقيه عليها من لوم، عادت مباشرة بذاكرتها إلى علاقتها مع أبيها؛ حينئذ بدأ الأمر كأننا لمسننا وترًا حساسًا لأول مرة.

قالت "إيف": "كان أبي يتحدث دائماً عن الموت؛ أعتقد أنه كان مهووساً به". ثم وضفت حادثة وقعت عندما كانت في الثامنة من عمرها.

لن أنسى أبداً ذلك اليوم؛ فأنا أراه كأنه الأمس. كنت جالسة في المقعد الأمامي في سيارتنا القديمة الضخمة ماركة بونتياك مع أبي الذي كان يتولى القيادة. توقفنا عند ممر للمشاة، وكنت أشاهد من النافذة بعض الأطفال

يلعبون في الساحة. التفت أبي إلي وقال: "أنت لا تعرفين أي شيء مهم، أليس كذلك؟".

نظرت إليه، فقال: "إذا أصبتُ بأزمة قلبية الآن، فلن تعرفي كيف تتصرفين، أليس كذلك؟ لن تعرفي كيف تتصرفين وسأموت أمامك". ثم أدار محرك السيارة مرة أخرى وانطلقنا. لم يقل شيئاً ولم أقل شيئاً، بل اكتفيت بعد النقاط التي على تنورتي وحاولت ألا أفكر في أي شيء على الإطلاق.

ولكن "إيف" الصغيرة فكرت بالطبع فيما نظرت إليه على أنه اتهام من أبيها لها: أنت تبلغين من العمر ثمانية أعوام، يجب أن تكوني قادرة على إنقاذي، وأنت لا تستطيعين ذلك. اعتقدت "إيف" أنها مستؤونة عن حياة والدها - أليس من المفروض عليها أن تكون قادرة على فعل ذلك؟ - وبالتالي فهي تستحق اللوم إذا مات. وبالنسبة لأي طفل، تكون العائلة هي العالم، وأن يخذلهم معناه أن يتسبب في انهيار العالم ومن فيه.

قالت "إيف": "أكثر شيء حقيقي في عائلتي هو" إذا لم تكوني فتاة جيدة مع أبيك، فإنه سيموت"، وقد صدقت ذلك حقاً. كان سلوك والد "إيف" غريباً، وبالنسبة لطفلة، كان ذلك مرعباً. كيف لها أن تقيم سلوك "إليوت" بموضوعية في حين أن ما هو غريب كان العادي بالنسبة لها؟

لقد غرست تجربتها مع أبيها بذور تقبل اللوم الذي لازمها بقوة حتى الوقت الحالي. وعلى الرغم من أنه لا يمكنك دائماً الربط بشكل مباشر بين طفولة الشخص وما يواجهه كشخص بالغ من صعوبات متعلقة بتقبل اللوم والابتزاز العاطفي، إلا أنه في حالة "إيف" كانت التشابهات شديدة الوضوح.

متلازمة أطلس

يعتقد الأشخاص المصابون بمتلازمة أطلس أنهم يجب أن يعالجوا كل مشكلة وحدهم، ويقدمون احتياجات الآخرين على احتياجاتهم. ومثل أسطورة "أطلس" الذي يحمل الكرة الأرضية على كتفيه، يتقلون كاهلهم بعبء إصلاح مشاعر الآخرين وتصرفاتهم أملاً منهم في تعويضهم عن تجاوزات ماضية أو مستقبلية.

أصبحت "كارين" - الممرضة التي قابلناها من قبل - بمتلازمة أطلس وهي مراهقة عندما انفصل والدها ووالدتها.

عندما رحل أبي، كانت أمي وحيدة بالكامل، وكان من المفترض أن أعوضها عن خسارتها. كان أفراد عائلتها يعيشون جميعاً في نيويورك، وكنا نعيش في ولاية كاليفورنيا، ولم تكن لديها سوى صديقة مقربة أو اثنتين هنا وكانت تعتمد عليّ.

أتذكر أنني عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري أو نحو ذلك، عرضت عليّ صديقاتي الذهاب في رحلة ليلة رأس السنة، لكنني أنا وأمي كنا قد خططنا أن نخرج للعشاء في تلك الليلة، ثم الذهاب إلى السينما. كنت متحمسة جداً للرحلة وأردت فعلاً الذهاب، لكنني شعرت ببعض الذنب؛ ولذا ناقشت الموقف مع إحدى خالاتي التي قالت لي: "فرانسيس لا تتوقع منك أن تبقي معها في حين أن لديك فرصة للذهاب مع صديقاتك في رحلة - اذهبي".

استجمعت كل شجاعتي وأخبرت أمي بأنني أريد أن أشترك في هذه الرحلة. فتألمت أمي بشدة وامتلات عينها بالدموع وقالت: "حسناً، ماذا سأفعل أنا في ليلة رأس السنة؟" ذهبت في هذه الرحلة وقضيت وقتاً رائعاً، لكن عندما عدت، كانت أمي نائمة في السرير ومصابة بصداع نصفي وتصرخ من الألم، وكنت أعرف أن هذا لم يكن ليحدث لو لم أذهب. شعرت بذنب كبير لم أستطع تحمله. أنا لا أريد أن أتخلى عن حياتي بالكامل، لكنني لا أريد أن أجرحها أكثر مما جرحتها بالفعل.

كانت "كارين" لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها، لكنها تعلمت أن تدع أمها تعتمد عليها. فإذا لم تعتن هي بأمها، فمن سيفعل ذلك في النهاية؟ لم يخطر في بالها أن أمها تستطيع الاعتناء بنفسها. بالإضافة إلى أنها إذا تسببت في غضب أمها أو "جرحها" عن طريق عدم القيام بما تريده، فربما تغادر أمها أيضاً.

في البداية لم أكن أعرف ماذا أفعل لها. لكن في أحد الأيام، عرفت ما الذي سيساعد على تحسين الموقف. أحضرتُ قلمًا وورقة وكتبت عقدًا: "أقدم أنا بموجب هذا وعدًا لأمي أنني عندما أكبر، سأحرص على أن تكون حياتها رائعة، وسأحرص على أن يكون لديها الكثير من الأصدقاء المدهشين والأشياء المرححة التي تقوم بها. تحياتي، كارين". أعطيتها العقد في ظهيرة أحد الأيام، فابتسمت إليّ وقالت إنني فتاة بارة.

يتولى الكثيرون منا مهمة الحفاظ على سعادة الطرف الآخر، وهي مسئولية ضخمة والتي بها فوائدها رغم ذلك. فقد وجدت "كارين" طريقة لتشعر من خلالها بالقوة واكتشفت طريقة لتجعل أمها سعيدة - وتتأكد من أن عالمها لم يتَهَرَّ.

من الصعب تجاهل ميول متلازمة أطلس عند شخص ما. فابنة "كارين"، التي كانت تبتزها من خلال تذكيرها بالألم الذي عانته في حادثة سيارة منذ أعوام، رأت الطريقة التي تستجيب بها أمها لجدتها - ومعظم الأشخاص الآخرين في حياتها. لقد كان من السهل بالنسبة لـ "ميلاني" تفعيل مثيرات تحمل المسئولية.

أنا و"ميلاني" مقيمتان من بعضنا، وأنا أعرف كم أنه من الصعب عليها أن تتجح في تنفيذ البرنامج وتحافظ على تعافياها من الإدمان. ولولا الحادثة والندوب، لكانت أقوى. أنا ممرضة وأعرف مظاهر الألم، وأتمنى لو كنت أستطيع أن أجنبها إياه. وبما أنني لا أستطيع ذلك، فيجب عليّ أن أحميها. هذا واجبي كأم، أنا لا أحب الضغط الذي تمارسه عليّ، لكنني أريدها أن تحظى بما لم أحظ به. فأنا أحبها وأحب أحفادي كثيرًا هل تعرفين أنها تهددني بالألا تدعني أراهم عندما تكون غاضبة مني؟ يجب أن تظل عائلتي متماسكة، وإذا كنت أنا الشخص الذي يجب عليه أن يلم شملهم، فسأفعل.

مثل كثير من المصابين بمتلازمة أطلس، لم تكن لدى "كارين" أية فكرة عن أين تبدأ وتنتهي مسؤوليتها عن الآخرين؛ لأنه كان قد تم إخبارها منذ وقت بعيد بأنه من المفترض أن تعني بالجميع باستثناء نفسها.

اللوم والمسئولية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، ومن الصعب رؤية الحدود التي تفصل بينهما. وعندما عملت مع "كارين" على وقف استجابتها التلقائية "أنت محق - أنا أستحق اللوم. أنا أدين لك بتعويضات"، بدأت "كارين" - لأول مرة في حياتها كشخص بالغ - في تحديد كيفية إفراح المجال في عالمها لاحتياجاتها، وتحديد نطاق المسئولية التي تريد أن تتحملها عن المحيطين بها.

القلب المرهف

الرفقة والتعاطف بحثان على المليية؛ بل والإحسان، ونحن لا نحترم كثيراً الأشخاص الذين يفتقرون لهما. ومن الصعب تخيل كيف يمكن لهاتين الصفتين أن تكونا ضاريتين. لكن الرفقة قد تتحول لإحساس غامر من الشفقة بحيث يدفعنا إلى التخلي عن سعادتنا من أجل شخص آخر. كم مرة قلنا: "لا أستطيع أن أتركه لأنني أشعر بالأسى الشديد عليه" أو "نظرت إليّ والدموع تنهمر على وجهها وسأفعل أي شيء تريده" أو "أنا دائماً أستسلم لها، لكنها تعيش حياة عسيرة للغاية..." نحن نقع في شباك الاحتياجات العاطفية للشخص الآخر ونفقد القدرة على تقييم المشكلات ورؤية الطريقة التي نحقق بها أفضل النتائج.

لماذا يمتلك بعض الأشخاص القدرة على الشعور بالتعاطف تجاه المشكلات أو المعاناة ويقدمون المساعدة الملائمة، في حين أن آخرين - ذوي القلوب المرهقة - يشعرون بأنهم مجبرون على التحول لأبطال خارقين ويقدمون كل ما لديهم لوقف هذه المعاناة - حتى لو كان عليهم التضحية باحترامهم لأنفسهم أو صحتهم؟ وكما رأينا إلى الآن، أينما يوجد إحساس قهري للتصرف واستجابة تلقائية والتي ربما تؤثر سلباً علينا، فغالباً ما يكون هناك مثير استجابات يمتد بجذوره.

قوة الشفقة

نشأت عميلتي "باتي" - الموظفة الحكومية التي قابلناها في الفصل الثاني - في منزل لم تشعر فيه بسعادة معظم سنوات طفولتها. كانت أمها تعاني مما بدا أنه اكتئاب عميق وعادة ما كانت تختفي في غرفة نومها لساعات، بل وأحياناً لأيام. وكانت "باتي" عادة ما تمزح قائلة: "لقد كانت أمي نائمة طوال طفولتي بالكامل"، لكنها تتذكر أنها كانت دائماً مدركة لحضور أمها واحتياجاتها، وكانت تحاول أن تلعب بهدوء كي لا تزعجها.

لقد كنت دائماً مستقلة، لكنني كنت قلقة عليها. لم تكن أمهات الآخرين مريضات طوال الوقت، لكن أقل قدر من الإزعاج كان يجعل أمي تأوي إلى الفراش. كنت منسجمة بحق مع نظام حياتها: إذ كنت أستطيع أن أعرف عن طريق الصوت من خلف باب غرفتها ما إذا كانت مستيقظة أم نائمة، وكنت أستطيع أن أعرف ما إذا كانت تنام بشكل جيد أو ما إذا كانت مضطربة. وإذا كان يبدو من صوتها أنها نائمة، كنت أنظر إليها وأنصت إلى صوت أنفاسها لأتأكد من أنها على ما يرام. كان ذلك جزءاً من وظيفتي عندما لم يكن أبي موجوداً.

كان ذلك بمثابة ميدان للتدريب معد خصيصاً لـ "باتي" لتتمتع بقلب مرهف. عندما نكون على احتكاك مباشر بأحد الأبوين أو أي شخص مهم آخر كثير المتطلبات المادية أو العاطفية، نصبح حساسين للغاية لتلميحاتهم. كل رفرقة للعين وتهيدة صغيرة وتغير في الصوت يصبح محملاً بالمعاني، ونحن نتفاعل - كما فعلت "باتي" - مع القروق الدقيقة لنمط تنفس شخص نائم. لكن الأطفال مثل "باتي" لا يمكنهم المساعدة بأي شيء.

وكما رأينا، يصر الكثير منا وهم أطفال على تحسين الوضع عندما يكبرون، ومن الشائع بيننا أننا نعبد تمثيل مشاهد من طفولتنا لتؤكد من أنها صارت بالشكل الملائم بما أنه قد أصبحت لدينا القوة لمعالجتها الآن.

أتعرفين تلك العبارة المبتذلة: "أنت تتزوج من يشبه أباك أو أمك"؟ أنا كنت متزوجة بأمي، من الواضح أن "جو" ليس مكتئباً كأمي - في الواقع، ما أحبه فيه هو مدى حماسه عندما يكون سعيداً. لكنه كان متقلب المزاج. "جو" نفس طريقة أُمِّي في التهنيد، وحتى طريقة مغادرته للاستلقاء في غرفته عندما يكون منزعجاً، وعندما يقوم بهذا، كل ذلك التدريب القديم الذي تلقينته يدخل حيز التنفيذ. قال لي "جو" إنه يعتقد أنني أستطيع فهم للنقاش بطريقة لا يستطيع أحد غيري القيام بها. عندما تعرفنا على بعضنا لأول مرة، أعجبتني الإحساس بأننا مناسبان لبعضنا واستطعت أن أجعله سعيداً. لكنه بدأ يتوقع مني أن أكون قارئة أفكار، ولقد أصبح الموضوع سخيفاً.

أصبح البقاء معه مثل اصطحاب طفل صغير إلى متجر ألعاب. أنت تعرفين كيف أن بعض الأطفال يختارون شيئاً غالي الثمن - لن تستطيعي شراءه - ويتشبثون به كأنه ملك لهم؟ وعندما تعيده إلى الرف يتصرفون وكأنك أخذت منهم أعز أصدقائهم؟ أنا الشخص الذي سيشتري الشيء اللعين كي يجعل الطفل يبتسم. أليس ذلك مريعاً للغاية؟

هناك فوائد كبيرة للتمتع بقلب مرهف، ذلك القلب الذي يجلب السعادة إلى الأرواح المسكينة التي تعاني. فأنت تصطبغ الشخص الآخر من قاع مستنقع اليأس وتعود به إلى أرض الحياة، وهي تقريباً رحلة أسطورية. إن متعة "المساعدة" تعميماً في كثير من الأحيان عن حقيقة أن الكثير من التصرفات المثيرة للشفقة تعد تلاعباً: أعط المتلاعبين ما يريدون وسترى مفعول السحر! لقد تم شفاؤهم.

ومرة أخرى، تكثر المفارقات عندما يقابل المعانون الأشخاص المستهدفين ذوي القلوب المرهفة. ويشعر المستهدفون بأنهم مغلوبون على أمرهم في مواجهة المعاناة. لكن عندما يوافقون على كل مطلب مصحوباً بالدموع، يزدادون بؤساً ويعجزون عن إيقاف المعاناة الشخصية النابعة من تجاهل احتياجاتهم الخاصة.

متلازمة الفتاة الجيدة

عندما أقلت "زوي" نظرة إلى الوراء على حياتها بحثًا عن مكان ربما قد تكون فيه أحد مثيرات الاستجابة، لم تجد أية صدمات؛ حيث قالت إن طفولتها كانت سعيدة وكانت عائلتها تدعمها.

السبب الوحيد في عدم تأقلمي بشكل مثالي هو أنني لم أكن هادئة كما يُفترض للفتاة أن تكون. وكان لديّ حس تنافسي عالٍ وكنت دائمًا أحب الفوز. وقد تسبب ذلك في انزعاج والديّ؛ فعندما كنت أحسن من أداي في المدرسة، كان والدي يقولان إنني أتفاخر بنفسي. فهمت أخواتي الرسالة، ولم يبد عليهن قط أنهن يسعين جاهدات إلى أي شيء، لكنني كنت مختلفة. كان أفراد عائلتي يقولون دائمًا إنهم فخورون بي، لكن ليس من طبيعة الفتيات أن يجذبن إليهن الانتباه بمثل هذه الطريقة الصاخبة.

قضت "زوي" أعوامًا وهي تتخفى عن الأنظار وحاولت ألا تظهر بقوة" في أوساط يكون فيها تشجيع النساء على المشاركة منخفضًا. لكن عملها قد لفت الانتباه، وعلى الرغم من أنها لم تتوقع أن تكون مديرة، فهناك الآن ١٠ أشخاص يعملون تحت إشرافها.

كان الطريق وعمرًا أمام النساء، وأمامي أنا شخصيًا؛ ولذا أقسمت على أن أنجز العمل بطريقة مختلفة. أعتقد أن هناك متسعًا كبيرًا من اللياقة والرفقة في بيئة العمل، وأنا أردت دائمًا أن ينظر الأشخاص العاملون تحت إشرافي كصديق كما ينظرون إلي كمدير. أنا لست مهتمة باستعراض قوتي أو فرض إرادتي على الفريق. من قال إنه يجب أن تترك إنسانيتك عند الباب عندما تكون في موضع قيادي؟

كانت "زوي" دائمًا فخورة بقدرتها على تقديم النصائح والدعم للنساء الأخريات. كانت "زوي" تشعر بالراحة في ذلك المجال. "زوي" النبيلة العطوفة. "زوي" المرشدة. "زوي" الصديقة المتاحة دائمًا للجميع. وهي

تفوقت بفخر في امتلاك قلب مرهف، ولم ترد أن تتخلى عما اعتبرته أفضل صفاتها بينما كانت ترتقي درجات السلم الوظيفي.

وفي سعي "زوي" لكي تكون شخصاً جيداً وكذلك مديراً جيداً، قامت بعمل صداقات مع بعض الأفراد من طاقم عملها، وبالأخص "تيس". كانت الاثنتان تتناولان العشاء معاً بصفة منتظمة وتذهبان إلى المسرح كثيراً، وهو شغف مشترك بينهما. ونظراً لعلاقتهم الاجتماعية، كان من الصعب جداً على "زوي" أن تلعب دور المدير "مع" تيس" وأن ترفض لها طلباً. وكما رأينا مع "تشارلز" و"شيرى"، فإن الارتباط بشخص ما على المستويين المهني والشخصي - حتى لو كانت مجرد صداقة وليس بها عنصر الرومانسية - يكون دائماً معقداً وعادة ما ينتهي على نحو سيئ، وخصوصاً عندما يكون لأحد الطرفين سلطة على الآخر.

في حالة "تشارلز" و"شيرى"، كان المدير هو المبتز عاطفياً، وهو سيناريو متوقع ونمطي. لكن في حالة "زوي"، كانت المديرية تمتلك بعض مثيرات الاستجابة الحساسة، وهو ما هبأها لكي تصبح هدفاً لابتزاز موظفة تعمل لديها.

هي لا تتوقف عن طلبها لإسناد المزيد من المسؤوليات، وتقول إنني من المفترض أن أكون صديقتها؛ فكيف أتخلى عن مساعدتها؟ وعندما أحاول إقناعها بأن الصداقة ليست لها علاقة بمسئولياتي تجاه الشركة، تخبرني بأنني تركت منصبني يستحوذ على تفكيرى وأنتى أريد استعراض قوتي. يا إلهي! ألا يبدو ذلك مألوفاً بالنسبة لى. أنا لا أريد أن يخاف منى الناس أو يعتقدوا أنني متبلدة المشاعر. أفلا هذا أمر يفقدنى صوابى!

لم تكن "زوي" قد حلت بعد الصراع داخلها بين ذلك الجانب منها الذي يريد أن يكون ناجحاً والجانب الذي يهتم أكثر بأن يكون محبوباً. كانت "زوي" تعاني متلازمة الفتاة الجيدة - وهو مرض يصيب الكثير من النساء في العصر الحالي اللاتي لا يزلن يحملن مخاوف عميقة بشأن قدرتهن على أن يكن أقوىاء وناجحات وفي الوقت نفسه محبوبات، وبسبب تناقضها بشأن

الطريقة التي "من المفترض" أن تتصرف بها، فتحت "زوي" الباب على مصراعيه أمام الابتزاز فدخلت "تيس" منه مباشرة.

وجدت "تيس" أن "زوي" بمثابة أرض نفايات مثالية مستعدة للإنصات لشكواها التي لا تنتهي. لكن عندما يكون لدى "زوي" شيء ملح تقوم به، أو تكون غير قادرة على قضاء بعض الوقت مع "تيس"، ستذكرها بالآتي: "أنت الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي. لن أستطيع النجاح بدونك". كان ذلك بمثابة لحن موسيقي يُعزف على أسماع "زوي". فهذه هي الطريقة التي حصلت بها على الحب في الماضي - باهتمامها وعطفها ودفئها ووقوفها الدائم بجانب الأشخاص الذين يحتاجون إليها. لكن الموسيقى كانت مليئة بالانشاز لأي شخص يريد تجنب الابتزاز العاطفي. كانت "زوي" بحاجة إلى توسيع تعريفها للعطف ليشملها هي شخصيًا.

المتشكك في ذاته

من الصحي أن نعترف أننا لسنا مثاليين ومن الوارد أن نرتكب الأخطاء. ولكن التقييم الذاتي الصحي يمكن أن يتحول بسهولة إلى انقاص من الذات. فعندما نواجه انتقاداً من شخص آخر، قد نختلف في البداية، ثم نعتقد أن مقاييسنا ومعاييرنا خطأ. كيف نكون على صواب إذا كان شخص مهم بالنسبة لنا يقول إننا مخطئون؟ ربما نحن مخدوعون. نحن نعرف أننا رأينا ومررنا بتجارب، لكننا لا نثق بذلك، فنتجاهل باستمرار حقيقة أفكارنا ومشاعرنا ورؤانا، تاركين للآخرين مهمة تحديد الشخصية التي ينبغي أن نكون عليها.

هذا أمر شائع عندما نتعامل من رموز للسلطة في حياتنا وبالأخص والدينا. ومرة أخرى الأمر متعلق بالعبارة الشهيرة "الأب يعرف أكثر". لكن يمكن لهذا أن يحدث أيضًا مع حبيب أو صديق نقدره ويصادف أن يكون هذا الشخص مبتزاً. إننا نمنح هؤلاء الأشخاص المثاليين السلطة والحكمة ونؤمن بأنهم أكثر ذكاءً وحكمة وصواباً منا. وربما لا يعجبنا ما يفعلونه، أو نرى ما يطلبونه منا إجحافاً، ولكن نظراً لافتقارنا للثقة بأنفسنا، فنحن نسمح لهم بفرض طريقتهم ولا تشكك في مطالبهم أو رؤيتهم للواقع (وهذا ينطبق على

النساء خاصةً والثلاثي تلقين في مرحلة مبكرة رسالة مفادها أنهن مخلوقات عاطفية ومن ثم فإنهن يغفلن عن الأشياء المهمة، في حين أن الرجال أعلى منزلة منهن؛ فهم سادة العقل والمنطق).

عندما نعزو الحكمة والذكاء إلى شخص آخر - وهذا ما نفعله بالتأكيد إذا كنا لا نثق بأنفسنا - فمن السهل بالنسبة لهم أن يحافظوا على شكنا في أنفسنا نشطاً. فهم يعرفون أكثر، والأهم أنهم يعرفون ما هو الأفضل بالنسبة لنا.

عندما تبدو المعرفة خطيرة

قد يأتي الشك في الذات على هيئة: "أنا أعرف ما أعرف، لكن لا يمكنني تصديقه". فمعرفةتنا تجعلنا نشعر بعدم الراحة والخطر، ونحس أننا لا نستطيع مواجهة التغيرات التي سيتحتم علينا القيام بها إذا تقبلنا تصوراتنا كحقيقة. بالنسبة لعميلتي "روبرت" التي تعرضت لضرب مبرح من أبيها، ثم لضغط من عائلتها عندما قررت أن تتحدث عن هذا، كان من الصعب للغاية أن تتمسك بموقفها؛ حيث قالت لي: العائلة بأسرها تقول إنني مخطئة. ماذا لو كانوا محقين؟ كيف يمكن أن أكون أنا الوحيدة المحقة؟ ماذا لو كنت قد تخيلت كل هذا؟ ماذا لو كنت قد بالغت في الأمر؟

عادة ما يعتمد ضحايا إساءة المعاملة على الشك في الذات ليحموا أنفسهم من رعب ماضيهم. ومن بين العبارات التي سمعتها كثيراً: "ربما لم يكن الأمر سيئاً كما اعتقدت"، "ربما أنا أبالغ في رد فعلي"، "ربما لم يحدث هذا الأمر على الإطلاق"، "ربما كان الأمر مجرد حلم". كانت "روبرت" تحتاج إلى التشبث بالحقيقة، لكن قبضتها كانت تقلت في بعض الأحيان.

لا يمكن أن أخسر عائلتي بالكامل بسبب هذا. لقد حاولت طوال حياتي أن أفعل شيئاً مهماً بالنسبة لهم لكي يلتفتوا إلي، لكنهم لم يلتفتوا إلي قط. كان أخي قرة عين والدتي لأنه كان الابن البكر، لكن عندما جئت، كنت مجرد طفلة بديئة، ولم يستطع أبي تحمل ذلك. فقد كرهني من أول يوم. كل شيء أفعله خطأ. لا أحد يصدقني. أنا فقط أريد منهم أن يحبوني، وهم يكرهونني الآن. لا بد أنني مجنونة لأنني خضت في هذا. ربما هم محقون.

كادت "روبرتاً" ترضخ للضغط الذي مارسته عائلتها عليها لتراجع أو تقاطعها العائلة. فأصبحت "روبرتاً" كيش فداء العائلة.

من الشائع أن يصبح شخص ما انعكاساً لكل الأخطاء التي وقعت في العائلة. كانت "روبرتاً" بمثابة مستودع لإنكار العائلة وسريتها، وتحتم عليها أن تمتص لوم العائلة وتوترها وقلقها وشعورها بالذنب كي يظل الآخرون في حالة توازن. وعلى هذا المنوال، لن يعرف أحد من العائلة التفكير في شيء عن مدى تردي أوضاع أفرادها.

من الصعب أن تؤمن بأن تصوراتك صحيحة في حين يخبرك الأشخاص الذين تحبهم بأنك مجنون أو مخطئ أو مريض، لكن مع الدعم والعمل الدءوب، وجدت "روبرتاً" الشجاعة لتقف على أرض ثابتة؛ فلو لم تتخلص "روبرتاً" من الشك الذي لازمها لفترة طويلة، لصار شفاؤها من رابع المستحيالات. ومثل كل الأنماط السلوكية التي تعرضنا لها، فإن هذا لم يجعلها آمنة، بل جعلها حبيسة نمط معين.

ولعل صراعك للتمسك بما تعرفه، أو حتى إدراك أنك تستبعد التركيز على نفسك، ليس كبيراً مثل صراع "روبرتاً"، لكنه إلى حد كبير على القدر نفسه من الأهمية. ومثلما كان إدراك "روبرتاً" لحقيقتها الخاصة مسألة حاسمة لصحتها النفسية، فإنه بالنسبة لمعظمنا الطريقة الوحيدة لإنهاء الابتزاز العاطفي.

مسألة توازن

جميع الأنماط السلوكية التي رأيناها هي آليات بقاء اخترناها لنُبقي أنفسنا آمنين. تكمن المشكلة في أننا لم نتوقف يوماً لمراجعة وتحديث هذه الآليات التي صار معظمها عتيقاً. فعندما نحافظ على توازن هذه الأنماط ونستخدمها بالتبادل مع سلوكيات أخرى، فإن أيًا منها لن يضعنا أبداً في خانة "مستهدف مفضل" للمبتزين عاطفياً. فتجنب الصراع و صنع السلام وحتى القليل من الشك في الذات لن يضررك - طالما أنك لا تجعلهم الدرع التي من المفترض أن تحميك من المشاعر التي تعتقد أنك لا تستطيع تحملها. إذا كنت صانعاً للسلام ولكنك لا تقبل الحلول الوسط عندما يتعلق الأمر بإيمانك الشديد

بعدم قدرتك على تنفيذ ما يطلبه شخص آخر منك؛ فلا مشكلة في ذلك. لكن إذا تركت هذه السمات تتحكم فيك باستمرار، فأنت تمسك بحبل يجذبك مباشرة إلى بحر من الابتزاز العاطفي.

نحن من يدرّب المبتز

يتطلب الابتزاز تدريباً وممارسة. من يقدم هذا التدريب؟ أنت. من غيرك يستطيع أن يخبر المبتز بدقة ويقين مطلقين التالي: هذا هو ما يؤثر فيّ. وهذا هو نوع الضغط الذي أستسلم له دائماً. هذه هي أكثر أداة مناسبة لكشف الموضوع الأكثر حساسية لديّ.

أنت على الأرجح لا تتذكر أنك قدمت درساً خاصاً في الابتزاز العاطفي، لكن المبتزين عاطفياً يستقون معلوماتهم من استجابتنا على اختباراتهم، ويتعلمون مما نفعله ومما لا نفعله. ستساعدك القوائم التالية على تحديد إلى أي مدى أصبحت مدرباً شخصياً بارعاً للمبتزين الموجودين في حياتك. عندما تتعرض لضغط من مبتز، هل:

- تعتذر
- "تفكر بعقلانية"
- تجادل
- تصرخ
- تستجدي
- تغير أو تلغي خططاً أو مواعيد مهمة
- تتنازل وتأمل بأن تكون هذه المرة هي الأخيرة
- تستسلم

هل تجد من الصعب أو من المستحيل أن:

- تدافع عن نفسك؟
- تواجه ما يحدث؟

- تضع حدودًا؟
- تخبر المبتزين أن سلوكهم غير مقبول؟

إذا أجبت بـ نعم عن أي من هذه الأسئلة، فأنت تتصرف كأنك مدرب وممثل مشارك في دراما الابتزاز. في كل يوم، من حياتنا نعلم الناس كيف يعاملوننا من خلال إبداء ما نقبله وما لا نقبله. وربما نعتقد أننا نستطيع جعل هذا التصرف المزعج الذي قام به شخص آخر يختفي إذا تجاهلناه أو لم نحدث جلبة بخصوصه، لكن الرسالة التي نبعث بها عندما لا نكون صريحين بشأن ما هو غير مقبول هي: "لقد نجح الأمر. قم به مرة ثانية".

الأمر يبدأ بالأشياء الصغيرة

مالا يدركه الكثيرون منا هو أن الابتزاز العاطفي يُبنى على سلسلة من الاختيارات. فلو نجح على نطاق ضيق، سنراه مرة أخرى بشكل أكبر؛ لأننا عندما نستسلم إلى الضغط أو المضايقة، فنحن نقدم تعزيزات إيجابية، ومكافأة على السلوك السيئ. الحقيقة المرة هو أنه في كل مرة ندع شخصًا ما يقوض كرامتنا وسلامتنا، فإننا نُعد متواطئين معه ونساعده على إلحاق الأذى بنا.

إننا نعيش وهم أن الابتزاز العاطفي ينبثق في حياتنا في طوره الكامل مثل إعصار، كأنه نابع من العدم فيسقطنا أرضًا بقوته وغضبه. فنسأل أنفسنا: "كيف يمكن للشخص الآخر أن يتغير هذا التغير الكبير؟ كيف أصبحت توترات الأمور فجأة على هذا النحو؟ وأحيانًا يكون دخول الابتزاز العاطفي إلى علاقة مفاجئًا، لكنه عادة ما يتزايد ببطء، ويحرز تقدمًا بمرور الوقت لأننا نسمح له بذلك.

بدأت "ليز" في التحدث إليّ عن مشكلاتها مع زوجها "مايكل"، من خلال وصف مدى الخوف الذي شعرت به من تهديداته لها بأن يعاقبها، لكن عندما أنقذت نظرة إلى الوراء، أدركت أن قبل وقت طويل من حدوث الأزمة الكبيرة بينهما، كانت تسمح لـ "مايكل" بالإفلات من محاسبتها على أحداث صغيرة تُعد ابتزازًا عاطفيًا غير واضح.

لطالما كان "مايكل" مهووسًا بالكمال، فهو واحد من أولئك الأشخاص الذين إذا حددت معهم ميعادًا للمقابلة وتأخرت عن موعدك خمس دقائق، فإنهم يغادرون كي يتأكدوا من أنك قد تعلمت درس الحفاظ على المواعيد بدقة. كان يجب عليّ أن أفهم هذا الأمر عندما بدأ في ترتيب مجلاتي على الطاولة وينتقدي إذا لم تكن المجالات مرتبة. كانت قواعده - وهو لديه قاعدة لكل شيء تافه - مصدرًا للتوتر بيننا من أول دقيقة عشنا فيها معًا. وعندما أنجبنا التوأمين، كان الأمر لا يطاق. حاولي أن تبقي المنزل نظيفًا ساطعًا وفيه طفلان يتعلمان المشي! لكن الواقع لم يكن يعني شيئًا لـ "مايكل": فقد ظل يخبرني بأنه يريد المنزل منظمًا بطريقة معينة. كيف كان يخبرني بذلك؟ كانت له أساليبه الخاصة.

أتذكر أنه في أحد الأيام تركت بعض الأطباق في الحوض بدلًا من وضعها في غسالة الأطباق. وعندما وصلت إلى البيت، كان "مايكل" قد كومها على بعضها على الأرض. لم أصدق ذلك - لكنني لم أفعل شيئًا، بل سكت على مضض والتقطت الأطباق من الأرض.

استتجت "ليز" سريعًا بأنها مخطئة وأنها تستحق غضب "مايكل"، لكنها كانت الشخص الذي يتولى تدريب "مايكل" بهذه الطريقة. وقد لاحظت "مايكل" إلى أي مدى كان عقابه فعّالًا.

والآن، وأنا أفكر في الوضع، فإن الأمر يبدو كأن "مايكل" كان يجد دائمًا طريقة لتصحيح أخطائي. ففي مرة غادرت دون أن أغلق باب الجراج، وعندما عدت إلى المنزل، كان "مايكل" قد عطّل جهاز فتح الباب تلقائيًا، وبالتالي كان عليّ أن أخرج من السيارة وأفتح الباب بنفسني. كان هذا مثل واحدة من تلك العقوبات التي يعتقد والداك أنه من المفترض ألا تتساها. وقد أقتعني "مايكل" بأنني خرقاء وغير مسؤولة وأم سيئة، وشعرت بذنب شديد واعتذرت في النهاية.

عقوبات بسيطة مثل التي كان يقوم بها "مايكل" تجردنا من كرامتنا وسلطاننا كأشخاص بالغين. هي تعادل ضرب الأطفال على الأرداف، وهي

تصرفات تصفر منا كأشخاص بالغين كأننا أطفال صفار ذوو طابع سيئة يحتاجون إلى من يلقنهم درسًا. وكما اكتشفت "ليز"، فإن الذنب الذي نشعر به بسهولة يصبح إحساسًا فحواً "أنا شخص سيئ؛ ولذا فأنا أستحق هذه المعاملة".

ومع أزيز مثيرات الاستجابة لدى "ليز"، لم تفكر حتى في أن تدع "مايكل" يرى مدى انزعاجها، ولم تفكر في مواجهته، لكنها كانت من خلال إخفاء مشاعرها تدرّب "مايكل" ليزيد من سلوكه العقابي لإبقائها تحت سيطرته. يعرف المبتزون الحدود التي يمكنهم بلوغها من خلال ملاحظة الحدود التي نسمح لهم بتجاوزها. إننا لا نعرف ما كان من الممكن أن يحدث لو كانت "ليز" قد قضت على هذا السلوك في مهده. ونعرف أيضاً أن "ليز" علمته أنه إذا عاملها كطفلة وأهانها وهددها، فإنه سيحصل على ما يريد. كانت عقوبات "مايكل" متكررة، بل ومتصاعدة، إلى أن وصلت في النهاية إلى ذروة مؤلمة ومخيفة عندما هدها بأن يمنع عنها الأموال ويأخذ الأطفال إذا حاولت أن تتركه.

من الناحية الظاهرية، لا يبدو وجود علاقة بين فصل جهاز فتح الجراج والتهديدات الأكثر جرأة التي جاءت بعد ذلك، لكن الحوادث الأولية كانت تبدو مثل نزلة البرد التي يمكن أن تقود إلى التهاب رئوي أحياناً خطيرة عندما يتم تجاهلها وعدم معالجتها.

وكما يكتشف كل الأشخاص المستهدفين، في الابتزاز العاطفي يكون الحاضر مقدمة للمستقبل؛ فما تعلمه اليوم سيعود غداً ليطارده.

الابتزاز الذاتي

على الرغم من عنوان هذا الفصل، فإن الابتزاز أحياناً يتطلب شخصاً واحداً؛ إذ يمكننا بسهولة القيام بكل عناصر الابتزاز وحدنا - ابتداءً من الطلب مروراً بالمقاومة والضغط والتهديدات؛ فنكون بمثابة المبتز والمستهدف في الوقت نفسه. وهذا يحدث عندما يكون خوفنا من الرد السلبي للآخرين قوياً، وسيطر علينا خيالنا. فنفترض أننا إذا طلبنا ما نريده، فإنهم سينتقدوننا

وسينسحبون وسيغضبون، ونتمسك بحماية أنفسنا لدرجة أننا لا نقدم على أية مجازفة، حتى المجازفة البسيطة المتمثلة في سؤال الشخص الآخر "ما رأيك إذا قمتُ..."

دعني أوضح لك ما أعنيه.

كانت صديقتي "ليزلي" تحلم بالذهاب في رحلة إلى إيطاليا منذ أكثر من عام، واتخذت الترتيبات اللازمة مع صديقاتها وحجزت تذاكر الأوبرا. لكن منذ ستة أشهر، تطلعت ابنتها "إلين"، وساعدتها "ليزلي" بإقراضها أموالاً بين الحين والآخر ورعاية طفلي "إلين" الصغيرين. كان كل من "ليزلي" و"إلين" قد مرتا بأوقات صعبة، لكنهما أصبحتا أكثر قرباً من بعضهما منذ طلاق "إلين"، وكانت "ليزلي" سعيدة بالصدقة الجديدة التي نشأت بينهما. قالت لي "ليزلي": "لا يمكنني القيام بأي شيء يعرض تلك الصداقة للخطر. وأنا أعرف أنني إذا ذهبت في هذه الرحلة، فستغضب وستعتقد أنني أتصرف بأنانية. كيف لي أن أسافر بينما "إلين" تعاني وتحتاج إلى مساعدة؟". ربما كانت ابنة "ليزلي" ستتقبل الأمر جيداً إذا أخبرتها أمها عن الرحلة، لكن "ليزلي" رفضت أن تقدم على المحاولة، وفضلت أن تؤجل الإجازة التي كانت تحتاج إليها بشدة.

كم مرة حررنا أنفسنا من شيء معقول وفي حدود إمكانياتنا لمجرد أننا نخاف رد فعل الآخرين؟ نحن نتحي جانباً أحلامنا وخططنا لأننا "متأكدون" أن شخصاً ما سيعترض - على الرغم من أننا لم نحاول طرح أفكارنا من قبل. نحن نريد شيئاً، لكننا نقاوم أنفسنا ونضغط عليها عن طريق اختلاق العواقب السلبية، ونمنع أنفسنا من القيام بما نريد القيام به. فتخلق الضباب الخاص بنا، وهذا هو الابتزاز الذاتي.

ربما تكون لدينا تجارب مع آخرين تيرر مخاوفنا من ردود أفعالهم، لكننا في كثير من الأحيان نضع افتراضات غير واقعية تماماً. وربما حتى نغضب من أشخاص يمنعوننا من القيام بأمر ما لا يعلمون عنه شيئاً. فتحن نخطو بعناية حول مثيرات الاستجابة ونحبس أنفسنا في نمط آمن خانق من أنماط الابتزاز الذاتي.

تحذير

رجاءً لا تستعن بهذا الفصل كوسيلة تقسو بها على نفسك. فحتى الآن، أنت بذلت أقصى ما يمكنك بذله وفقاً لما تعرفه. أنت شخص واحد من كثيرين تشكل سلوكهم دون وعي. انظر إلى الشخص الذي كنت عليه بعين العطف، ثم استعن بهذا الفصل لتقدم لنفسك فهمًا عميقًا لعملية الابتزاز العاطفي والدور الذي لعبته فيها.

تأثير الابتزاز

قد لا يشكل الابتزاز العاطفي تهديداً للحياة، ولكنه يسلبنا أعلى ممتلكاتنا - نزاهتنا. والنزاهة هي مستودع قيمنا وبوصلتنا الأخلاقية، وهي التي توضح الصواب والخطأ بالنسبة لنا. وعلى الرغم من أننا نميل إلى اعتبار النزاهة والأمانة مترادفين، فإنهما في الواقع أكثر من ذلك بكثير. فالكلمة نفسها تعني "الكمال" ونحن نعتبرها المعرفة الراسخة بأن "هذا ما أنا عليه. وهذا ما أؤمن به. وهذا ما أنا مستعد للقيام به. وهذه هي الحدود التي أضعها".

لا يجد معظمنا مشكلة في عمل قائمة بما يفعله وما لا يفعله لإرشادنا. لكن إدماج تلك المعتقدات في نسيج حياتنا والدفاع عنها تحت ضغط الابتزاز العاطفي يُعد أكثر صعوبة. فتحن في أحيان كثيرة نزعن ونقوض نزاهتنا؛ ما يفقدنا القدرة على تذكر كيف يكون الشعور بالكمال.

كيف تبدو النزاهة؟ توقف لحظة لإلقاء نظرة على القائمة التالية - ربما تريد أن تقرأها بصوت عالٍ - وتخيل أن كل عبارة من هذه العبارات تنطبق عليك معظم الوقت.

- أنا أدافع عما أؤمن به.
- أنا لا أدع الخوف يدير حياتي.
- أنا أواجه الأشخاص الذين تسببوا في إبدائي.
- أنا أحدد شخصيتي ولا أسمح للآخرين بالقيام بذلك.
- أنا أفي بالوعود التي أقدمها لنفسي.
- أنا أحمي صحتي النفسية والعاطفية.
- أنا لا أخون الآخرين.
- أنا أقول الحقيقة.

هذه عبارات محررة قوية يجب أن نطبقها على أنفسنا، وعندما تعكس هذه العبارات بصدق أسلوبنا في الحياة، فهي تعطينا نقطة توازن، إحساسًا مؤكدًا بالاتزان يحول دون انحرافنا عن مسارنا من خلال التوتر والضغط التي تواجهنا باستمرار. عندما نستسلم للابتزاز العاطفي، فنحن نشطب بنودًا من هذه القائمة، واحدًا تلو الآخر، من خلال أن ننسى ما هو الصائب بالنسبة لنا. وفي كل مرة نفعل فيها ذلك، فنحن نضحى بجزء من كياننا المكتمل. عندما تنتهك هذا المعنى الجوهرى لأنفسنا، فنحن نفقد إحدى أوضح القوى المرشدة في حياتنا؛ فتسير على غير هدى.

التأثير على احترام الذات

ضعيف. جبان. فاشل. أحمق. لدينا الكثير من الطرق لتصف بها أنفسنا عندما ننتهي من مقابلة مع أحد المبتزين عاطفيًا بعد أن استسلمنا له مرة أخرى. ويصبح حكمنا على أنفسنا غائمًا لأننا نعاني ضباب الابتزاز، ونقول لأنفسنا: "لو كنت أتعلّى بأي قدر من القوة، لما استسلمت. هل أنا حقًا بهذا الضعف؟ ما خطبي؟".

ليست هناك حاجة إلى أن تكون متعنتًا أو أن تعنف نفسك إذا ما استسلمت أمام شخص ما بخصوص مسألة صغيرة نسبيًا. فمعظمنا يدرك أنه يتحتم علينا في كثير من الأحيان أن نتساهل قليلًا ونتوصل لحلول وسط، وفي أوقات

كثيرة لا يكون الاستسلام للضغوط شيئاً إلى هذا الحد. ولكن الاستدراج إلى أنماط الاستسلام لتفعل أشياء ليست في مصلحتك يؤثر سلباً على نظرتك لنفسك. هناك دائماً حد أقصى، نقطة إذا استسلمنا عندها؛ فإننا ننتهك أهم مبادئنا ومعتقداتنا.

كيف نخذل أنفسنا؟

الثمن الذي ندفعه بسبب تجاهلنا هذه النقطة أصبح واضحاً بشكل مؤلم لـ "ماريا" مع مرور الوقت. بعد بضعة أشهر من عملنا معاً، كانت هادئة على غير العادة في إحدى جلساتنا، وهذا اختلاف كبير عن أسلوبها الحماسي التقليدي. وعندما سألتها ما الخطب، أجابت ببطء قائلة:

أنا غاضبة من أشياء كثيرة جداً. أنا بالطبع غير سعيدة بما فعله "جاي"، لكن أكثر ما يضايقني هو ما فعلته بنفسه. أعرف أننا تحدثنا كثيراً عن العائلة وكيف أنني احترمت ذلك دائماً وأعطيته الأولوية في حياتي. لكن عندما أنظر في المرأة، أرى امرأة لم تحترم نفسها بما يكفي لتخبر زوجها: "أنا لن أدعك تحط من قدرتي أو قدر زواجي بخيانتك لي". أشعر كأنني خذلت نفسي حقاً. فلقد قمت بكل شيء إلا الدفاع عن نفسي. ربما يجدر بي أن أرتدي شارة مكتوباً عليها "احتقرني".

أوضحت لـ "ماريا" أنه على الرغم من أن الأمر لا يبدو كذلك بالنسبة لها، فإنها قطعت شوطاً طويلاً، وذكرتها بأنها عملت جاهدة لتصل إلى مرحلة اعترفت فيها باحتياجاتها واستطاعت مقاومة ضغوط نشأتها وبيتها. ويعود جزء من تويخ الذات الشديد الذي تشعر به إلى أنها رأت الصورة بوضوح. للمرة الأولى منذ أعوام – وربما في حياتها – أنها حظيت بإحساس واع قوي بالقيم التي احترمتها وعملت على حماية حقوق الآخرين ما عدا حقوقها هي.

حقيقة مفرغة

احترام نزاهتنا وحمائتها ليس أمراً سهلاً؛ حيث إن المبتزين يشوشون على نظام الإرشاد بداخلنا عن طريق إحداث ارتباك وجلبية، وبينما يفعلون

ذلك، نبدو كأننا نفقد التواصل مع جوانب المعرفة داخلنا، فإذا بنا نوبخ أنفسنا حين ندرك أننا استسلمنا مرة أخرى. "باتي" - التي تركت زوجها "جو" يقنعها بأن تطلب سلفة من عمتها الراقدة في المستشفى - هي تجسيد لمأزق المستهدف الذي يتعرض بشدة لضغوط ليستسلم في النهاية للابتزاز.

كان هذا وضعًا خاسرًا لي في كل الأحوال. فلولم أتصل بعمتي، لشعرت بأنني شخص مريع للغاية لأنني خذلت "جو". فهو عائل الأسرة، وفي هذا الموقف يطلب مني خدمة صغيرة في حين أنه يقوم بكل شيء. بدا الأمر منطقيًا للغاية، لكن بعد أن قمت به، شعرت بأنني إنسانة فظيعة.. مريعة وحقيقية. شعرت بأنني مستغلة وبلا إرادة، وهو ما كان صحيحًا.

وقعت "باتي" في المأزق التقليدي: "ملعون إذا فعلت، ملعون إذا لم تفعل" الذي تسبب في غرق عدد كبير من المستهدفين في عملية الابتزاز في دوامة إدانة الذات. وطالما أنها كانت تقبل فكرة "جو" بأن ما يريد على وجه الاستعجال هو "خدمة صغيرة" تدين بها "باتي" له، فلم تكن تستطيع مقاومة ما كان يطلبه - على الرغم من أنها، كما تقول هي: "أنا لست من نوعية الأشخاص الذين يقومون بشيء مثل هذا. من العاقل الذي سيتصل بشخص قد خضع لتوه لجراحة ويستجديه طلبًا للمال؟".

لم تفقد "باتي" إحساسها بما هو صحيح ومناسب، لكن نظرًا لاحتياجها للحفاظ على السلام مع "جو"، تصرفت كأنها فقدته. وكنتيجة لذلك، انتاب "باتي" شعور غامر بالندم واحتقار الذات.

لكن النتيجة المؤسفة لمثل هذا الجلد للذات تتمثل في أنه يخلق دائرة مفرغة. فنحن تحت الضغط نفعل شيئًا لا يتماشى مع شخصيتنا. وندرك ما قد فعلناه ونحن في حالة صدمة وعدم تصديق ونبدأ في اعتقاد أننا بالفعل غير أكفاء كما جعلنا المبتزون نبدو. ثم بعد أن فقدنا احترامنا لأنفسنا، نصبح أكثر عرضة للابتزاز العاطفي لأن نستमित لننال رضا مبتزينا - وهو ما يثبت أننا لسنا سيئين للغاية. ربما نكون غير قادرين على التمسك بمعاييرنا، إلا أننا قادرون على الوفاء بمعاييرهم.

وكما قالت "باتي":

كنت خائفة من أنني إذا لم أتصل بعمتي، فسيتوقف عن حبي، وكنت خائفة من ألا أكون زوجة صالحة. وأنا كنت أحتاج إليه، وهو سيكف عن حبي، وأنا كنت سأخذه.

على الرغم من أن "باتي" انتابها شعور مريع تجاه إجراء المكالمات الهاتفية، لكن ذلك كان مريحاً لها أكثر من أن ترفض طلباً لـ "جو". عندما كان أمامها أن تختار بين إحساسها بما هو صواب وما هو خطأ وبين الظهور بمظهر الزوجة السيئة، نحن نعرف الخيار الذي اتخذته.

التعليل والتبرير

ربما تصبح رغبتنا في حماية نراحتنا مخيفة وموحشة: فهي تضعنا في خطر التعرض لانتقاد الأشخاص الذين نهتم بأمرهم، وربما تعرض العلاقة للخطر. أرادت "مارجريت" أن تتمسك بـ "كال" - مهما كلفها ذلك - ولذا فعلت ما يفعله الكثيرون ممن يتعرضون للابتزاز عندما يكون أمامهم الخيار بين أن يكونوا صادقين مع أنفسهم وبين الإذعان لما يريده الطرف الآخر: قامت بالتبرير.

حاولت "مارجريت" التوصل إلى "أسباب وجيهة" للقيام بما أرادته "كال". فأخبرت نفسها بأن الذهاب للحفلات الماجنة ليس مشكلة كبيرة - لعل أفكارها صارت عتيقة وملتزمة. فعلى الرغم من كل شيء، كان "كال" شخصاً رائعاً من نواح عديدة. واحتياج "مارجريت" لهذا التبرير المستفيض كان تحذيراً لها بأنها تتخطى حدود ما تعرف أنه صحيح وسليم.

يتطلب الأمر الكثير من الطاقة الذهنية والعاطفية لإقناع أنفسنا بأننا يمكن أن نقبل شيئاً ليس صحيحاً وفقاً لمعتقدنا. وتشب حرب داخلية بين نراحتنا وضغط المبتز. وكما هي الحال في جميع الحروب هناك خسائر وضحايا. وقد دفعت "مارجريت" ثمناً باهظاً بسبب تبريراتها، ولقد عملنا معاً لإعادة بناء احترامها لنفسها وإسكات النقد الذي كان يصرخ داخلها وقمنا بتقوية تواصلها مع ذلك الصوت المرشد داخلها.

مهما كان قدر ارتباكنا أو شكنا في أنفسنا أو ترددنا فيما يتعلق بتعاملاتنا مع الآخرين، فلا يمكننا إسكات ذلك الصوت الداخلي الذي يخبرنا دائماً بالحقيقة. ولكن لعلنا لا نحب صوت الحقيقة، وفي أحيان كثيرة ندعه يهيم خارج وعينا، لكننا لا نتوقف طويلاً بما يكفي للإنصات إليه. وعندما ننتبه له، فهو يقودنا نحو الحكمة والنضج والوضوح. وذلك الصوت هو الحارس الأمين على نراحتنا.

كانت "إيف" قد سجلت في دورات تدريبية ستساعدها على الحصول على وظيفة واكتساب بعض الأمان المالي وهي تعمل على إعداد مشوارها الفني. لكن تحت ضغط "إليوت"، انهارت خططها الواعدة.

كل ما أردته هو اكتساب بعض المهارات كي لا أكون مضطرة دائماً للاعتماد على شخص ما. كنت أفكر في أخذ بعض دورات الجرافيكس، دورات في الرسوم الكارتونية، كي لا يتحتم عليّ الجلوس دائماً بانتظار الحصول على عمولة كبيرة. لكنه كره ذلك بشدة. وفي يوم ما، وبالتحديد اليوم الذي كنت ذاهبة فيه لإجراء اختبار الكمبيوتر السخيف هذا، هدد بتناول جرعة زائدة من الدواء. كنت مصدومة للغاية، وشعرت كأن أشبع كوابيسي قد تحقق. كان يجلس هناك وأمامه زجاجة ماء والكثير من عبوات الحبوب. كيف يمكنني أن أعود إلى الدراسة بعد ذلك؟ قلت لنفسى لا تفعل! هذا يا "إيف"، استمري في الدورات، لكنني.. انهارت. قلت، انظري، فليذهب هذا الأمر إلى الجحيم.

مثل معظم المستهدفين من الابتزاز، غاب عن ذهن "إيف" حقيقة أن بعض أهم الوجود نقطعها على أنفسنا. لكن بالمقارنة مع ضغط "إليوت"، واعتقادها بأنها مسئولة عن حياته، فإن تلك الوجود بدت تافهة تقريباً.

كانت تهديدات "إليوت" خطيرة، ولم تكن "إيف" مستعدة بعد للتعامل معها، حتى عندما يكون الضغط أخف وطأة، فإن كثيراً من الأشخاص المستهدفين ينكثون بالوجود التي قدموها لأنفسهم. إن من أخطر تأثيرات الابتزاز العاطفي هو الطريقة التي يُضيق بها عالمنا. وكثيراً ما نتخلى عن

الأشخاص والأنشطة التي نحبها كي نرضي الذين يبتزوننا، وخصوصاً لو كانوا مسيطرين علينا أو متطلبين بشكل مفرط.

لكن في كل مرة لا تأخذ الدورة التدريبية التي تريد أخذها، وفي كل مرة تتوقف عن السعي لتحقيق مصلحة ما أو رؤية أشخاص تهتم بأمرهم من أجل أن تسعد المبتز، فأنت تتخلى عن جزء مهم من نفسك وتتقص من كيانك المكتمل.

التأثير على سعادتنا

إن الابتزاز العاطفي يتركنا مشحونين بالمشاعر المتأججة المكبوتة. كانت "باتي" ممتعة للغاية من تلاعب "جو" - وهي مشاعر طبيعية تماماً - لكن على الرغم من وعيها بما كانت تشعر به، لم تستطع الحصول على الراحة التي ستنبع من التنفيس عن غضبها وإحباطها. فمعظم الأشخاص المستهدفين من الابتزاز يميلون إلى كبت تلك المشاعر، فإذا بها تطفو على السطح من خلال جميع أشكال الكتابة: الاكتئاب، القلق، المبالغة في رد الفعل، الصداق - مجموعة كاملة من الأعراض البدنية والانفعالية التي تحل محل التعبير المباشر عما نشعر به.

عندما استعانت معالجة "كاثرين" بالابتزاز العاطفي من أجل الضغط عليها للانضمام إلى مجموعة علاجية، امتلأت "كاثرين" بالغضب، ليس فقط من المعالجة بل أيضاً من صديقة مقربة تم توريطها في الموقف.

كانت صديقتي منضمة إلى المجموعة وبدأت في الضغط عليّ أيضاً. اكتشفت لاحقاً أن "رonda" كانت قد طلبت منها أن تؤثر فيّ، وبالتالي كان عليّ التصدي لكل منهما. كنت أشعر بغضب شديد وأنتي أتعرض لضغط مزدوج. لكنني لم أكن أشعر بالأمان للتعبير عن هذا الغضب بشكل مباشر؛ ولذا، ازدادت اكتئاباً، وكانت التجربة برمتها فظيمة.

لقد تسببت "رonda" في كثير من الألم لي. لقد كنت ضعيفة للغاية في ذلك الحين، وهي لم تدعمني أو تؤيدني إطلاقاً. بل جعلتني أشعر بأنني أسوأ - أكثر

عجزاً وضعفًا. الحمد لله أنني تحليت بالحكمة لرؤية ما يحدث وابتعدت عنها.

وكما هي الحال مع "كاثرين"، فإن العديد من أهداف الابتزاز العاطفي يشككون حتى في حقهم في الإحساس بمشاعر معينة - خصوصًا مشاعر الغضب. وقد يحولون غضبهم إلى الداخل حيث يمكن أن يصبح اكتئابًا، أو ربما يبحثون عن مبررات ليخفوا مدى الغضب الذي يشعرون به. كانت "كاثرين" محظوظة لأنها استطاعت في النهاية أن تتجاوز اكتئابها والشك في ذاتها وتخرج من موقف خطير.

عندما تكون الصحة العقلية على المحك

كانت "إيف" واقعة في شراك علاقتها المدمرة مع "إليوت" لدرجة أنها بدأت تعتقد أن صحتها العقلية في خطر.

أنا أعرف أنني ورطت نفسي في متاعب. وكانت عواطفني منهكة لدرجة أنني كنت خائفة من أن يأخذوني ويضعوني في مصحة عقلية. كنت بالفعل أحتاج إلى الجلوس على كرسي هزاز وأتأرجح. وكنت أشعر كأنني سأفقد عقلي، ولم يكن بإمكانني أن أتحرر عاطفيًا من "إليوت". كان ذلك مزيجًا مريعًا من الغضب والحب والشعور بالذنب.

عندما يكون الابتزاز عاطفيًا قمعيًا وغامرًا مثلما كان بالنسبة لـ "إيف"، فهو يخلق عواطف حادة لدرجة أننا أحيانًا نشعر بأنه "سيصيننا الجنون". لكنني أكدت لـ "إيف" أن الكثير من الأشخاص يخلطون بين العواطف القوية والجنون، وأن هناك الكثير مما يمكننا القيام به للحد من تلك المخاوف. كانت "إيف" محقة - هناك ضرورة تدعو لتحرر العاطفي قبل أن تتمكن هي من البدء في التعامل بفاعلية وهدوء مع دراما حياتها. وسنحقق ذلك معًا.

وكما أظهرت "إيف" بوضوح، فإن الابتزاز العاطفي يمكنه أن يشكل خطرًا على صحتك العقلية. ويمكن أيضًا أن يشكل خطرًا على صحتك البدنية، وخصوصًا إذا حاولت أن تضغط على نفسك بما يفوق قدراتك البدنية لإرضاء المبتز.

الألم البدني كإشارة تحذيرية

"كيم" - التي تعمل محررة في إحدى المجلات والتي كانت تعمل لساعات طويلة جداً استجابة لضغط رئيسها - كانت تستيقظ في منتصف الليل وهي تشعر بالألم حادة من كتفيها حتى رسغها.

كنت خائفة من حدوث شيء مثل هذا، لكن الأمر صادم دائماً عندما يصيبك. أنا لا أعرف لماذا ألم أشتك: "لقد بدأ ذراعي يؤلماني وعليّ أن أهون على نفسي قليلاً - بمعنى أن أقوم بعمل شخص واحد بدلاً من عمل شخصين أو ثلاثة". لكنني أسمع صوت "كين" في رأسي يخبرني بمدى عظمة "ميراندا"، وأنا مصممة على أن أثبت له أنني على القدر نفسه من كفاءتها. وذلك النذل يعرف كيف ينال مني. الشيء المخيف بحق هو أنني أفعل هذا بنفسني.

عندما لا نحمي أجسادنا، فهي ترسل لنا إشارة من خلال الألم لكي نتنبه. وبالتسبة لـ "كيم"، فإن إصابات الإجهاد المتكررة تعني أنه قد تكون هناك عواقب وخيمة للاستسلام إلى الضغوط التي تتعرض لها من أجل بذل جهد يفوق قدراتها.

في حالة "كيم"، كان السبب والنتيجة واضحين. فالعمل الكثير والمكوث لساعات طويلة والتعرض للضغط قد أنهكها، وكنتييجة لذلك ثار جسدها عليها. أنا بالتأكيد لا أتفق مع الفكرة القائلة بأن أي مرض بدني له سبب نفسي، لكن هناك أدلة كافية على أن العقل والعواطف والجسد مرتبطون ارتباطاً وثيقاً ببعضهم البعض، فالكآبة العاطفية يمكن أن تزيد إلى حد كبير من تعرضنا للإصابة بالصداع والتشنجات العضلية واضطرابات الجهاز الهضمي واضطرابات الجهاز التنفسي ومجموعة من الأمراض الأخرى. وأنا أعتقد اعتقاداً قوياً بأن الضغط والتوتر اللذين يصبحان الابتزاز العاطفي قد يظهران في أعراض بدنية عندما يكون الطريق أمام وسائل التعبير الأخرى مسدوداً أو مغلقاً.

خيانة الآخرين لاسترضاء المبتز

نحن نعرف أن الاستسلام للابتزاز العاطفي يجعلنا نخون أنفسنا واستقامتنا، لكننا نميل إلى التفاوض عن الطريقة التي قد نخون بها من نهتم بأمرهم وذلك عن محاولة تهدئة المبتزين أو تجنب النقد.

لقد رأينا أمثلة عديدة في هذا الكتاب على كيفية تأخير الابتزاز على الأشخاص الآخرين في حياة الشخص المستهدف. فـ "جوش" يخون "بيث" عندما يقول لوالديه إنه لم يعد يراها، وهي تشعر بالإساءة البالغة. وتشعر أيضًا بأنها غير محمية بسببه. وتعرف أيضًا أنه عندما يحين الوقت - كما يحين دائمًا - وتظهر الحقيقة، سيكون هناك على الأرجح جلبة أكثر من الجلبة التي كانت ستحدث إذا تعاملت مع الموقف بطريقة شجاعة في البداية. "كارين" وجدت نفسها عالقة في الوسط بين أمها وابنتها، ومضطرة إلى جرح هذه أو تلك.

كنت أخطط لعمل حفلة صغيرة للاحتفال بعيد ميلاد أمي الخامس والسابعين. وعندما سألتني أمي عن المدعوتين لهذه الحفلة، قرأت لها القائمة، وعندما وصلتُ إلى "ميلاني" أوقفتني وقالت: "أنا لا أريد حضور ميلاني. أنا أعرف أنها ابنتك، لكنها كانت تعاملني بشكل مريع مؤخرًا - بطريقة سيئة تمامًا. وفي آخر مرة اتصلت بها، كان لديها ما يشغلها عن الحديث إليّ. إنها لا تتعامل بلطف إلا عندما تريد شيئًا".

حاولت تطليف الأمر وقلت لها إن "ميلاني" كان يشغل بالها الكثير من الأشياء مؤخرًا، لكن أمي لم تنصت، وقالت: "إذا لم تخبرني ميلاني بالأمر، فأنا لا أريد حفلتك، ويمكنك إقامتها بدوني، ويمكنني أن أقضي عيد ميلادي هذا وحيدة أيضًا". وهكذا فأنا يتحتم عليّ أن أخبر ابنتي بأنه ليس مرحبًا بها في حفلة جدتها.

لقد سمحت "كارين" بأن يتم جرحها إلى الصراع بين أمها و "ميلاني"، وأصبحت القناة والمرسال لكل المشاعر السيئة بين امرأتين بالغتين. ومثل

معظمنا، لم نتعلم "كارين" أية إستراتيجيات فعّالة للتعامل مع الابتزاز العاطفي، وافترضت أنها ليس أمامها سوى خيارين - أن تستسلم لأمها وتجرح ابنتها أو تتمسك بموقفها وتخاطر بجرح أمها - موقف ستخسر فيه في كل الأحوال.

لقد مر الكثيرون منا بموقف عصيب مثل موقف "كارين" والذي فيه طُلب منهم أن يختاروا بين شخصين يهتمون بأمرهم، وذلك بسبب احتياجات مبتز معين. "إما أطفالك أو أنا" فهو مطلب شائع. وكان ذلك هو الاختيار الذي قدمه "أليكس" لـ "جولي" عندما وجد أن ابنتها يصرف عنه الكثير من الاهتمام.

هناك سيناريو مألوف آخر قد يتضمن أفراد عائلة مختلفين يضغط أحدهما على الآخر للتحالف مع أحد الوالدين ضد الآخر، خصوصاً بعد وقوع طلاق. إذا كان الطلاق مصحوباً بمشكلات، فمن أحد أشكال الابتزاز العاطفي المعتادة هي: "إذا واصلت التحدث مع أبيك/ أمك، فليس لك مكان في حياتي (أو في وصيتي) ولن أتحدث معك مرة أخرى". هذه معضلة مؤلمة . فأيّاً كان الخيار الذي سيأخذه المستهدف، ستم خيانة شخص ما، ما يزيد من العبء الثقيل للشعور بالذنب وتوبيخ الذات الموجود بالفعل.

التأثير على العلاقة

الابتزاز العاطفي يمتص الأمان من العلاقة، وأعني بالأمان حسن النية والثقة - العنصران اللذان يتيحان لنا أن نكشف عن أنفسنا لشخص ما دون الخوف من أن تتم معاملة أفكارنا ومشاعرنا العميقة باهتمام ولا شيء غير ذلك. أما هذان العنصران وما سيتبقى فهو علاقة سطحية خالية من الصراحة العاطفية التي تمكّنتنا من أن نكون على سجيّتنا مع الطرف الآخر.

عندما يتدنى مستوى الأمان في العلاقة، نصبح حذرين ونخفي الكثير والكثير عن المبتزين، ونكف عن الثقة بأنهم سيهتمون بمشاعرنا أو يفكرون في مصلحتنا أو على الأقل يخبروننا بالحقيقة، ونعرف أنهم عندما يسعون

إلى فرض رغباتهم يكونون في أفضل الأحوال غير مباينين بنا؛ وفي أسوأها قاسين. وتكون الحميمة هي الضحية.

التوقف

تحدثت "إيف" عن تراجع مستوى الحميمة في علاقتها مع "إليوت" بطريقة مؤثرة للغاية.

أعرف أن "إليوت" يبدو غريب الأطوار ومجنوناً، لكن الوضع لم يكن دائماً كذلك. ففي أول عام لنا معاً كانت العلاقة مختلفة اختلافاً كاملاً - بسيطة ورومانسية. "إليوت" شخص ذكي وموهوب للغاية وكنا نحب بعضنا حباً حقيقياً. لكن لم يظهر لي جانبه الجنوني إلا بعد أن تزوجته.

الأمر الآن يشبه كأنني أعيش في غرفة ضغط. ولا يمكنني مجرد أن أصف الوضع. إنها الطريقة التي تتعاطف بها مع شخص ما أنت غاضب منه وربما يكون مصاباً بمرض فظيع لكنك تحبه وفي قرارة نفسك تهتم بأمره. لكن لا توجد حميمة، حميمة حقيقية. وأنا لا أتحدث هنا عن العلاقة الزوجية، بل أتحدث من الناحية العاطفية. أنا لا أستطيع أن أخبره بمشاعري الحقيقية لأنه شخص ضعيف جداً ... هش. أنا لا أستطيع أن أخبره بأحلامي أو خططي لأنه كان يشعر بأنها مصدر تهديد له. لا توجد مواضيع آمنة. لا توجد حميمة حقيقية؛ إذ يتحتم عليك أن تراقب كل شيء تقوله.

يصبح الأشخاص المستهدفون من الابتزاز العاطفي معتادين الأحكام السلبية والانتقادات والضغط وردود الفعل المبالغ فيها لدرجة أنهم - مثل "إيف" - يترددون في التحدث عن جوانب مهمة من حياتهم. نحن نتوقف عن الحديث في:

- الأشياء الحمقاء أو المحرجة التي قمنا بها؛ لأن المبتزين قد يسخرون منا.
- ما نشعر به من حزن أو خوف أو عدم الأمان؛ لأن المبتزين قد يستخدمون ذلك ضدنا ليثبتوا أننا مخطئون في مقاومتنا لما يريدون.

- الآمال والأحلام والخطط والأهداف والخيالات؛ لأن المبتز قد يحبطها أو يستخدمها كدليل على أننا أنانيون.
- تجارب الحياة التعيسة أو الطفولة الصعبة؛ لأن المبتز يستخدمها كدليل على عدم استقرارنا أو عدم أهليتنا.
- أي شيء يظهر أننا نتغير أو نتطور؛ لأن المبتزين لا يحبون أن نحرك المياه الراكدة.

ماذا يتبقى عندما نتحدث مع شخص ما بأقصى درجات الحيلة والحذر؟ أحاديث تافهة سطحية، صمت غير مريح، الكثير من التوتر. وتحت الهدوء المصطنع الذي يحيط بالمبتز الذي تم إرضاءه والمستهدف الذي استسلم توجد فجوة متسعة تنشأ بينهما.

لجأت أم "كارين" إلى أسلوب لي الذراع لدفع "كارين" لقضاء مزيد من الوقت معها، لكن بالرغم من كل التقارب الذي تبقى بينها، كان الأمر يشبه كأنها تتحدث إلى تمثال على شكل ابنتها؛ فالتفاعل الصارم بينهما لم يكن به مجال لـ "كارين" الحقيقية أو ما تهتم به. فالأمر يبدو كأن هناك سلكين شائكين يفصلان بين هاتين المرأتين - سلك يتكون من نقد الأم والآخر من جهود "كارين" لحماية نفسها عن طريق الانسحاب.

ومن المثير للدهشة كيف أننا نمسك ألسنتنا عندما نحاول تجنب سلسلة أخرى من الابتزازات، فنستمر في المناورة بالكلام لتجنب الحديث عن موضوع جاد أو عما هو أسوأ وهو التحدث عن مطلب. وقد أوضح "زوي" ذلك جيداً قائلاً:

أنا لم أعد حتى أسأل "تيس" عما تفعله لأنها ستخبرني، ثم ستريد مني أن أوفر لها كل أشكال المساعدة الممكنة. أعتقد أنه يمكننا التحدث عن الطقس، الرياضة، "ميل جيبسون"، الأفلام - الكوميدي منها فقط، فأنا أبقى المحادثة خفيفة.

في المواقف التي يشوبها الابتزاز، فإن العلاقات مع الأصدقاء والأحباء وأفراد العائلة والتي لها عمق حقيقي فيما مضى تبدأ في الاضمحلال بينما تتقلص قائمة المواضيع الآمنة.

رجل الأعمال "الن" اعتقد أنه مضطر لأن يكون حذرًا فيما يتحدث به مع "جو" نظرًا لشدة اعتمادها ومبالغتها في ردود الفعل.

لا أستطيع أن أخبرها بأنني أشعر بخوف أو عدم أمان؛ لأنه من المفترض أنني الصخرة التي تستند إليها، لكنها زوجتي، وأنا أتمنى أن أحدثها ببعض مما مررت به مؤخرًا. أنا أواجه مشكلات في عملي - المبيعات تراجعتم تراجعًا حادًا - وكان عليّ البحث عن بعض الاستثمارات لتغطية الفواتير. هناك مصنع صغير في مدينة سان خوسيه أريد أن أذهب وألقي نظرة عليه. هم يتحدثون عن بعض العقود الجديدة التي يمكن أن تنقذني، لكنني لا أريد حتى أن أتحدث عن قيامي برحلة والغياب لبضعة أيام لأنها ستزعج، ولا يمكنني أن أخبرها بالحقيقة لأنها ستصاب بالفزع. اللعنة، هذه ليست شراكة حقيقية - هذه فرقة موسيقية مكونة من عازف واحد.

فرض "الن" رقابة على نفسه بالألا يتحدث عن المواضيع التي يعتقد أن "جو" لا تستطيع تحملها، ونتيجة لذلك، على الرغم من أنهما كانا يعيشان معًا، كان يشعر بوحدة شديدة، بدون الحميمة التي تتبع من القدرة على أن تتحدث عن أوقات الشدة كما تتحدث عن أوقات الرخاء. كان زواجهما مقيدًا عاطفيًا.

تقليص الكرم العاطفي

من أهم المفارقات في الابتزاز العاطفي هو أننا كلما شعرنا بأن المبتز يريد وقتنا أو انتباهنا أو عاطفتنا، يقل شعورنا بأن لدينا مطلق الحرية في العطاء. نحن كثيرًا ما نمسك ألسنتنا عن التعبير حتى عن عاطفة عابرة لأننا نخشي أن تتم إساءة تفسيرها على أنها إشارة على استسلامنا لضغط المبتز؛ فنحاول أنفسنا لبخلاء عاطفيًا ولا نريد أن نغذي آمال المبتز أو خيالاته.

تحدث كاتب السيناريو " روجر " عن هذا التناقض في مرحلة مبكرة من عملي معه، قبل أن يتمكن هو و " أليس " بناء علاقاتهما على أرض أكثر صلابة.

قضيتُ أنا و " أليس " الكثير من الأوقات الرائعة معاً، وكنت أحب حقاً أن أقول لها ذلك وأن أخبرها بمدى تقديري لها وكم هي امرأة رائعة في جوانب عديدة. لكنني لا أستطيع قول شيء يبدو رومانسياً للغاية لأنها ستتلقى ذلك على أنه عرض زواج. أنا شخص عاطفي للغاية، لكنني أجد نفسي أمسك عن الكلام كثيراً - فأنا لا أريد أن أخدعها - ثم ينتابني إحساس فظيع لأننا لا أشعر بحرية في التعبير عن نفسي، وأنا أعرف أنها تشعر بالرفض.

لم يكن يشعر " روجر " في ذلك الوقت من علاقتهما بحرية في التعبير عن مشاعره الحقيقية - حتى لو كانت إيجابية - لأنه كان يعرف أن أي شيء سيقوله سيتم تحريفه من خلال توقعات " أليس " غير الواقعية ويتحول إلى ذخيرة لابتزاز عاطفي مستقبلي.

كثيراً ما تكون حذرین بشأن مشاعر السعادة وكذلك مشاعر الحب لدينا لأنه لا يوجد سبب للاحتفال إلا إذا كنت سعيداً بشروط المبتز. ومن الواضح أن " جوش " لا يستطيع أن يحدث أيًا من أبويه عن سعادته؛ لأن رفض أبيه القوي لـ " بيت " جعله يشعر بعدم الأمان لفعل ذلك.

يقول " جوش " : " هو لا يريد مناقشة الأمر. ليس من المفترض لي أن أقود حياتي. هو يقول إنه يحبني، لكن كيف أصدقه؟ فهو حتى لا يعرف من أنا " .

إن العلاقة التي يعتد والد " جوش " أنها قائمة بينها وبين ابته ليس لها وجود. " جوش " المطيع ليس له وجود. والشيء الحقيقي - الارتياح الذي وجده " جوش " مع " بيت " - لم يكن ليوجد لو علم أبوه به. العلاقة بين الأب والابن صورية، وكذلك الكثير من التعاملات طويلة الأمد مع المبتزين عاطفياً، إن لم يكن معظمها.

عندما يخفي الأمان والحميمية من العلاقة، نعتاد على التمثيل، ونتظاهر بأننا سعداء بينما نحن عكس ذلك ونقول كل شيء على ما يرام وهو ليس كذلك، ونتصرف كأننا لسنا متحمسين لشيء ما في حين أننا متحمسون له.

ونتظاهر بحب من يضغطون علينا حتى لو أصبحنا بالكاد نعرفهم. وما كان بمثابة حفلة من الحب والتقارب أصبحت حفل تكرية يخفي المشاركون فيها الكثير من شخصيتهم الحقيقية.

حان الآن وقت أخذ كل هذا الفهم وتحويله إلى فعل كي يمكنك البدء في التعامل بفاعلية مع الابتزاز العاطفي والأشخاص الذين يستخدمونه ضدك. وسوف تدهش من مدى سرعة استعادتك لنزاهتك - والتحسن الكبير لعلاقتك مع المبتز.

تحويل الفهم إلى فعل

المقدمة، حان وقت التغيير

تدور إحدى القصص المفضلة لي عن رجل يقود سيارته على طريق ويرى امرأة تزحف على يديها وركبتها تحت عمود إنارة، يوقف الرجل سيارته على جانب الطريق معتقداً أنها بالتأكيد واقعة في مشكلة.

سألها الرجل: "ما الأمر. يمكنني مساعدتك".

فردت المرأة: "شكراً، أنا أبحث عن مفاتيحي".

بعد أن بحثا عن المفاتيح لبعض الوقت سألتها: "هل لديك أية فكرة عن المكان الذي أوقعت فيه المفاتيح؟".

ردت المرأة: "أجل، فقدتها على بعد ميل تقريباً من هنا".

ارتبك الرجل وسألها: "فلماذا إذن تبحثين هنا؟".

فأجابته: "لأنها منطقة مألوفة والإضاءة أفضل".

يعتقد الكثيرون منا أننا يمكننا معالجة مشكلاتنا مع الابتزاز العاطفي عن طريق البحث في مجموعة من التصرفات المألوفة للعثور على مخرج. فنحن

نتقبل اتهامات المبتز ونصدق لومه ونعتذر ثم نذعن له في النهاية. وهناك منطلق محدد في هذا الصدد: نحن نعرف كيف نقوم بالأمر، والإذعان يجلب لنا الارتياح الفوري. ولكن إذا التزمنا بطرقنا المألوفة للاستجابة، فلن نضع أيدينا على المفاتيح الحقيقية لإنهاء الابتزاز العاطفي. هذه المفاتيح تقع على بعد ميل، وتكمن في السلوكيات المؤكدة وغير الدفاعية التي سأعلمك إياها في هذا الجزء من الكتاب.

من الضروري الانتقال من مساحة الراحة المألوفة الخاصة بالاستجابات المألوفة إلى المنطقة البعيدة غير المريحة للتغيير السلوكي. الآن، قد أصبح لدينا فهم جيد لطريقة وسبب تعرضنا للابتزاز، لكن المعرفة تصبح بلا فائدة تماماً إذا لم تصبح حافزاً يحركنا للقيام بما يتطلبه الأمر لإنهاء الابتزاز العاطفي برمته. فالتغيير يتطلب استخدام المعلومات، وليس تحصيلها فقط. ولكي نغير علينا أن نعرف ما علينا فعله ثم يتحتم علينا أن نتصرف. ولكن معظمنا ولأسباب عديدة يقاوم هذه الخطوة بكل ذرة من كيانه. فنحن نخاف أن نحاول ونفشل، ونخاف أن نفقد الجوانب الجيدة من علاقاتنا ونحاول التخلص من الجوانب السيئة منها. نحن - البارعين في مجالات عدة في حياتنا - كثيراً ما نقاوم تغيير أنماط السلوك الهدام لأسباب مختلفة خصيصاً لكي نبرر عدم قدرتنا على القيام بأي شيء مختلف.

وهكذا فتحسن نتظر تعلم سلوك جديد إلى أن نشعر بأننا أقل توتراً أو أقل خوفاً أو أكثر أماناً. النبا السار هو أنه إذا كنت مستعداً لاتخاذ خطوات الآن وتدع مشاعر الثقة والكفاءة تملكك، فيمكنك أن تنهي الابتزاز العاطفي. والنبا السيئ هو أنه عليك أن تبدأ عملية التغيير هذه وأنت لا تزال خائفاً.

خطوة بخطوة

إذا أردت أن تتعامل بفاعلية مع المبتز، فعليك تعلم بعض الردود ومهارات التواصل المختلفة تماماً، فالكلمات التي تخرج من فمك يجب أن تتغير ويتم استبدالها ووضع أسلوب جديد من الردود والتعبيرات. ويجب أن تتغير النبرة العاطفية التي تحيط بردودك. وعليك أن تعترض النمط المعتاد للمقاومة

والضغط والاستسلام عن طريق تغيير ردود أفعالك التي تصدر عنك دون تفكير مسبق.

في هذا الجزء من الكتاب، سأصحبك في عملية قمتُ بتصميمها لتقودك خطوة بخطوة من موضعك الحالي إلى موضع تستطيع عنده أن تستجيب بطريقة جديدة عندما يحاول أحدهم ابتزازك. سأعلمك مهارات تواصل غير دفاعية فعّالة وسأرشدك خلال تصورات وقوائم مرجعية وتمارين كتابية يمكنها أن تحدث تغييراً على عدة مستويات.

سوف نمضي في مسارين. المسار الأول - الذي يمكنك أن تبدأ في استخدامه على الفور - هو المسار السلوكي. في البداية، ربما تشعر كأنك لم تتغير إطلاقاً من الداخل - ومن المرجح جداً أنك ستظل تشعر بالذنب أو الالتزام أو الخوف عندما يمارس المبتز ضغوطه، لكنك ستتعلم التصرف بطريقة أكثر فاعلية، وبمجرد أن تغير سلوكك، فلا بد لشكل العلاقة أن يتغير أيضاً. والنتائج التي ستراها ستحمسك وتشجعك.

وفي الوقت نفسه، سنعمل معاً في المسار العاطفي الذي سيمضي بك عبر عملية أطول بعض الشيء متعلقة بتغيير عالمك الداخلي وتعطيل مثيرات الاستجابة القديمة بالإضافة إلى معالجة الجروح ومنظومة المعتقدات الخاطئة التي جعلتك عرضة للابتزاز العاطفي.

وربما يبدو غريباً أن يخبرك بهذا شخص يعمل معالجاً منذ خمسة وعشرين عاماً، لكنك تستطيع القيام بالكثير من هذا العمل بنجاح وحدك. ومن المؤكد أنه إذا كانت هناك إساءة معاملة في العلاقة أو إذا كنت تعاني اكتئاباً عميقاً أو قلقاً يصعب التحكم فيه أو درجات مفرطة من كره الذات أو نقصاً كبيراً في الثقة بالنفس، فهناك مصادر رائعة يمكنك الاستفادة منها، وهذا الكتاب يمكن أن يكون بمثابة ملحق مهم في جلسات العلاج الفردية أو الجماعية أو برامج الاثنتي عشرة خطوة أو الحلقات الدراسية المتعلقة بالتنمية الذاتية. وفي معظم الحالات، سيكون كل ما تحتاج إليه هو الشجاعة والإصرار.

عندما كنت تواجه الابتزاز العاطفي في الماضي، كنت تتصرف بطرق تلقائية متوقعة. وقد جادلت وحاولت تفسير موقفك وأظهرت بعض المقاومة

الفعّالة أو السلبية وفي النهاية استسلمت. والآن، حان وقت استبدال طريقة التصرف هذه ووضع مجموعة من التقنيات المعززة الفعّالة التي تحترم الذات. ومع الممارسة - واستعدادك لمواصلة استخدام هذه التقنيات إلى أن تصبح مريحة بالنسبة لك - ستضع نهاية للابتزاز.

وبينما تستكشف الفصل التالي، ستواجه على الأرجح مواقف ابتزاز تعطيك فرصة فورية لتطبيق ما تتعلمه في أثناء القراءة. اقرأ هذا الكتاب بحماس واستخلص المهارات الجديدة من صفحاته وطبقها في حياتك. وأنا أعدك بأنك عندما ترى نفسك وقد بدأت في التعامل مع ضغط المبتز بطريقة واعية أكثر، ستلاحظ تحسناً كبيراً في شعورك تجاه نفسك.

وبمجرد أن يقل شعورك بالخوف وشعورك بأن الخوف والالتزام والإحساس بالذنب يتحكم فيك، ستلاحظ كم الخيارات التي تتاح أمامك. وستكون قادراً على تحديد من تريد بهم بالقرب منك ومقدار المسؤولية التي تتحملها عن الآخرين، والطريقة التي تريد بها حقاً استغلال وقتك وحيك وطاقتك.

رجاءً كن صبوراً مع نفسك وكن مثابراً. ربما يبدأ بعض منكم هذا العمل وهو يشعر بأن احترامه لنفسه ونزاهته تم انتهاكهما انتهاكاً عميقاً لدرجة أنهما فقدتا للأبد. ولكنني أحثك على استخدام عبارة: *وَضْعاً في مكانهما غير الصحيح بدلاً من: فقدتا* - ثم ابحث عن أسلوب جديد لمساعدتك في الحث عنهما. سنقوم معاً بإعادة اكتشاف وإعادة بناء ما قد أنهكه الابتزاز العاطفي داخلك وفي علاقاتك مع المبتزين. وأنا أحييك على اتخاذك خطوات ملموسة لتتخلص من الابتزاز العاطفي في حياتك.

قبل أن تبدأ

لقد سمعت على الأرجح النكتة التي تحكي عن سائح في نيويورك أوقف رجلاً يحمل كماناً تحت ذراعه وسأله عن الطريق إلى قاعة كارنيجي؟، فأجاب عازف الكمان: "تريد أن تعرف كيفية الوصول إلى قاعة كارنيجي؟ تمرن ثم تمرن ثم تمرن".

نحن جميعاً نعرف تلك الاتجاهات المألوفة، ويستطيع معظمنا التعرف على العلاقة بين التمرن والإجادة في نواح عديدة من الحياة. ولعلك تتذكر التقلقل في أثناء تعلم ركوب الدراجة أو تحريك أصابعك بصعوبة على لوحة المفاتيح في أثناء تعلم الكتابة عليها.

ولكن عندما يتعلق الأمر بإجراء تغييرات مهمة في حياتنا، فإننا كثيراً ما نتوقع تحقيق نتائج بين عشية وضحاها. لكن الحقيقة التي لا يمكن تجنبها هو أن تعلم مهارات جديدة يتطلب ممارسة، وقد تمضي فترة قبل أن تشعر بارتياح وأنت تستخدمها. ومثلما يتحتم علينا المشي بحذاء جديد لفترة قبل أن نشعر بأنه مريح وملائم، فعلى أن نتدرب على السلوكيات الجديدة. وعلى الأرجح لن ترى تغييرات فورية في أول يوم نلتزم فيه بتحرير نفسك من الابتزاز

العاطفي - لكنك ستري هذه التغيرات قريباً. تذكر أن الالتزام وعد تقطعه على نفسك، وهو وعد يستحق الوفاء به.

الخطوة الأولى

قبل أن تفكر في التعامل مع المبتز، هناك بعض الأشياء التي تحتاج إلى القيام بها بنفسك. في كل يوم من أيام الأسبوع المقبل، أريد منك أن تخصص بعض الوقت للعمل مع ثلاث أدوات بسيطة للغاية: عقد وبيان قوة ومجموعة من عبارات التوكيد الذاتي. وستحتاج إلى فترة قصيرة تقدر بخمس عشرة دقيقة يومياً. أريد منك أن تغلق الهاتف، وتنحي جانباً كل ما يشتتك وتتركز على نفسك. يرى بعض الناس أنهم لا يحصلون على وقت خاص إلا في حوض الاستحمام أو في السيارة أو في مكتبهم خلال تناول الغداء. لا بأس في ذلك؛ إذن يمكنك القيام بهذا العمل في أي مكان.

أول شيء أريد منك أن تقوم به هو أن توقع عقداً يتضمن قائمة بعدد من الوعود التي قطعتها على نفسك - القواعد الأساسية لهذه العملية. ربما تساورك في هذه المرحلة شكوك في قدرتك على الالتزام بوعود مثل هذه، وخصوصاً إذا كنت قد حاولت في الماضي أن تتوقف عن الاستسلام للابتزاز العاطفي ولم تغلق في ذلك. أريدك أن تنحي الماضي جانباً في الحال وتبدأ في اتخاذ مجموعة جديدة من الخطوات المبنية على فهم جديد ومهارات جديدة.

يُعد هذا العقد رمزاً قوياً يصوغ رغبتك في التغيير في شكل ملموس ويساعدك على توضيح أهدافك.

يجد البعض أنهم يحققون أفضل النتائج من كتابة هذا العقد بخط اليد على ورقة. وربما أيضاً تريد كتابته على الصفحة الأولى من مفكرة تخصصها للتمارين التي سأعلمك إياها. وإذا أردت أن تسجل ملاحظاتك ومشاعرك في أثناء مضيئنا قدماً في ذلك، فرجاءً افعل ذلك.

وسواء كنت ستسرخ العقد أو ستكتفي بتوقيعه في الكتاب، يرجى أن تقرأه بصوت عالٍ في كل يوم من أيام الأسبوع.

ثانياً، أريد منك أن تتعلم وتمارس قول بيان القوة، وهو جملة واحدة قصيرة يمكنك استخدامها للحفاظ على توازنك عندما يمارس المبتزون ضغوطهم. بيان القوة: أنا أستطيع التحمل.

ربما تبدو تلك الكلمات الثلاث غير مهمة، لكن إذا تم استخدامها استخداماً صحيحاً، يمكنها أن تصبح أحد أقوى أسلحة مقاومة الابتزاز العاطفي. وهي ذات فاعلية لأنها تعارض اعتقاداً يقودنا إلى الموافقة على طلبات من بيتروننا: فكرة أننا لا نستطيع تحمل الضغط.

عقد مبرم مع نفسي

أقر أنا، _____، أنني شخص بالغ لديه خيارات وبدائل، وأنتي ملتزم بالقيام بالعملية التي تهدف إلى إنهاء الابتزاز العاطفي في علاقتي وحياتي بشكل فعال. ولكي أحقق ذلك الهدف، فأنا أقدم الوعود التالية:

- أعد نفسي بأنني لن أترك الخوف والالتزام والشعور بالذنب يتحكمون في قراراتي بعد الآن.
- أعد نفسي بأنني سأتعلم الإستراتيجيات المذكورة في هذا الكتاب وأنني سأمارسها في حياتي.
- أعد نفسي بأنني إذا تراجعت أو فشلت أو سقطت في الأنماط القديمة، فلن أستخدم هذه الإخفاقات كمبرر للتوقف عن المحاولة. أنا أقر بأن الفشل لا يكون فشلاً إذا استخدمته كوسيلة للتعلم.
- أعد بأنني سأعتني بنفسي خلال القيام بهذه العملية.
- أعد بأنني سأشكر نفسي لاتخاذ خطوات إيجابية، مهما كانت صغيرة.

_____ التوقيع

_____ التاريخ

- "أنا لا أستطيع تحمل أن أرحم مشاعره".
- "أنا لا أستطيع التحمل عندما يقول شيئاً مثل هذا لي".
- "أنا لا أستطيع تحمل شعوري بالذنب".
- "أنا لا أستطيع تحمل قلقتي".
- "أنا لا أستطيع التحمل عندما تبكي هي".
- "أنا لا أستطيع تحمل غضبه".

إننا نصرح دومًا بمثل هذه التصريحات لأنفسنا، وإذا كنت تعتقد حقًا أنك لا تستطيع التحمل - فسواء كنت تشير إلى دموع المبتز أو وجهه الأحمر وهو يصرخ أو تذكرة "رقيقة" بما تدين به لشخص ما - لن تستطيع النظر إلا إلى مسار واحد للأحداث. وسيكون عليك أن تتراجع وتستسلم وتسائر الوضع وتحافظ على السلام. هذا الاعتقاد هو الفخ الأساسي الذي يشكك في قدرات الشخص المستهدف. نحن جعلنا من عبارة "لا أستطيع التحمل" شعارًا لنا، وقمنا في الواقع بعمل غسيل مخ لأنفسنا. وعلى الرغم من أنك قد لا تصدقني الآن، فإنك أصبحت أقوى بكثير مما تعتقد. أنت تستطيع تحمل الضغط، وأول خطوة تتخذها هي أن تستبدل أي اعتقاد يخبرك خلاف ذلك.

إن تكرار عبارة "أنا أستطيع التحمل" سيفرس رسالة جيدة في ذهنك الواعي واللاوعي. وبالنسبة لهذا الأسبوع، في كل مرة تفكر فيها في اتخاذ خطوات للتخلص من الابتزاز العاطفي وتبدأ في الشعور بالخوف أو الانزعاج أو الإحباط، توقف وكرر هذه العبارة لنفسك. خذ نفسًا عميقًا وأطلق زفيرًا كاملاً وقل: "أنا أستطيع التحمل". افعل ذلك عشر مرات على الأقل.

أنا أقترح أن تتمرّن من خلال تخيل نفسك وجهًا لوجه مع المبتز المستغرق في الضغط عليك. هل رأيت الدروع الواقية التي تستخدمها شرطة مكافحة الشغب أحيانًا؟ دع عبارة "أنا أستطيع التحمل" تكون درعًا تحول بينك وبين كلمات المبتز وتعبيراته غير اللفظية. قل ببيان القوة بصوت عالٍ وأنت تتمرّن. ربما تكون مترددًا في فعل ذلك في البداية وتكون غير مقتنع تمامًا، لكن واصل القيام بذلك، وستبدأ في تصديق نفسك. هل هذه العملية آية؟ نعم. هل تبدو غريبة؟ نعم. لكن تذكر أن استجاباتك القديمة لم تكن ذات جدوى. وأنا أؤكد لك أن تكرار عبارة "أنا أستطيع التحمل" في نفسك له جدوى.

عكس سلوكيات الإذعان

الآن، من خلال استخدام المفهوم الأساسي نفسه المتمثل في استبدال معتقدات جديدة بأخرى قديمة، أريد أن أساعدك على تكوين مجموعة من عبارات التوكيد التي ستهدئ من روعك وتجعلك تشعر بأنك أكثر قوة وتشجعك على التصرف، دعنا أولاً نظرة على مجموعة من الإستراتيجيات التي تصف المشاعر والسلوكيات المعتادة لأهداف الابتزاز تجاه مبتزيهم. وقد تنطبق معظم هذه التصريحات عليك إن لم يكن كلها - ليس في كل علاقاتك بالتأكيد ولكن عندما تواجه ابتزازاً. تفقد كل التصريحات التي تنطبق عليك. عندما تعامل مع المبتزين عاطفياً:

- أخبر نفسي بأن الاستسلام ليس بالخطأ الجلل.
- أخبر نفسي بأنه لا بأس أن أستسلم إذا كان ذلك سيدفع الشخص الآخر لأن يسكت.
- أخبر نفسي بأن ما أريده خطأ.
- أخبر نفسي بأن الأمر لا يستحق أن أخوض معركة.
- سأستسلم الآن لأنني سأأخذ موقفاً لاحقاً.
- أخبر نفسي بأنه من الأفضل أن أستسلم على أن أؤذي مشاعر الطرف الآخر.
- لا أدافع عن نفسي.
- أفقد قوتي.
- أقوم بأشياء لأرضي الآخرين وأصبح مرتبكاً بشأن ما أريده.
- أذعن.
- أتخلى عن الأشخاص والأنشطة التي أهتم بها لإرضاء المبتز.

تبدو هذه التصريحات ضعيفة للغاية، أليس كذلك؟ لا تكن محرجاً، فحتى سنوات قليلة مضت، كانت معظم التصريحات تنطبق عليّ أيضاً في علاقات معينة - وهي تنطبق على الكثير من الناس. فالابتزاز العاطفي شائع للغاية ونحن جميعاً في ذلك معاً. انتبه إلى الإحساس الذي تسبب فيه هذه

التصريحات التي قرأتها توًّا، واستخدم القائمة التالية لمساعدتك على أن تحدد بدقة المجموعة الكاملة للمشاعر التي تصاحب هذا السلوك. ضع دائرة حول الكلمة التي تنطبق عليك، وأضف أية مشاعر أخرى أنت مدرك لها ولم أذكرها.

بماذا أشعر وأنا أتصرف بهذه الطريقة؟

مخرج	محبط	مضج
مجروح	غير مبالي عاطفياً	هاج
شاعر بالخزي	حزين	خائف
غاضب	بلا قوة	مستاء
ضعيف	مشفق على نفسي	ضحية
مكتئب	عاجز	

إذا وضعت دائرة حول غاضب، فلن أندش إذا كنت غاضباً من نفسك، بل وحتى غاضباً مني لأنني ذكرتك بجوانب معينة من سلوكك تفضل نسيانها. استغل هذا الشعور غير المريح؛ فهو يعرفك بجوانب من سلوكك يجب أن تتبها إليها.

والآن خذ قائمتك الأصلية بالتصريحات، وغير كل بند تفقدته بنقيضه. فعلى سبيل المثال:

التصريح القديم: "أنا أخبر نفسي بأن ما أريده خطأ".
التصريح الجديد: "سأطلب ما أريده، حتى إذا أغضب المبتز".

القديم: "سأستسلم الآن لأنني سأأخذ موقفاً لاحقاً".
الجديد: "سأتمسك برأيي وأأخذ موقفاً الآن".

القديم: "أقوم بأشياء لأرضي الآخرين وأصبح مرتبكاً بشأن ما أريده".
الجديد: "أنا أقوم بأشياء لأرضي نفسي وكذلك الآخرين، وأنا واضح بشأن ما أريده".

يمكنك أيضًا أن تكتب التصريحات الأصلية لسلوكك بصيغة الماضي بأن تقول: "اعتدت أن (التصريح)، لكنني لم أعد أفعل ذلك". فعلى سبيل المثال: "اعتدت أن أقول لنفسني إن ما أريده خطأ، لكنني لم أعد أفعل ذلك".

جرب كلتا الطريقتين وحدد أيهما يبدو الأفضل بالنسبة لك، ثم كرر هذه التصريحات الإيجابية بصوت عال كأنها تصفك. أنا أعرف أنها ليست حقيقية الآن، لكنها ستعطيك إحساسًا بما ستكون عليه عندما تتحرر من السلوك الذي يحركه الخوف والالتزام والشعور بالذنب. إن وضع هذه التصريحات في صيغة الماضي أو إعادة صياغتها بطريقة إيجابية سيسهم في نزع القوة منها وإعادة إليك. وقد وجد عملائي هذا التمرين فعالاً جداً عندما كرروا التصريحات الإيجابية بينما ينظرون لعيونهم في المرأة؛ فهذا سيعطيك الفرصة لرؤية نفسك وأنت تصف أفعالك بطريقة مؤكدة.

فكر فيما ستشعر به إذا تصرفت بهذه الطريقة الجديدة. استخدم القائمة التالية لمساعدتك على وصف تلك المشاعر.

قوي	فخور	واثق	شجاع
مبتهج	منتصر	متحمس	متفائل
معزز لذاتي	ذو سلطة	متمكن	

ستساعدك هذه الصفات على تخيل نفسك وأنت تتعامل بثقة مع الابتزاز. التغيير يبدأ برؤية، ومن المهم أن تعطي لنفسك صورة ذهنية واضحة لما تحاول تحقيقه. وفي أثناء مضيينا قدماً في هذا التمرين، يمكنك أن تنشط رؤيتك عن طريق الفعل وتتحرك بثبات نحو هدفك. وربما تريد أن تكتب أو تكرر تصريحًا يعبر عن هذه الرؤية - "أنا أقاوم الابتزاز العاطفي وأشعر بالقوة والثقة والفخر والبهجة".

يرجى أن تطلع على هذه القوائم كل يوم لمدة أسبوع بينما تستعرض ذهنيًا تفاعلاتك الحالية والماضية مع المبتزين عاطفيًا، وفي كل مرة تفعل ذلك، دون خدسة أو ستة مشاعر تتناوب. وستلاحظ على الأرجح أن مشاعرك تتغير بمرور الوقت، وربما تجد أن تكرار التصريحات السلبية أصبح أصعب بالنسبة لك، وأصبح أسهل بالنسبة لك تخيل نفسك وأنت تقاوم الابتزاز.

وبعد أسبوع من العمل وحدك مع هذه التمارين الثلاثة، لا بد أنك ستشعر بأنك أكثر تمركزاً واستعداداً لبدء التعامل بشكل مباشر مع الوضع الحالي. خذ الوقت الكافي للقيام بالتمارين التمهيديّة، مهما كان تحمسك للبدء. لديك متسع من الوقت لأنك ستظل أنت والمبتز متواجدين في المكان نفسه.

إرسال نداء استغاثة

أود أن أعطيك خطة لعب، تبدأ بالخطوات الأولى التي يجب أن تأخذها قبل أن ترد على مطالب المبتز. وهي خطة يسهل تذكرها وتشتمل على الأساسيات، عندما تشعر بأنك تحت وطأة ضغط الابتزاز العاطفي، أرسل نداء استغاثة. لست بحاجة إلى شفرة مورس أو علم مرفرف. فقط تذكر هذه الخطوات الثلاث في عملية التغير والتي تمثل نداء الاستغاثة: توقف وراقب وضع إستراتيجية. سنغطي أول خطوتين في هذا الفصل وسنكتشف الأدوات والإستراتيجيات في الفصل التالي. لا تغفل أية خطوة؛ فبناء إستراتيجياتك على أساس قوي أمر ضروري.

الخطوة الأولى، توقف

كانت "باتي" مرتبكة بعض الشيء عندما أخبرتها بأن أول شيء يجب على أي شخص معرض للابتزاز العاطفي فعله هو لا شيء. وذلك يعني ألا تتخذ قراراً بشأن طريقة الرد لحظة تلقي الطلب. ويبدو هذا الأمر بسيطاً، ولكنه قد يمثل تحدياً - خصوصاً عندما يكون الضغط مكثفاً من أجل إعطاء إجابة - ولذا فمن المهم أن تهين نفسك وتعدّها لذلك.

وقد تشعر بارتباك في البداية. لا بأس في ذلك، اشعر بارتباك - وواصل خطواتك.

ما معنى ألا تفعل شيئاً؟ حسناً، أول شيء تحتاج لفعله هو إعطاء نفسك الوقت الكافي للتفكير - بعيداً عن الضغط. ولكي تفعل هذا، ستحتاج لتعلم

بعض العبارات التي تمهل وقتاً وتبطلّ من وتيرة الأمور. ولقد قمت فيما يلي بعمل قائمة ببعض المقترحات لاستجابتك الأولى لأي مطلب يطلبه المبتز:

- لا أستطيع أن أجيبك الآن، أحتاج لبعض الوقت للتفكير.
- هذا شيء مهم لا يمكن التسرع في اتخاذ قرار بشأنه. دعني أفكر في الأمر.
- أنا غير مستعد لاتخاذ قرار الآن.
- أنا لست متأكدًا من شعوري حيال ما تطلبه. فلنناقش الأمر لاحقًا.

استخدم هذه التصريحات التي تمهلك وقتاً عندما يُطلب منك شيء، واستمر في تكرارها إذا ضغط عليك المبتز لاتخاذ قرار فوري. ما المهلة التي يجب أن تطلبها؟ من الواضح أنه كلما كانت المخاطر أكبر والمسألة أعمق، احتجت إلى وقت أطول. يمكنك اتخاذ قرار سريع بشأن المكان الذي تقضي فيه إجازة وما إذا كنت ستشتري جهاز كمبيوتر، وحتى إذا كان اختيارك ليس جيداً، فلن تخسر الكثير. لكن عندما يتعلق الأمر بالمسائل الكبيرة في الحياة مثل مصير زواج أو أطفال أو تغيير الوظيفة، عليك أن تكون مستعداً لأخذ أكبر قدر ممكن من الوقت تحتاج إليه لتتفكر ملياً في الأمور.

وكجزء من العملية التعليمية في هذا الكتاب، عندما يضغط عليك المبتز بشأن شيء خارج نطاق فئة "المسائل الكبيرة"، أخبره بأنك تريد ٢٤ ساعة على الأقل لتتخذ قراراً، واستخدم الوقت الذي اكتسبته لاتخاذ قرار والاستعداد لتنفيذه.

جدولك الزمني أم جدولهم الزمني؟

ما يجعل الابتزاز العاطفي فريداً هو الإحساس بأن هناك ساعة تدق باستمرار في الخلفية. هناك طلب مطروح، وبحلول وقت ما أنت تحتاج لتردد. وينبع الكثير من ضغط المبتزين من فكرة أنه ليس هناك وقت لنضيمه، وهذا هو الوهم نفسه الذي يجعل أفلام الإثارة والتشويق مؤثرة للغاية؛ حيث يتم حبك القصة كأنها صراع ضد الوقت. ونحن نعلق في تلك الدراما ولا نكلف

أنفسنا عناء التشكيك في صحتها. وإذا أخذت خطوة إلى الوراء، فسترى أنه في أغلب الحالات ليست هناك ضرورة للاستعجال إلا في عقل المبتز. عندما نتصرف اعتباطياً وفقاً لعقلية: "تصرف الآن، آخر فرصة لك" ومن هنا تأتي كل أشكال الابتزاز تقريباً، فسنعرض لضغوط؛ لكن التصريحات التي تكسبك وقتاً تساعدك على إغلاق صوت دقات الساعة ورؤية هذه الدراما من الخارج. ربما آخر يوم للتخفيضات على السيارات أو أجهزة الكمبيوتر هو يوم الأحد - لكن سيكون هناك تخفيض آخر. ربما يكون المبتز ملتزماً بموعد نهائي لشيء ما - لكنك لست ملتزماً بهذا الموعد النهائي.

أنت تمتلك شيئاً يريده المبتز. لكن الوقت في صالحك، وعندما تستخدم التصريحات التي تمهلك وقتاً، كل ما تريده هو مهلة للتفكير، وهو شيء أي شخص عاقل سيكون مستعداً أن يعطيك إياه. لكن بعض المبتزين سيستخدمون الابتزاز ليدفعوك حتى إلى التخلي عن المهلة التي أردتها. وكان ذلك أحد الأشياء التي تشغل بال "باتي".

قالت لي "باتي" بينما كنا نتمرن على التصريحات التي تمهلها وقتاً: "هذا كله جيد، لكنك لا تعرفين جو؛ إذ عندما أخبره بأنني أحتاج إلى وقت للتفكير، يبدأ في التجهم، ثم يقول: "أنت تعرفين أن التخفيضات ستنتهي هذا الأسبوع، وليس لدينا متسع من الوقت. ما المشكلة؟" فسألتها: "وما ردك على هذا؟"

قالت: "أجرب شيئاً مثل "أنا غير مستعدة لاتخاذ قرار الآن"، ولكنني أعرف أن الكلام يدخل من أذن ويخرج من الأخرى، ويتصرف "جو" كأنه طفل - "كم من الوقت ستستغرقين؟ كم من الوقت ستستغرقين؟" قد قلت لها: "وأنت ستستمرين في تكرار "بقدر ما يقتضي الأمر". قد يغضب المبتز منك لأنك تريد وقتاً أو يتجهم أو يستخدم أشكالاً أخرى من الضغط، لكن قوة التكرار كافية بوجه عام لإيصال رسالة بأنك جاد.

رقصة جديدة

قد تسبب هذه التصريحات التي تمهلك الوقت في ارتباك المبتز أو إغضابه. ففي النهاية، أنت تغير السيناريو المعتاد والمتوقع عن طريق عدم

الاستسلام التلقائي. فالأمر تقريباً يشبه كأنكما كنتما ترقصان تانجو وفجأة تحولت إلى رقصة الفالس. قد ينظر المبتز إلى تباطؤك على أنه مقاومة أو رد سلبي، وكنتيجة لذلك قد يبدأ في الضغط عليك على الفور. ويمكن أن تأتي النتيجة على هيئة فوضى، وهي كثيراً ما تكون كذلك. فمن خلال قول: "أنا أحتاج إلى وقت"، أنت غيرت توازن القوة في العلاقة ووضعت المبتز في موضع الانتظار لتفكر فيما ستمعله، وهو دور تقاعلي أقل قوة بكثير بالنسبة لهم.

كن مستعداً لضغط أكبر بينما يحاول المبتزون استعادة وضعهم. وبينما يتمسكون بموقفهم الذي أصبح معناداً الآن، تمسك بمجموعتك الجديدة من الردود وكرر في ذهنك "أنا أستطيع التحمل".

إن قوة العادات القديمة ومهارات المبتز في نثر الضباب قد تجعل استخدام الردود الجديدة تجربة مثيرة للأعصاب. ومع المماهين، الذين يكرهون التخلي عن أي قدر من السيطرة في العلاقة - ومع أي مبتز يقاوم بشدة تصريجاتك التي تمهلك الوقت - من المهم أن توضح دوافعك. فربما تريد قول شيء مثل:

- هذا ليس صراعاً على السلطة.
- ليس الهدف من هذا أنني أحاول السيطرة عليك.
- الهدف من هذا أنني أريد المزيد من الوقت للتفكير ملياً فيما أريده.

إذا كنت تتعامل مع شخص عاقل، فهذه التصريحات المطمئنة والمراعية للمشاعر يمكن أن تسهم في تهدئة الموقف.

فعل الصواب مع الشعور بالاستياء

نظراً لأن طلب بعض الوقت وذكر دوافعك يخرجاتك من دورك المعتاد، فمن المألوف أن تقوم بكل شيء على النحو الصحيح ومع ذلك تشعر بأنك لم تحسن القيام بدورك في الموقف. وهذا ما وجدته "زوي":

ترغبين في معرفة ما حدث؟ كان الأمر فظيماً. كانت "تيس" تضغط عليّ لوضعها في المشروع الجديد للأخذية؛ لأن الشركاء الذين يمتلكون الشركة

سيحضرون من نيويورك بعد أسبوع وكانت تريد أن تبهرهم، وبالأخص "دال"، والذي كانت "تيس" مقتنعة بأنه ينوي التخلص من منصبها. كانت الزيارة بعد أسبوع، وكانت تريد الحصول على المهمة الآن؛ ولذا حاولت كل شيء؛ فكانت تقول: "أنا أعرف أنه سيتم فضلي من العمل إذا لم تركبني أقوم بهذه المهمة، ولا أعرف ما أفعله إذا لم تساعدني. أنا أكره أن أضغط عليك، لكنني حقاً أريد المساعدة الآن". وتبدأ عينها تدرقان بالدموع.

فعلت ما قلته، حيث قلت: "أنا آسفة، لكن لا أستطيع اتخاذ قرار مهم مثل هذا الآن"، فردت عليّ مباشرة قائلة: "لكنك تعرفين كم يعني هذا لي، وأنا حقاً أحتاج إلى مساعدتك. ألسنا أصدقاء؟ ألا تثقين بي؟ أنت تعرفين أنني سأبلي بلاءً حسناً في هذه المهمة، وأنت تعرفين أنني أفعل هذا من أجلك".

في هذه اللحظة أصبحت عالقة في شعور "يا إلهي، يا إلهي. يجب أن أساعدها. هذه ضرورة ملحة وهي محقة؛ فإذا لم أساعدها الآن، ستواجه مصاعب كبيرة. عليّ أن أفعل شيئاً". وأحسست بتسارع دقات قلبي وتسارع أنفاسي أيضاً. حاولت أن أهدئ من روعي، وقلت عبارة "أنا أستطيع التحمل" مرتين بسرعة. ثم قلت: "أنا أعرف أنك تريدين مني أن أفعل شيئاً الآن، لكنني أحتاج لبعض الوقت للتفكير في الأمر. يمكننا أن نتحدث غداً".

نظرت إليّ نظرة غاضبة وقالت: "كنت أظن أنك صديقتي ورئيستي كذلك. وكنت أعتقد أن الصداقة تعني لك شيئاً. ثم خرجت وانتابني شعور مريع، ولا أزال أشعر بأنني خذلتها. كنت أعتقد أن هذا من المفروض أن يجعلني أشعر بتحسن، لكن شعوراً قظيماً انتابني".

قلت لها: "أحسننت صتغاً، ذلك يعني أنك تحطمين الأنماط القديمة". العادات القديمة مريحة على نحو مفر حتى تشعر بمواقبها، قد لا يكون كسب الوقت أمراً سهلاً، لكنه يصبح أسهل عندما تمضي في تحقيقه. وكما ذكرت "زوي"، إن كل ما تفعله عند هذه النقطة هو تأجيل اتخاذ قرار. أنت لم تفعل شيئاً سوى أنك وضعت المبتز في جدولك الزمني، وهي خطوة قاسية لن يعترف المبتز بقسوتها على الأرجح.

وبينما تواصل استخدام تصريحاتك التي تحاول أن تكسب بها وقتاً، ربما يستमित المبتز في الحصول على رد. والكلمات المألوفة هي "أعطني رداً - الآن".

يُعد تحمل عدم الارتياح من أجل القيام بتغيير صحي أحد أصعب الأشياء التي يقوم بها أي منا. وفي الماضي، كان عدم الارتياح دائماً مقدمة للإذعان، لكنك الآن تغير كل ذلك، ومن ثم ستشعر بعدم استقرار. لكن لا بأس أن تشعر بالتردد والقلق بينما تستعيد نراحتك؛ فلقد بدأت الأشياء في التغير داخلياً وكذلك خارجياً، وأنا أريد أن أطمئنك أنه من الطبيعي تماماً أن تشعر بالتردد في أثناء فعلك لذلك.

لا تدع عدم الارتياح يحيد بك عن مسارك الصحيح.

حوار مع عدم الراحة

شعرت "زوي" بعدم ارتياح متزايد بشأن إصرارها على طلب وقت للتفكير. كانت "تيس" لحوحة، وكانت تتحول إلى مثال حي على المعاناة كلما رأتها "زوي". وكلما فكرت في طلب "تيس"، زاد إدراكها بأنها لا تستطيع الاستسلام له - ومع ذلك كان الذنب الذي تشعر به يزداد.

لا أستطيع تخطي شعور بأنني مجرمة بلا قلب، ومنتابني شعور أسوأ وأسوأ تجاه هذا. أنا لا أفعل شيئاً وهذا يمزقني إرباً. هل أنت متأكدة من أن هذا أسلوب ناجح؟

يُعد عدم الارتياح الداخلي أحد أكبر العوائق أمام التغيير، إننا معتادون الاستجابة له كأنه حريق يجب إخماده لدرجة أن الكثيرين منا لم يتعلموا التعايش معه بالقدر الطبيعي الذي يصاحب التغيير. فنحن ندفعه بعيداً ونخمده ونعامله كأنه ليس له مكان في حياتنا - ومن خلال قيامنا بهذا، نتخلص من بعض خياراتنا الأكثر فاعلية. وتردد معظمنا في فحص عدم الارتياح ما يجعلنا نسيء تفسير مدلوله، وذلك من خلال الاستجابة لوجوده بشكل أعمى بدلاً من السؤال عما يعنيه.

أخبرت "زوي" بأنه من إحدى طرق الوصول إلى الاكتمال ترميم الأجزاء التي نتصارع معها داخلنا وتعلم الاعتراف بها كأجزاء طبيعية من شخصيتنا. وإحدى طرق القيام بهذا تتضمن الدخول في حوار مع تلك الأجزاء - سحبها خارج أنفسنا والتعرف عليها. واستعداداً لجلستنا التالية، طلبت من "زوي" أن تختار شيئاً في منزلها تعتبره غير مريح بالنسبة لها - سترة مقاسها غير مناسب تماماً، صورة لها غير جميلة، حذاء ضيق - ونستخدمه لمعرفة المزيد عن المشاعر التي تبدو صعبة بالنسبة لها.

عندما جاءت، طلبت منها أن تأخذ هذا الشيء - كانت قد اختارت حذاء ذا كعب عالٍ غير جذاب لم يناسب مقاسها - ووضعت على كرسي خالٍ أمامها، وبدأت في التحدث إلى هذا الرمز على عدم ارتياحها كأنها تتحدث مع شخص ما. وفي وقت لاحق قامت هي نفسها بلعب دور عدم الارتياح وتركته يتحدث إليها.

لم تقم "زوي" بشيء مثل هذا من قبل، وشعرت بأنها واعية لذاتها بشكل يمكن فهمه وأنها مترددة بعض الشيء. لكنني شرحت لها أنه يمكنها تعلم الكثير عن هذه الحالة التي يبدو أن لها سلطة كبيرة عليها. أنا أشجعك على أن تحاول فعل هذا بنفسك، وخذ راحتك في التفتيس عن مشاعرك، وعبر عن شعورك بعدم الارتياح لذلك الرمز الذي يمثل عدم الارتياح بالنسبة لك واطرح عليه أسئلة.

كانت "زوي" متحمسة للعملية بمجرد أن بدأت. إليك بعضاً من الأشياء التي قالتها.

أنت تعتقد أنك حقاً أمر مؤثر، أليس كذلك؟ فأنت تدير حياتي منذ وقت طويل ولقد سئمت هذا. لقد أعطيتك قدرًا كبيرًا من السلطة، لكنني أحبطك علماً بأن تلك الأيام قد ولت. كنتُ أعتقد أنك أكبر مني - وربما كنتُ أنت تعرف أكثر - لكنني عندما أنظر إليك، أرى أنك ضئيل وقبيح وتورطني في متاعب. بل في الحقيقة، كلما توليت أنت مقاليد الأمور، أصبح أنا ضعيفة وجبانة لدرجة أنني لم أعد أعرف من أنا. لقد سئمت منك حقاً. هل هناك سبب منطقي يمنعني من طردك من حياتي؟

سألت "زوي" عن شعورها حيال التجربة.

شعرت بأنها سخيفة في البداية، لكن بينما كنت أتمقق فيها، أدركت أن هذا الجانب مني يستولي على الكثير من الوقت، وهو جانب واحد فقط، وأنا أتصرف كأنه غوريلا تزن ٢٠٠ كيلو جرام. وهو يشبه إلى حد كبير هذا الحذاء - هولا يناسب حياتي كما كنت أظن.

في الجزء التالي من التمرين، جلست "زوي" على كرسي مقابل لي وأمسكت الحذاء بينما كانت تلعب دور عدم الارتياح وترد على ما قد قالته "زوي" لتوها.

تريدين طردي من حياتك؟ هذا أمر مضحك. أنا لن أبحر مكاني؛ فأنا يعجبني التواجد هنا ولن أرحل دون صراع. الوضع يسير هنا للغاية - كل ما عليّ فعله هو أن أحدث صريراً صغيراً وستهرعين إلى السماح لي بأن أفعل ما أريده.

تعلمت "زوي" من التمرين طريقة جديدة للنظر إلى إحساس لطالما ظننت أنه لا تسيطر عليه وكانت تصفه بأنه لا يُطاق. ولكنني أخبرتها بأن الوعي الذي اكتسبته لن يغير الوضع بين عشية وضحاها، وعلى الرغم من أنها بدأت في العثور على بعض مفاتيح أنماطها المعتادة الخاصة بالاهتمام والإذعان، فإن شعورها بعدم الارتياح لم يكن ليتلاشى دون خوض صراع. ما زالت مهمتها هي تغيير السلوك رغم شعورها بعدم الارتياح. وفي هذه الأثناء، استطاعت "زوي" مواصلة التعرف على المزيد مما يجلب لها عدم الارتياح عندما تواجه الابتزاز - والاستمرار في اكتشاف طرق جديدة لرؤية عدم الارتياح مجرد عنصر واحد من الموقف، وليس وضعاً كاملاً لا يمكن تحمله.

أتمنى أن تستخدم هذا التمرين بنفسك. يمكنك التحدث إلى شيء ما، أو لو كنت تفضل ذلك، اكتب خطاباً إلى شعورك بعدم الارتياح وتسلم خطاباً من شعورك بعدم الارتياح. يروق لبعض الناس أن يكتبوا حواراً، حيث يبدأون بالتحدث إلى عدم الارتياح، ثم يطرحون عليه أسئلة ويتكون عدم الارتياح يرد.

ربما تكون كلماتك واكتشافاتك مختلفة عن كلمات "زوي" واكتشافاتها، لكنني متأكدة أنك ستحصل على معلومات قيمة. إن الهدف من هذا التمرين هو تجسيد عدم الارتياح والنظر إليه والبدء في وضع طرق للتعامل معه تتجاوز طريقة الهروب منه. فعندما تواجه عدم الارتياح، ستجد أنه أصغر وأقل خطراً وأقل تهديداً بكثير من شعورك به عندما حاولت جاهداً أن تتجنبه.

تحويل المثلث إلى خط مستقيم

هناك رؤية أخرى لأسلوب عدم فعل شيء وهي مفيدة عندما تجد نفسك وسط صراع بين شخصين، أو عندما يبتزك طرف ثالث عاطفياً ليستفيد شخص آخر. الإجراء الذي يجب أن تتخذه هو: أفسح الطريق. بالنسبة لـ "كارين"، في وسط أزمته الصغيرة بين أمها وابنتها، فإن عدم فعل شيء أثبت في الحقيقة أنه بداية معافاة حقيقية للنساء الثلاث: قالت "كارين":

لنقل إنني أستطيع أن أماطل بالطريقة التي تحدث أنت عنها عندما تقول أمي: "إذا جاءت ميلاني إلى الحفلة، فسألني الحفلة بأكملها". ولنقل إنني أستطيع أن أخبرها بأنني لا أستطيع اتخاذ قرار بشأن هذا في الحال وإنني سأتصل بها لاحقاً. ثم ماذا؟

"ثم تتصلين بأمك وتخبرينها بأن قرارك هو أنك لن تتخذي قراراً. انظري يا "كارين"، هذا أمر بين أمك و"ميلاني". أنت تعرفين ما يحدث للحكم عندما يحاول الفصل بين ملاكمين - يتعرض لضربات قوية عليك أن تخرجي من بينهما. أخبري أمك بأنها هي من ستخبر "ميلاني" بأنها لا تريدها في الحفلة وأنت لن تفعلي ذلك نيابة عنها. أنت لديك متسع من الوقت لإلغاء الحفلة إذا احتجت لذلك. لمر ما سيحدث".

وكما هو متوقع، انتحبت "فرانسيس" واشتكت وضغطت على "كارين" للقيام بعملها المشين نيابة عنها، وهو ما كان متوقعاً بالفعل. لكن عندما رأت أن "كارين" لم تستجب، اتصلت بحفيدتها وأخبرتها بأنها غاضبة منها. وما

أدهش الجميع أن هذه المواجهة فتحت الباب للحوار الصادق بين "ميلاني" وجدتها وهو ما أسفر عن تنقية الأجواء بشكل كبير بينهما - وبداية علاقة أكثر صدقًا. وكان هذا بدوره له أثر إيجابي على علاقة "كارين" مع "فرانسيس" لأن "فرانسيس" رأت ابنتها ترفض الخضوع للضغط. وكنيجة لذلك، اكتسبت "كارين" احترامًا جديدًا من أمها وبدأت أمها في إدراك أن التلاعبات القديمة لم تعد تؤتي ثمارها. كل هذا بسبب أن "كارين" فعلت "لا شيء".

من الضروري أنه عندما تكون واقعًا في صراع بين شخصين آخرين في حياتك أن تخرج نفسك بلياقة من الحلقة من خلال رفضك لأداء دور المرسل أو الحكم بينهما. إذا لم تبعد نفسك، فمن المؤكد تقريبًا أن المشاعر السيئة بين الشخصين الآخرين ستصب في النهاية عليك، ولن يتم التوصل إلى أية حلول.

في حالة "ماريا"، وضع حمواها أنفسهما بين "ماريا" و"جاي" وكانا يضغطان بقوة على مثيرات الاستجابة المتعلقة بالالتزام لمنهما من الرحيل عن ابنتهما. وقد أخبرت "ماريا" "جاي" بالفعل بأنها تحتاج إلى بعض الوقت لاتخاذ هذا القرار المهم، وعلى الرغم من مناشداته الحارة للحصول على رد، لم تتراجع عن موقفها. ولكن مع تدخل حمويها وجدت "ماريا" صعوبة في التصميم على موقفها.

أنا أعرف مدى الألم الذي أنسب به لهما، وهما لا يستحقان هذا؛ فهما شخصان عزيزان ورائعان ولم يقوما بأي خطأ، لكنني أعرف قدر المعاناة التي سيشعرون بها إذا تطلقت من "جاي". وأمها تتصل بي بشكل يومي تقريبًا وتذكرني بما يعنيه لهما أن نسوي أنا و"جاي" خلافاتنا.

أخبرت "ماريا" بأنها أيضًا تحتاج إلى تعلم كيفية فعل "لا شيء". في حالتها، ذلك يتضمن عدم إجراء محادثات هاتفية قهرية متكررة مع حمايتها أو مناقشة هذا الموضوع مع أي شخص آخر على علم بمشكلتهما. ويمكن لعينة من الردود التي أعطيها لـ "ماريا" أن تساعدها على تحرير نفسها من الضغط الذي يمارسه أي طرف ثالث بخصوص هذا الأمر.

الحماة: "أنا وفريد لا يمكننا تحمل هذا. نحن لا نعرف ما يحدث أو ما سيحدث. ونحن قلقان للغاية عليك وعلى "جاي" وعلى أحفادنا. كم من الوقت ستستغرقين لتتخذي قرارًا بشأن الطلاق؟".

"ماريا": "يا أمي، أنا لم أتخذ قرارًا بعد".

الحماة: "إذن كم من الوقت ستستغرقين؟".

"ماريا": "يا أمي، سأستغرق من الوقت قدر ما يتطلب الأمر. دعينا نتحدث عن شيء آخر".

واصلت الإجابة بأنك لم تتخذ قرارًا بعد، وكرر أنك ستستغرق من الوقت قدر ما يتطلب الأمر - ثم غير الموضوع. يطرح علينا الناس الكثير من الأسئلة، وعادة ما نشعر بأنه يتحتم علينا تقديم إجابات قاطعة في الحال. وبالطبع، لا يتحتم علينا ذلك، فلا بأس أن نجاب بـ "لا أعرف". ولا بأس كذلك أن نقول: "سأخبرك عندما أتخذ قرارًا". وإذا استمر الضغط، فلا بأس أن توجه المحادثة إلى موضوع آخر. وحتى لو كان الشخص الذي يضغط عليك ليس المبتز، بل شخص تحبه وتحترمه، من المهم أن تحافظ على جدولك الزمني وألا تتسرع في اتخاذ قرارات، وخصوصًا القرارات المهمة.

احصل على متسع

اكتساب بعض الوقت يعطيك الفرصة لإدراك أفكارك وأولوياتك الخاصة ومشاعرك. تذكر بأن لديك حبل نجاة لتمسك به - وهي التصريجات التي تمهلك وقتًا. ربما تشعر بأنك مثل أسطوانة مكررة عندما تنتهي من تكرارها، لكن واصل فعل ذلك وأعطها فرصة لتؤتي ثمارها.

لكن إذا استخدمت هذه التصريجات ولا تزال تشعر بعدها بتوتر وضغط لدرجة أن هناك رغبة تتناكب لفعل شيء ما للتخفيف من وطأة عدم ارتياحك، انصرف. وأنا لا أتحدث عن أن تغادر وتترك الشخص الآخر دون تفسير، بل أتحدث عن أن تستأذن منه وتذهب لغرفة أخرى تحظى فيها ببعض الهدوء لبضع دقائق. يمكنك أن تقول: "أريد أن أشرب ماء" أو "سأذهب إلى الحمام" - وسأعود على الفور". أو إذا كنت تشعر بتوتر شديد فجرب "أريد أن أشرب ماء وأذهب إلى الحمام".

وبالمناسبة، يمكنك القيام بهذا في البيت أو في المطعم أو في المكتب أو على الطائرة، بل في أي مكان. إن وضع مسافة مادية - حتى لو غرفة أو اثنتين - بينك وبين المبتز يمكنه أن ينزع عنصر الإلحاح من الموقف ويعطيك أيضاً مسافة من الناحية العاطفية بالغة الأهمية.

وعندما أتحدث عن المسافة العاطفية، أعني إخماد اللهب والسماح لمشاعرك بأن تهدأ. عندما تواجه الابتزاز العاطفي، قد تكون عواطفك محتدة لدرجة أنك لا تستطيع التفكير أو التأمل أو الحكم أو النظر في المتاح أمامك من اختيارات. الابتزاز العاطفي يكون في مواجهةك: حاد، مضغوط، متطلب - مليء بالطاقة المحمومة. وهذا التنافر من المشاعر عادة ما يبدو غامراً. أنت في حالة تفاعل عاطفي بحت، وتحتاج إلى الانتقال إلى أسلوب منفصل ومعرفي بشكل أكبر. واستقطاع بضع دقائق لتهدئة نفسك سيمنحك ذلك. هديء نفسك وكرر "أنا أستطيع التحمل" وصمم على أن تتيح لنفسك بعض الوقت.

الخطوة الثانية: كن مراقباً

بمجرد أن تفصل نفسك عن دراما الابتزاز، تصبح في موضع يتيح لك جمع المعلومات التي تساعدك على تحديد الطريقة التي سترد بها على المبتز. وخلال الوقت الذي اكتسبته لاتخاذ قرارك، ستحتاج إلى أن تصبح مراقباً على نفسك وعلى الطرف الآخر.

استخدم التخيل

لمساعدتك على القيام بهذا، أريد منك أن تستخدم تمرين التخيل هذا: تخيل مصعداً زجاجياً في الطابق الأرضي من برج مراقبة مكون من خمسين طابقاً. أريد منك أن تتخيل نفسك داخل المصعد الذي يبدأ في الصعود ببطء. عندما تنظر إلى الطوابق الأدنى، من الصعب رؤية أي شيء بسبب الضباب الأرضي الملتف كدوامة. وأحياناً ينكسر الضباب ويمكنك رؤية الخطوط العريضة للأشياء والأشخاص، لكنها مبهمة ومشوشة، تظهر وتختفي. هذا هو نطاق العواطف البحتة، المشاعر الغريزية التي يثيرها المبتز فينا.

يستمر المصعد في الصعود، وبينما يفعل ذلك، فأنت تترك الضباب خلفك وتبدأ في رؤية مشهد أوسع. وعندما تصل إلى القمة، فأنت تشاهد المنظر الكلي، ويمكنك رؤية أن الضباب الذي اعتقدت أنه يغطي كل شيء مقتصر على الوادي الموجود عند سفح البرج. فما كان يبدو محيطاً من كل جانب هو رقعة بسيطة. جانب صغير من الصورة. لقد وصل المصعد إلى مستوى آخر، مكان فيه المنطق والإدراك والموضوعية. اخرج من المصعد إلى منصة المراقبة، واستمتع بالهدوء والوضوح، وتذكر أنك قادر دائماً على الوصول إلى هذا المكان.

من المفيد أن ترتقي من الشعور الحدسي لتصل إلى الإدراك بيقين عندما تكون واقعاً تحت ضغط الابتزاز لأنه من السهل أن نعلق في مشاعر الخوف والالتزام والذنب لدرجة أن تصوراتنا تصبح مشتتة أو مشوهة. ولا أطلب منك أن تفصل نفسك عن مشاعرك - أنا فقط أريد منك أن تضع الإدراك والمنطق في اعتبارك لكي لا تكون مدفوعاً بشعورك فقط. فالفكر والعاطفة يحتويان على قدر كبير من المعلومات. والهدف هو أن تكون قادراً على التفكير والشعور في الوقت ذاته، بدلاً من الخوض في العواطف فقط. عندما تشتد وتيرة الابتزاز، فأنت تحتاج لمنظور برج المراقبة.

ما الذي يحدث بالفعل؟

خذ بعض الوقت لتفكر فقط في طلب المبتز متمصّاً دور المراقب. مشاعرك لا تزال موجودة، لكن اصرف انتباهك بعيداً عنها ودع عقلك يراجع الموقف. سل نفسك: ماذا حدث؟ ومن الجيد أن تكتب إجابات عن الأسئلة التالية؛ فأخراج المعلومات من رأسك ووضعها على الورق سيساعدك أيضاً على اكتساب مسافة عاطفية. إذا لم ترد ذلك، فإنه يمكنك القيام بهذا الأمر كاملاً في رأسك. ففي كلتا الحالتين، فإن الإجابة عن هذه الأسئلة ستمدك بكثير من الوضوح.

أولاً، توقف وانظر إلى الطلب.

١. ماذا كان يريد الشخص الآخر؟
 ٢. كيف كانت طريقة طلبه؟ فعلى سبيل المثال، هل تم طرحه بطريقة تتم عن ود، أم تهديد، أم نفاذ صبر؟ استخدم أي وصف ينطبق على موقفك.
 ٣. ماذا فعل المبتز عندما لم توافق على الفور؟ هنا أنت تريد أن تضع في اعتبارك تعبيرات الوجه ونبرة الصوت ولغة الجسد. كن مجددًا بقدر الإمكان. كيف كانت حركات عيني المبتز؟ أين كان ذراعاه ويده؟ أين كان يقف وهو يتحدث إليك؟ ما الإشارات التي استخدمها؟ ماذا كانت نبرة صوته؟ ماذا كانت النبرة العاطفية الكلية؟ صف الصورة التي استوعبتها بكلمات.
- إليك بعض الملاحظات التي أخذتها "باتي" بعد موقف حدث مؤخرًا مع "جو":

كان يتراجع ويقطب جبينه ويستاء بشدة. وكانت وقفته ولغة جسده تعبران عن مدى حزنه وخيبة أمله. وكانت ذراعاه معقودتين على صدره ولم يكن ينظر إلى عيني. وكان يتهدد كثيرًا ويشد الخيوط الزائدة في سترته، وعندما تحدث انتحب، ثم نهض وصرع الباب وفتح الراديو في غرفة النوم.

والآن، انظر إلى ردود فعلك تجاه الطلب.

١. ما الذي تفكر فيه؟

دوّن ما يدور في ذهنك مع إيلاء اهتمام خاص بالأفكار التي تتكرر أو التي تستمر في إزعاجك. فهي ستعطيك رؤية قيمة للمعتقدات التي شكلت وجدانك بمرور السنوات. ومن بين المعتقدات الشائعة التي أراها في الأشخاص المستهدفين من الابتزاز:

- لا بأس من أن أعطي أكثر مما أحصل عليه.
- إذا أحببت شخصًا ما، فأنا مسئول عن سعادته.
- الأشخاص الطيبون المحبون من المفترض أن يجعلوا الآخرين سعداء.

- إذا فعلت ما أريد حقاً فعله، فسيعتبرني الطرف الآخر أنانياً.
- الرفض هو أسوأ شيء ممكن أن يحدث لي.
- لو لم يقم شخص آخر بمعالجة المشكلة، فمعالجتها مسئوليتي.
- أنا لا أكسب أبداً مع هذا الشخص.
- الشخص الآخر أذكى أو أقوى مني.
- لن تكون نهاية العالم بالنسبة لي إذا فعلت هذا لأنه يحتاج إليّ فعلاً.
- احتياجاته ومشاعره أهم من احتياجاتي ومشاعري.

أي من هذه العبارات يبدو أنها تنطبق عليك؟ أي من هذه العبارات تتماشى معها أكثر؟ اسأل نفسك: أين تعلمت هذا، ومنذ متى وأنا أوّمن به؟

لا اعتقاد من هذه المعتقدات صحيح، لكننا نعلق بها لأننا تشرّبناها على مدار السنوات. وكما ذكرت، إننا نعتقد في أحيان كثيرة أننا اخترنا هذه المعتقدات، لكن تم نقلها عن طريق الأشخاص أصحاب السلطة في كل مرحلة من حياتنا - الآباء، المدرسين، المرشدين، الأصدقاء المقربين. ومن المهم تحديد معتقداتنا بشأن أنفسنا التي تظهر في مواجهة الابتزاز العاطفي لأن المعتقدات هي بؤر المشاعر.

المشاعر ليست قوى عابرة مستقلة كما نظن أحياناً، لكنها استجابة لما نفكر فيه. فتقريباً كل شعور بالقلق أو الحزن أو الخوف أو الذنب ينتابنا يكون مسبوقاً باعتقاد سلبي أو خاطئ بشأن كفاءتنا وحبنا ومسئوليتنا عن الآخرين، وهذه المعتقدات هي أساس مشاعرنا. ومن ثم فإن سلوكنا يكون في كثير من الأحيان محاولة لتهديئة مشاعر عدم الارتياح النابعة من هذه المعتقدات. الخلاصة هي: كي نغير أنماط السلوك المثبتة للذات، علينا أن نبدأ بالعنصر الجذري ألا وهو معتقداتنا.

عندما تركت "إيف" الدورة التدريبية لأنها شعرت بالذنب بسبب غضب "إليوت"، كانت تتصرف بناء على اعتقاد أن لمشاعره قيمة أكبر من مشاعرها. في البداية، يأتي الاعتقاد: الشخص الآخر مهم أكثر مني، وما أريده ليس مهماً. ومن هذا الاعتقاد تتدفق المشاعر: الإحساس بالذنب والالتزام والشفقة، وفي النهاية السلوك: التوقف عن الالتحاق بالدورة التدريبية.

نحن نعرف أن طباعنا تتأثر بكييمياء الدماغ بقدر ما تتأثر بالأحداث التي تقع في حياتنا، لكن الكثيرين ممن يعانون اكتئاب واضطرابات القلق المتكررة نتيجة لانعدام التوازن البيوكيميائي بإمكانهم زيادة هذه الحالات المرضية عن طريق المعتقدات التي تسيء إلى الذات. إن اكتشاف معتقداتك العميقة يمكن أن يساعدك على فهم سبب الشعور الذي ينتابك. وبمجرد أن تفعل ذلك، ستبدأ في رؤية كيف تصبح هذه المعتقدات والمشاعر حافزاً على أنماط السلوك المحبطة للذات التي تؤدي إلى الإذعان والاستسلام في النهاية.

٢. ما الذي تشعر به؟

ما الشعور الذي ينتابك وأنت ترد على المبتز؟ دون أكبر عدد ممكن من المشاعر التي تلاحظها مستخدماً القائمة التالية كنقطة انطلاق:

مذنب	مجروح	مهدد	غاضب
مصاب بخيبة	محبط	غير آمن	منزعج
خائف	هالك	غير كفاء	مخطئ
عالق	ممتعض	غير محبوب	قلق
		مثقل بالضغوط	محاصر

يُعد هذا الفحص بمثابة جس نبض لمواطنك، وعلى الرغم من أنه بسيط، فإنه أداة تشخيصية مهمة. ضع في حسابك أن الشعور هو حالة عاطفية يمكن التعبير عنها بكلمة أو اثنتين على الأكثر. في اللحظة التي تقول فيها "أشعر كأنتي..." أو "أشعر بأن..."، فأنت تصف ما تفكر فيه أو تعتقده. ولأنك تحاول التفريق بين الأفكار والمشاعر، وإيجاد العلاقات بينهما، فمن المهم أن تكون واضحاً.

مثال: "أنا أشعر بأن زوجي ينتصر دائماً" هي فكرة. وللتعبير عن الشعور، يمكنك أن تقول: "أعتقد أن زوجي ينتصر دائماً، وأنا أشعر بإحباط".

والآن، تفقد ذلك مع جسدك.

بينما تنظر إلى قائمتك، حدد الموضوع الذي تشعر فيه بهذه المشاعر بدنياً. هل تحس بغثيان في معدتك؟ ألم في رقبته؟ ضغط في ظهرك؟ حرارة في خديك؟ لاحظ الطريقة التي يتفاعل بها جسدك تجاه مشاعرك.

أحياناً نخبرنا أجسادنا بحقيقة تغفل عنها عقولنا. فربما نقول نحن لا نشعر بقلق - ثم نلاحظ أننا نتصيب عرقاً. لا، لا، هناك خطأ ما - وإلا فلماذا أشعر بغثيان في المعدة؟ فردود أفعال الجسد تقضي على الإنكار والتبرير، والجسد لن يكذب عليك. ضع في حسابك أنه في أي وقت تتناكب فيه مشاعر غضب أو استياء، فأنت يتم تبيهك لتحذر جوانب معينة من الطلب قد لا تكون في مصلحتك.

٣. ما نقاط التأثير فيك؟

يتردد صدى كلمات المبتز ولغته غير اللفظية داخلنا بطرق خاصة جداً، ومن المهم معرفة المثيرات الشخصية الخاصة بنا؛ إذ يمكن لتعبيرات الوجه ونبرة الصوت والإشارات والوقفات والكلمات بل وحتى الروائح أن تنشط منظومة المعتقدات والمشاعر التي تقودنا نحو الاستسلام إلى الطلب. وهي الأسلاك التي تقودنا مباشرة إلى مثيرات الاستجابة، وكلما زادت معرفتنا بما يؤدي إليها، اقتربنا من إمكانية تعطيلها.

راقب نفسك، وفكر في حالات الابتزاز من الماضي، ثم ضع قائمة بالتصرفات الأكثر تأثيراً فيك. ومن بين المثيرات رأيت:

- الصراخ
- صفع الباب
- كلمات محددة (مثل "متفطرس"، "أناني") التي تجعلك تشعر بإحساس سيئ تجاه نفسك.
- البكاء
- التتهود
- وجه غاضب - احمرار الوجه، تقطيب الحاجبين، تجهم غاضب
- المعاملة الصامتة.

ثم قم بربط التصرف مع مشاعرك: عندما يقوم المبتز بـ _____ ، أشعر _____ .

عندما طلبت من "جوش" أن يبدأ في ربط ظهور أبيه وتصرفه مع استجابات محددة في نفسه، لاحظ أن مظهر أبيه أكثر من كلماته هو ما كان يزيد من مستويات القلق التي يشعر بها.

"سوزان، لقد كتبت قائمتي، ولاحظت أنه عندما يحمر وجه أبي - قبل حتى أن يفتح فمه - أصبح مذعوراً. لقد بحثت في كل الصفات، وحاولت العثور على شيء أكثر كرامة من كلمة مذعور، لكن هذه هي أكثر كلمة مناسبة. الذعر بالنسبة لي يتطلب استجابة الكر أو الفر - فأبدأ التصرف من منطلق غريزة حيوانية بحتة".

من المهم أن تكون صادقاً قدر الإمكان وأنت تراقب. ولا تحكم على المشاعر ولا تقيّمها ولا تحاول أن تقر ما إذا كانت صحيحة أم غير صحيحة أو إذا كنت محقاً في الإحساس بها. أوقف التعليق الجاري وراقب. وجدت أنه من المفيد لبعض الأشخاص أن يمهّدوا لملاحظاتهم بعبارات مثل:

- أليس من المثير للاهتمام أن...
- لقد بدأت في ملاحظة أن...
- لم أدرك يوماً أن...
- لقد أصبحت واعياً بأن...

لاحظ "جوش" أنه تراجع عن موقفه الدفاعي والقلق عندما صاغ ملاحظته بهذه الطريقة: "أليس من المثير للاهتمام أنه عندما يحمر وجه أبي، أشعر بذعر. وهذا تصرّيح أكثر عمقاً وموضوعية من "يصيبني ذعر حقيقي عندما يحمر وجه أبي" هذه الموضوعية تساعد على وضعك في حالة معرفية وتعزلك عن نقد الذات. قال "جوش": "عندما أقول لنفسي: "أليس من المثير للاهتمام؟" يقل إحساسي بأنني طفل أو جبان إلى حد كبير".

إن عبارة "أليس من المثير للاهتمام؟" تخبر "جوش" بأن ما سيلي هي تعليقات مراقب، وتزيد المسافة بينه وبين القضايا الداخلي الذي يميل إلى نقد الكثير من ردود أفعالنا وتصنيفها.

واصل المراقبة إلى أن تبدأ في إقامة روابط بين معتقداتك ومشاعرك وسلوكك. لقد أقام الذين يبتزوننا هذه الروابط غريزياً وفكرياً، واستخدموها للحفاظ على تفوقهم علينا. ولكنك الآن بدأت في وضع قواعد متكافئة للتعامل، وما كانت فيما مضى "معلومات داخلية" أصبحت متاحة لك. والآن، سأعطيك الأدوات لتحويل هذا الاستعداد والمعرفة إلى إستراتيجيات سلوكية فعّالة ستغير بدرجة كبيرة الأنماط الحالية السائدة بينك وبين المبتز.

وقت التغيير

في الماضي، كنا نستجيب عمومًا لاحتياجات الطرف الآخر ورغباته الملحة بإذعان تلقائي - وهي تقريبًا استجابة انعكاسية للضغط. لكن الآن بما أنك اكتسبت بعض الوقت، فلديك إمكانية التفكير فيما تريده أيضًا. وعلى الرغم من أنني لا أستطيع أن أتخذ قرارًا بالنيابة عنك، يمكنني أن أساعدك على طرح بعض الأسئلة الثاقبة التي ستمكنك من إلقاء نظرة موضوعية على ما يُطلب منك وتقرر بروية ما إذا كنت تريد الإذعان أم المقاومة. وبمجرد أن تنتهي من ذلك، سأبين لك طرقًا مؤثرة وفعالة لإبلاغ قرارك للمبتز والتعامل مع رد فعله على الاختيار الذي قمت به.

الفئات الثلاث للمطالب

في البداية، أريد منك أن تعود إلى طلب الطرف الآخر وتجيّب عن بعض الأسئلة المتعلقة به. دوّن الإجابات، وبينما تفعل ذلك، لا تفرض رقابة على نفسك، ولا تشعر بأنك ملزم دائماً بما تكتبه. فإذا غيرت رأيك أو راودتك أفكار جديدة، فعد وأضف أو احذف أو أسهب بناء على رد فعلك الأصلي.

- هل هناك شيء في هذا الطلب يجعلني أشعر بعدم ارتياح؟ ما هذا الشيء؟
- أي جزء من الطلب أعتبره حسناً، وأي جزء أعتبره غير ذلك؟
- هل ما يريده الشخص الآخر سيؤذي؟
- هل ما يريده الطرف الآخر سيؤذي أي شخص آخر؟
- هل طلب الشخص الآخر يضع في الاعتبار احتياجاتي ومشاعري؟
- هل هناك شيء في الطلب أو في الطريقة التي تم تقديمه بها يجعلني أشعر بالخوف أو بالالتزام أو الذنب؟ ما هذا الشيء؟
- ما الفائدة التي ستعود عليّ؟

ستلاحظ أنه إذا نظرت إلى الأجزاء المكونة للطلب، فلعلمك تتمكن من تقبلها كلها باستثناء جزء أو اثنين منها. فعلى سبيل المثال، زوجك يضغط عليك للسفر في أرجاء البلاد لزيارة أقاربه، هو شيء يسعدك القيام به، لكنك منشغلة في هذا الوقت من العام في العمل، وذلك يجعلك تشعرين بعدم ارتياح. وهذا معلومة من المهم وضعها في الاعتبار في أثناء صياغة ردودك. قد تشعر بالانزعاج إذا أجبت بنعم عن الأسئلة التحذيرية التي تستفسر عما إذا كنت ستتأذى أنت أو شخص آخر بسبب الإذعان للطلب، وذلك هو مقياس نراحتك الذي يحذرك من هبوب عاصفة وشيكة.

وبينما تستعرض إجاباتك، ستجد أن معظم المطالب تندرج تحت واحدة من هذه الصفات الثلاث.

١. المطلوب ليس بالأمر الجلل.
٢. المطلوب يحتوي على مسائل مهمة، ونزاهتك على المحك.
٣. المطلوب يتضمن إحدى مسائل الحياة الرئيسية، و/أو الاستسلام سيلحق الضرر بالآخرين.

تناسب القرارات والاستجابات المختلفة بشكل طبيعي مع كل فئة، وفي الأقسام الانتالية، سأساعدك على تقييم إجابتك والتفكير في الخيارات التي تناسب كلا منها.

ليس بالأمر الجلل

إننا نتخذ قرارات صغيرة يوميًا في معظم علاقاتنا. ونستمر في التفكير في توقيت وتكلفة مشترياتنا، والمكان الذي سنقضي فيه الإجازة، ومقدار الوقت الذي نقضيه مع شخص ما، وكيفية الحفاظ على التوازن بين العمل والعائلة والأصدقاء. هذه ليست مسائل حياة أو موت، ومن الشائع ألا نتأبنا مشاعر قوية بشأن الخلافات مع أحد هذه الجوانب؛ لأنه مهما حدث، فلن يعاني أحد ضررًا كبيرًا، والسبب الرئيسي للخلاف يكون على الأرجح أساليب ضغط المبتز وليس محتوى المطلوب. ويميل بعضنا إلى التخلي عن هذه الفئة بشكل تلقائي إلى المبتز، معتقدًا أنه ليس هناك ضرر من فعل ذلك، فهذه من صفات الأمور، وليست بالأمر الجلل.

لكن يرجى التعامل بحذر هنا. فكلمة تلقائي هي كلمة أريد منك أن تحذفها من أي تعاملات مع المبتزين عاطفيًا. فمهما كانت المسألة صغيرة، فافحص المطلوب، وبالأخص الطريقة التي تم تقديمه بها إليك. وافهم بشكل واضح أجزاءه التي تزعجك إذا كان هناك ما يزعجك، وانظر إلى الموقف في سياق العلاقة ككل.

المضي قدمًا في العملية

عندما ذكرت "لي" - سمسارة الأسهم التي تستخدم أمها "إلين" باستمرار المقارنات السلبية - أنها كانت تمر بوقت صعب في العمل وكانت تخشى احتمال الخروج لتناول عشاء مع أمها في وقت لاحق من الأسبوع وهو ما كانت "إلين" تضغط عليها لفعله، طلبت منها أن تمضي قدمًا في خطوات هذه العملية.

قالت "لي": "أوه، بربك يا سوزان، هذا أمر سخيف. أنا منهكة للغاية. وهذا مجرد عشاء واحد، ولن يكون نهاية العالم بالنسبة لي".

قلت لها: "تفحصي القائمة، فأنت لن تعرفي ما ستجدينه أبدًا".

قالت على مضض: "حسنًا. سيكون ذلك سريعًا. الشيء الوحيد الذي ضايقني في رغبة أمي للخروج هو أنه عندما قلت إنني متعبة، قالت شيئًا حول كيف أن كارولين تتيح وقتًا لها دائمًا. أنا لا أمانع الخروج مع أمي، لكن من الجنون أن أسأل إذا كان ذلك سيضر شخصًا آخر - بالتأكيد لن يضر أحدًا. هل هي تهتم بما أشعر به - حسنًا، ليس تمامًا، لكن هذا مجرد عشاء بالله عليك. لماذا يجب أن أقاوم ذلك؟ هل هي تجعلني أشعر بخوف؟ لا. بالتزام؟ نوعًا ما. بالذنب؟ قليلًا. لكن ماذا في ذلك؟ على الأرجح سأذهب وسأكون سعيدة بذلك - صدقي أو لا تصدقي، نحن نحب قضاء الوقت معًا. وما الفائدة التي ستعود علي... سأجعلها سعيدة وسيبتابني شعور جيد حيال ذلك".

سألت "لي" عما شعرت به عندما أجابت عن الأسئلة.

قالت: "أعتقد أنني أشعر أن هناك ضغطًا على رقبتي وفكي". كانت "لي" تعرف من خطوات المراقبة التي قامت بها أن تلك بالنسبة لها هي مواضع التوتر الناتج عن الغضب، وهي إشارة للفت للانتباه.

على النقيض من المبالغة في رد الفعل التي يبديها العديد من المبتزين الذين رأيناهم في الفصل الخامس، فإن الكثير من الأشخاص المستهدفين من الابتزاز العاطفي - مثل "لي" - يميلون إلى التصغير في رد الفعل. وذلك يعني أنهم في كثير من الأحيان يقللون من شأن شعورهم بعدم الارتياح وينكرون أي شيء يضايقهم ويستخدمون التبريرات لإقناع أنفسهم بأن رفضهم لطلبات الآخرين لا أساس له من الصحة.

اقترحت على "لي" أنه خلال عملية النظر فيما تريده أمها منها، يمكنها أن تطرح على نفسها بعض الأسئلة الإضافية لمساعدتها على أن تكون أكثر وعياً بطرقها المعتادة للاستجابة. وأنا بالتأكيد لا أقترح أن تضع كل موقف تحت الميكروسكوب - ليست هناك ضرورة للتحليل المفرط لكل شيء والتخلص من التلقائية من تعاملاتك مع الآخرين. لكن إذا شعرت بعدم ارتياح وتتمر عاطفي في علاقة ما، فمن المهم أن تلقي نظرة أكثر انتقاداً من تلك التي تلقيها في ظروف أخرى. وإذا كنت تظن أنك قد تكون من المقصرين في ردود أفعالهم، فإنني أقترح أن تطرح على نفسك الأسئلة التالية:

- هل هناك نمط يتطور هنا؟
- هل يبدو أنني معتاد على قول "ليس بالأمر الجلل" أو "لا توجد مشكلة" أو "ليس لدي أي تفضيل" أو "أنا لا أهتم"؟
- لو كان لي مطلق الحرية في الأمر برمته، ماذا كنت سأفعل؟
- هل يخبرني جسدي بشيء مختلف عما يخبرني به عقلي؟ (فعلى سبيل المثال، أنت تفكر في: هذا مجرد فيلم، وبالتالي حتى إذا لم أكن أريد الذهاب لمشاهدته، فسأذهب - لكنك تلاحظ أن معدتك تضخ قدرًا من المادة الحمضية أكثر من المعتاد).

إذا أجبت بنعم عن هذه الأسئلة، فقد حان الوقت لتتخذ موقفًا والتعبير عن رغباتك. ولعلك أخذت قرارًا بالموافقة، لكنك تحتاج إلى تحديد عناصر المطلب التي تسبب إزعاجًا لك واتخاذ قرار بأن تغير الشخص الآخر بها. أعط لنفسك الإذن لأن تقول "أنا لا أريد أن" أو "لا يروقني الأمر" دون الإحساس بأنك مضطر لتقديم شرح مفصل. لا تشكك في حقك في رفض شيء يبدو غير مهم نسبيًا. إن الدفاع عن نفسك في المسائل الصغيرة سيعطيك الفرصة لتطوير المهارات التي تحتاج إليها للصمود عندما تكون المخاطر أكبر.

ضع في حسابك أنه أحياناً ما تكون الطريقة التي تُقدم بها المطلب هي أبغض شيء. وأحياناً ما يكون الأسلوب هو الجوهر، ولا يمكننا تجاهله. قالت "لي":

أنا لا أبالي - حقاً - بشأن الخروج مع أمي. لكن ما يزعجني هو الطريقة التي تدفعني بها للقبول. فأنا أكره أن تتم مقارنتي بـ "كارولين"، وأريد منها أن تتوقف عن هذا.

قد يبدو الضغط الذي يستخدمه المبتز مهيناً أو مزعجاً أو مذلاً. ومن الضروري ألا تقلل من شأنه أو تدعه يمر لمجرد أن المسألة المطروحة تبدو غير مهمة وأنت لا تنوي الاعتراض عليها. في حالة "لي"، كان من المهم للغاية أن تلتفت انتباه أمها إلى مدى السخط الذي تشعر به من المقارنات السلبيّة. بالطبع، يمكنها أن تصحب "إلين" إلى العشاء لأن الحدث ليس مشكلة في حد ذاته، لكنها تحتاج لأن تشرح لأمها كيف تطلب منها قضاء الوقت معها دون استخدام الابتزاز العاطفي.

الإذعان الواعي

الإذعان الواعي هو القبول الذي تختاره بعد التفكير فيما يريده الشخص الآخر وبعد أن عطلت آليات الإذعان التلقائي من خلال المراقبة والانتباه إلى أفكارك ومشاعرك وتفضيلاتك. وعند الاستعانة به في المواقف الملائمة، قد يكون الإذعان الواعي أفضل طريقة لتحقيق أهم النتائج بالنسبة لك. لكن تذكر أن هذا الشكل من الإذعان هو نتيجة عملية متأنية متاملة تتبع خطوات التوقف والمراقبة والاستكشاف التي وصفتها. يُعد الإذعان الواعي اختياراً جيداً عندما:

- تفحص المطلب وتجد أنه بلا آثار سلبية. ربما تم تقديمه بانتحاب أو قدر طفيف من العبوس، ولكن التصرفات التي تصاحبه هي تصرفات معتادة، وأنت والطرف الآخر لستما عالقيين في نمط ابتزاز. وقد يرغب الطرف الآخر

أن تقوم بعمل شيء تعتبره مملاً أو رتيباً، لكنه لا يسبب ضرراً لأي شخص. يمكنك أن تعتبر قرارك بالموافقة على أنه جزء من الأخذ والرد الطبيعي الموجود في العلاقات الناجحة، وسيلة للتعبير عن السماح التي سترد إليك على الأرجح.

• تفحص المطلب وتجد أنه ليس له تأثير سلبي طالما أنه يتضمن تبادلاً عادلاً مع المبتز؛ حيث توافق أنت هذه المرة، لكن المبتز يوافق على أن تتخذ قراراً متكافئاً المرة القادمة. فعلى سبيل المثال، سأختار مكان قضاء الإجازة هذا العام، وأنت ستختار المكان العام القادم. أنا لا أشير إلى أن تنافس أو تختزل التبادلات مع صديق أو زميل أو حبيب إلى: "لقد وافقت على طلبك مرتين، وأنت لم توافق على طلبي سوى مرة واحدة وبالتالي فأنت مدين لي". ولكن إذا استعرضت معاملاتك الأخيرة مع الطرف الآخر وأدركت أنك تقدم معظم التنازلات، فأنت تشهد بداية عدم توازن للقوى. ومن المهم أن تعالجه قبل أن يترسخ.

• تفحص المطلب وتجد أنك تستطيع أن توافق عن طيب خاطر، وبدون أن تتسبب في ضرر للآخرين، لكن فقط على أجزاء منه. عندما تكون هذه هي الحالة، فإن الإذعان الواعي يتضمن عقد اتفاق - أن توافق على ما يمكنك القيام به، وفي المقابل، تطلب من المبتز أن يتغلى عن العناصر التي تجدها مزعجة.

• تفحص المطلب وتقرر أن توافق لبعض الوقت - وتصف موافقتك على أنها إستراتيجية. أنت تعرف سبب موافقتك، وتضع خطة لتغيير أجزاء الموقف غير المقبولة لك.

لا تحتاج أول فئتين إلى شرح تقريباً فهي ذاتية التفسير: أنت تنظر إلى الموقف وتقرر أن الموافقة مقبولة، شيء يمكنك التعايش معه. ولا توجد مشاعر سيئة أو مكبوتة ولا مصالح غير معلنة ولا عدم توازن للقوى ولا

مواجهة. وإذا أردت التوصل لحل وسط - تنفيذ رغبتك هذه المرة، وتفضيد رغبتى المرة القادمة - فأنت تثق بأن الطرف الآخر سيحترم هذا. أما الفئتان الأخريان فهما أكثر تعقيداً؛ ولذا، دعنا نتناولهما بعمق.

الموافقة بشروط

عندما فكرت "لي" فيما قد يجعل تناول العشاء مع والدتها أخف وطأة عليها، أدركت أنها لم تعط نفسها اختياراً آخر بجانب تناول العشاء وقضاء بقية الأمسية مع أمها.

سألت "لي" ما إذا ستكون هذه هي نهاية العالم إذا أخبرت أمها بأنه يمكنها تناول العشاء معها لكنها ستعود إلى المنزل مبكراً. سألتني: "هل يمكنني حقاً فعل ذلك؟".

قلت: "بالطبع، ما تحتاجين لتقوليه لها هو أنك مررت بأسبوع صعب وأنه يمكنك الخروج لتناول العشاء معها لكنك لن تذهبي معها إلى البيت بعد ذلك. ثم - وهذا مهم للغاية - ستقولين: "أمي، أنا أريد منك أن تتوقفي عن مقارنتي بـ"كارولين" في كل مرة أرفض فيها لك طلباً. فهذا يجرحني بالفعل، ويجعلني أشعر بالفضب ويقلل من احتمالية تلبية رغباتك. وأنا أحذرك الآن بأنني سأتصدى لك في كل مرة تفعلين فيها هذا، اتفقنا؟".

على الرغم من أن هذا الحل واضح إلى حد ما، فإن "لي" لم تكن قادرة على رؤيته. كالعادة، في تفاعلاتنا المليئة بالضباب مع المبتزين، فإن الشيء الواضح يراوغنا. وهذا يبرز الأهمية الكبيرة للتروي والمراقبة، فالقيام بهذا سيتيح لك رؤية المنطقة الشاسعة التي توجد مباشرة خارج الموافقة الفورية التي اعتدت إعطاؤها لمن يبتزونك. عندما تكون واضحاً في قرارك قبل أن ترد على المبتز، فيمكنك أن تجد حلولاً وسطاً ترضي كلا الطرفين بانتظام.

عندما تكون المخاطر أكبر

عندما ننظر بتمعن إلى ما يُطلب منا، لعنا نرى أن الموافقة هي أمر جلل بحق. وعلى الرغم من أن الأمر قد لا يكون أزمة كبيرة، فإن الموافقة قد تنتهك

معاييرنا وإحساسنا بما هو صائب واحترامنا لذاتنا. حتى قبل أن نعرف هذا على المستوى الفكري، فإن شعورنا بعدم الارتياح يزداد ونشعر بالاضطراب. وهناك شيء ما في المطلب يتعارض مع مبادئنا. وعند نقطة ما، ندرك أننا غير راضين عن أنفسنا.

وكما هي الحال مع الكثيرين منا، كانت "زوي" ماهرة للغاية في تبرير اعتراضها وشعورها بالاضطراب. ولكن عندما أهملت نفسها وقتاً للنظر عن قرب لمطلب "تيس" منها، أدركت أن الحجج التي كانت تستخدمها لم تكن قوية.

قالت إنني يمكنني القيام بالأمر، لكنني أعرف أنها تريد الاضطلاع بمسئوليات أكبر مما يمكنها تحمله. ولكنني كصديقة وكمديرة، أريد أن أعطيها فرصة. وذلك ما يعذبني. أنا لا أريد أن أخذلها أو أتخلى عنها، لكنني قلقة من تكليفها بمشروع كبير لأنه مهم جداً للشركة. كنت أعتقد أنني مهووسة بالكمال، لكن السبب الرئيسي هو أنه لا مجال للمبتدئين. - أعتقد أن هذه هي الفكرة - هذه الأسئلة عما إذا كان هذا الأمر سيتسبب في أذى لأحد. فأنا يمكنني أن أصاب بأذى كبير إذا لم تتمكن من القيام بعمل جيد لهذا العميل الجديد، وقد يجعل هذا الأمر الكثيرين يبدون بمظهر سيئ.

وعندما تقيم مطلب المبتز، فإن سؤالاً بسيطاً حتى مثل "هل الموافقة ستؤذي بني أو تؤدي أي شخص آخر؟" قد يساعدك على تخطي تفسير المبتز للموقف القاصر على وجهة نظره الفردية. عندما قامت "زوي" بهذا، كانت تعرف أنها لا تستطيع الموافقة على ما تريده "تيس" دون أن تعرض نزاهتها المهنية والشخصية للخطر. كان على "زوي" أن تتخذ موقفاً.

ما لا يستطيع المال شراءه

تعرضت "جان" لإغراء كبير بما بدا أنها صفقة كبيرة عرضتها أختها؛ حيث ستعطي "جان" لـ "كارول" ألف دولار، وفي المقابل ستكون جزءاً من العائلة التي ترغب كثيراً في وجودها.

أتعرفين، إن كانت هناك أدنى فرصة في أن تقرينا هذه السلفة من بعضنا، لظننت أن الأمر يستحق المحاولة. أعرف أن هذا الاحتمال ضعيف بناءً على المواقف السابقة مع "كارول"، لكنها ربما تغيرت - ربما سيسير الأمر جيداً هذه المرة، ولعلني أساعد أطفالها بهذا التصرف، وأقصى ما قد أخسره هو ألف دولار - وهذا ليس بمبلغ كبير على أية حال.

بالنسبة لـ "جان"، ألف دولار مبلغ كبير، لكنه لن يجعلها مفلسة إذا أقرضته، حتى لو لم تسترده مرة أخرى. ما لم يكن بمقدورها خسارته هو نزاهتها. انتحيت "جان" قائلة: "عليّ أن أتخذ قراراً الآن، لا تحدثيني عن النزاهة. لطالما أخبرتني "كارول" بأنهم سيتشردون في الشارع. لا أقصد الإهانة، لكن هذه الأشياء الحساسة ليست لها علاقة بالأمر على الإطلاق". قلت لها: "أنا متأكدة أنه من الطبيعي أن تشعرني بهذا الأمر تحت هذا النوع من الضغوط، لكن سايريني، تنقدي هذه القائمة وانظري ما إذا كانت هذه الأشياء ليست لها علاقة بموقفك".

ولمساعدة "جان" على رؤية علاقة مفهوم غامض مثل النزاهة بقرارها المتعلق بمساعدة "كارول"، طلبت منها أن تجيب عن الأسئلة التالية. يجد الكثيرون هذه الأسئلة مفيدة عندما يشعرون بانزعاج تجاه الطلب ولكنهم لا يستطيعون أن يحددوا بدقة ما الذي يضايقهم، أو عندما يريدون أن يقيموا التكلفة الحقيقية لقرار ما.

إذا وافقت على الطلب:

- فهل أدافع عما أؤمن به؟
- فهل أترك الخوف يتحكم في حياتي؟
- فهل أواجه الأشخاص الذين جرحوني؟
- فهل أحدد من أكون بدلاً من أن أسمح للآخرين بأن يفعلوا ذلك؟
- فهل أفني بالوعود التي قطعتها على نفسي؟
- فهل أحمي صحتي البدنية والعاطفية؟
- فهل أخون أحداً؟
- فهل أقول الحقيقة؟

لعلك تلاحظ أن هذه الأسئلة مبنية على عناصر النزاهة، وهي طريقة فعّالة لكشف متى وأين لا نكون صادقين مع أنفسنا. وجدت "جان" أن العديد من هذه الأسئلة بمثابة صحوحة يقظة لها.

هل أنا أواجه شخصًا جرحني؟ كان ذلك بمثابة ماء بارد ألقى على وجهي؛ لأنني أنظر إلى "كارول" على أنها شخص جرحني في الماضي. لقد جرحت "كارول" الكثيرين، لكن لم يواجهها أحد. ثم انتقلت إلى النقطة المتعلقة بالوفاء بالوعود التي قطعتها على نفسي. في الحقيقة، بعد شجارنا المدوي الأخير بشأن المال، أقسمت أنني لن أدعها تضغط عليّ. وهي ليست محل ثقة عندما يتعلق الأمر بالمال. والسؤال الأكثر فظاعة كان المتعلق بقول الحقيقة. "كارول" لم تتغير، وكذلك عائلتي. كنت مخطئة في اعتقادي بأنني يمكنني أن ألوح بعضًا سحرية وأحرر شيئًا كبيرًا لـ "كارول"، ومن ثم يسود بيننا جميعًا مناخ من الحميمية والرقّة والسعادة. هل أخون أحدًا إذا فعلت هذا؟ نعم. أخون نفسي.

صمت "جان" لبعض لحظات، ثم سألت:

كيف يكون من السهل أن أنحي هذا جانبًا وأتظاهر بأنه لم يحدث قط؟ وهذا أكثر إحصاءًا من حقيقة أنني كنت مستعدة لإلقاء ألف دولار في المراض.

عندما يطلب منك أحدهم أن تقرضه مالاً، يبدو الطلب كأنه سؤال عما إذا كان بإمكانك أن تقرضه مبلغاً من المال وما إذا كان هذا الشخص جديراً بالثقة فعلاً. ولكن المال ليس مجرد مال بين من تجمعهم علاقات حميمية؛ بل هو رمز فعّال للحب والثقة والأهلية ويحدد من يفوز ومن يخسر. ويضمّر الأصدقاء والأقارب على اختلاف مستوياتهم المهنية أو نجاحاتهم المالية الحقد والحسد تجاه بعضهم البعض لدرجة أن العلاقات تفسد ما بينهم. ومن الشائع جداً أن يوضع الأشخاص - وبالأخص أفراد العائلة - في أدوار محددة بشكل صارم فيما يتعلق بالمال: المؤمن، وبطل العائلة، والشخص غير المسئول، والطفل المتهور.

أدركت "جان" أن هذا قد حدث في عائلتها، والآن أصبحت قادرة على اتخاذ قرارها بناء على معرفة ووعي جديدين، فقد قررت أن ترفض مطلب "كارول" لأنها رأت أنها إذا استسلمت لابتزاز "كارول" العاطفي، فإنها بذلك تستخدم المال لشراء شيء غير موجود. علاوة على أنها ستمكن أختها من الاستمرار في التصرف بتهور فيما يتعلق بالمال، وهو ما فعلته عائلتها لأعوام. (ذكرتها بأن هذا النوع من الابتزاز لا يكون في العادة حادثة فردية؛ بل طلب الحصول على مال يقود في العادة إلى طلب آخر). والأهم هو أنها كانت ستضطر إلى إنكار الحقائق التي تعلمتها بشق الأنفس وتكسر الوعود المهمة التي قطعتها على نفسها ما يقوض احترامها لذاتها. وستكون تكلفة نزاقتها أكبر بكثير من ألف دولار.

الحميمية مع النزاهة

تعد العلاقة الزوجية الحميمة إحدى التجارب التي يفشل فيها الأشخاص كثيرًا عندما يصطدمون بتوقعات مختلفة أو يتعرضون للضغوط. وليس هناك موضع نكون فيه ضعافًا أو عراة من الناحية العاطفية أكثر مما نكون في العلاقة الحميمة؛ كما أنه لا يوجد موضع تملكنا فيه الرغبة في أن نكون مقبولين ومتقبلين مثلما هي الحال في العلاقة الحميمة. فإذا لم نخبر الطرف الآخر بما يرضينا وما لا يرضينا وما يثيرنا وما يضايقنا، فلن نحظى بعلاقة حميمة حقيقية؛ غير أننا لا نريد إهانة الطرف الآخر أو نكون صارمين معه أو نقتصر على التلاعب والتجريب. وبالطبع، ندرك أن مستوى الراحة والرغبة يختلف من شخص لآخر، ونرغب في احترام هذا الأمر أيضًا. كما أننا نعرف سلطة العلاقة الحميمة لجذب انتباه شريك الحياة، ونعرف أيضًا مدى سهولة التلاعب بشريك الحياة من خلال الامتناع عن ممارسة العلاقة الحميمة معه. فإذا لم نحتم، فسنجد أنفسنا في النهاية نأخذ قرارات متعلقة بالعلاقة الحميمة مبنية على كل الأسباب الخاطئة: لكي نشبت أننا مرغوبون، لكي نظهر مدى تحررنا أو تلقائيتنا، لكي نوكد أحقيتنا في شريك الحياة، لكي نعاقب، ولكي نهرب من الحالة الضبابية.

كيف نتخذ قرارات في هذا الموضوع الحساس والمبهم؟ في النهاية، ليست هناك قواعد صارمة، بل هناك قواعد تتفق عليها أنت وشريك حياتك. يجب أن تكون واضحًا بشأن ما تريده وتحتاج إليه وتدرس بعناية ما يُطلب منك. وكما هي الحال مع أي منحى من مناحي حياتك، يجب عليك أن تقيم آثار المطالب المزعجة على نزاهتك واتخاذ قرار بشأن ما تريد القيام به. ولعل المسائل المتعلقة بالعلاقة الحميمية ذات طبيعة حساسة ودقيقة بحيث لا يمكن مناقشتها بالقدر نفسه من الاستفاضة كما فعلنا في موضوعات أخرى في هذا الكتاب، ولكن كما سترى، يمكن لهذه المسائل أن تتجاز هذا الفحص الدقيق بسهولة؛ ويمكنك أنت أيضًا أن تتجاز هذا الفحص.

هل يتعلق الأمر بالحب؟

تدور العلاقة الحميمية حول الأخذ والعطاء، ولا بأس من أن تعطي لترضي الطرف الآخر. على السبيل المثال، يستيقظ الزوج صباحًا وهو مستعد لممارسة العلاقة الحميمية مع زوجته، بينما تشعر الزوجة بالنعاس ولا ترغب في ممارسة العلاقة؛ إلا أنها سعيدة بإرضائه. لم تفقد شيئًا، ونزاهتها ليست معرضة للخطر، ما لم يكن هذا جزءًا من نمط اعتاده الزوج. ففي العلاقات الناجحة بين الأزواج، لن تضر تلبية رغبات شريك الحياة بنزاهتك طالما أن هذا الأمر لم يتحول إلى تأدية واجب أو عمل شاق يجب عليك القيام به. وعلى المنوال نفسه، لنفترض أن زوجة طلبت من زوجها أن يشاركها لعبة خيالية - "ارتد حذاء رعاة البقر الخاص بك". ولعل الزوج لا يرغب في هذه اللعبة الخيالية، ولكن في العلاقات الصحية الناجحة، نحن نطلب المتعة ونقدمها أيضًا.

ومع ذلك، يجب أن نشعر بحرية في حماية أنفسنا عندما يتجاوز ما يُطلب منا الحدود المقبولة ونشعر بأنه مضر لنا. تحدثت "هيلين" عن مدى شعورها بالضيق عندما مارست العلاقة الحميمية مع زوجها "جيم" في إحدى الليالي لأنها شعرت بضرورة استعادة عاطفته حتى لو كانت منهكة ومرهقة تمامًا. قالت: "كانت هذه لحظة سيئة حقيقية بالنسبة لي. كنت مرهقة بالكامل، لكنه

جعلني أشعر بالذنب؛ فسأيرته. أنا أقدس العلاقة الحميمة ولكن هذا لم يكن ممتازاً؛ فلقد شعرت بأنني مستغلة - غير محسوسة".

ذكرت "هيلين" أن هناك فرقاً كبيراً بين أن تكوني مرنة وترغب في إرضاء الطرف الآخر وبين أن يضغط عليك لممارسة العلاقة الحميمة معك بينما تشعرين بأنك لست على ما يرام أو كنت تشعرين بالإجهاد. وسرعان ما أدركت "هيلين" ذلك الفرق، وقالت: "أنا أحب جيم لكنني قد اتخذت قراراً، ولن أسمح بحدوث هذا مرة أخرى". طلبت "هيلين" المساعدة على أن تتمكن برأيها، وفي الفصل التالي سأريك بعض الردود التي قدمتها "هيلين" في المرة التالية التي واجهت فيها هذا الموقف.

إن إجبار شريك الحياة على ممارسة العلاقة الحميمة وهو لا يريد ذلك، أولاً يشعر بأنه في مزاج جيد، هو شيء بغيض، والشخص الذي يميل إلى الاستسلام تحت تلك الظروف يحتاج لأن يسأل نفسه: هل يتعلق الأمر بالحب، أم يتعلق بالسلطة والتحكم والفوز والهيمنة؟ لو كان الأمر متعلقاً بالحب، فإن شريك الحياة سيضع شعورك في الاعتبار. وإذا لم يكن الأمر متعلقاً بالحب، فمن المهم أن تحمي نزاهتك واحترامك لنفسك.

القرارات الكبرى في الحياة: تعامل بحذر

عندما تكون المخاطر التي يتضمنها طلب المبتز كبيرة للغاية، فأنا أحثك على أن تمد وقت عملية اتخاذ قرارك وتفكر بعناية في الكيفية التي سيؤثر بها كل خيار على حياتك ونزاهتك. أنا أتحذرك هنا عن القرارات الكبرى في الحياة مثل:

- تحديد مستقبل زوج أو علاقة حب.
- إنهاء علاقة وثيقة مع أحد الوالدين أو قريب أو صديق.
- تحديد ما إذا كنت ستبقى أو ستترك وضعاً وظيفياً غير مرضٍ.
- إنفاق أو استثمار مبلغ كبير من المال.

إن التوصل لحل وسط يحافظ على العلاقة وفي الوقت نفسه يزيل العناصر غير المقبولة بالنسبة لك قد يكون خيارًا ملائمًا تمامًا إذا كان المبتز على استعداد للمشاركة. ففي النهاية، ليس الهدف هنا أن تستبدل بديكتاتورية المبتز ديكاتورية تصنعها أنت. حاول أن تعيد تدفق الأخذ والرد الذي أوقفه الابتزاز العاطفي، إن استطعت ذلك.

أعط نفسك الوقت لتستكشف طلبات المبتز ونطاق الردود المتاحة لك - باستثناء الحالات التالية، عندما:

- يعتدي الطرف الآخر عليك جسدياً أو يهدد بفعل ذلك.
- يدمن الطرف الآخر الشراب أو المنشطات أو التبذير أو الاستدانة ويرفض الاعتراف بالمشكلة أو الحصول على علاج.
- يتورط الطرف الآخر في أنشطة غير قانونية.

في هذه الحالات، أنت لا تمتلك رهاية الوقت، عليك أن تأخذ قرارك وتتصرف سريعاً.

أنماط المنع: أن تقرراً لا تقر

أرادت "سارة" - التي تعمل مدونة لمحاضر الجلسات في المحكمة والتي قابلناها في المقدمة - أن تتزوج من خطيبها "فرانك"، لكن اختياره المستمر لها جعلها تتردد. وعندما استعرضت لها عملية اتخاذ القرار، أدركت أن هناك تغييرات معينة يجب إجراؤها قبل أن تتمكن من الشعور بالارتياح أكثر تجاه زواجها منه.

أعطيت "سارة" مهمة إعداد قائمة بما تريده من "فرانك" ونوعية التصرفات التي ستقبلها والتي لن تقبلها منه. سألتني "سارة": "هل يوجد مانع إذا أعددت قائمتين، قائمة "أيها الأحمق، من تظن نفسك؟" ثم القائمة الحقيقية؟ أظن أنني بحاجة إلى أن أنفخ عن غضبي".

إذا كنت تكبت مشاعرك وتقمع نفسك بعدم الغضب، فأنت على الأرجح تريد القيام بالأمر نفسه - أو إيجاد طرق أخرى آمنة للببدء في التعبير عن

إحباطاتك - قبل أن تركز على قائمتك. إن التفكير فيما تريده وتحتاج إليه يبدو بالتأكيد عملية عقلانية هادئة، لكن الحقيقة هي أن العديد ممن يتعرضون للابتزاز العاطفي يكتبون غضبهم لفترة طويلة لدرجة أنهم يكونون على وشك الانفجار.

وإحدى الطرق الفعالة جداً للتنفيس عن الانفعالات المتقلبة هي أن تضع مقعداً خالياً أمامك وتتخيل أن الطرف الآخر جالس عليه (صورة فوتوغرافية للطرف الآخر يمكن أن تساعدك على القيام بهذا). قل بصوت عالٍ ما كنت تفكر فيه وتشعر به منذ وقت طويل. فالتعبير اللفظي عن غضبك في غياب المبتز سيطلق الطاقة المكبوتة وسيبني الجسر الذي سيوصلك للوضوح. أما الصراخ أو التنفيس عن مشاعرك في ظل وجود المبتز لن يصفى الأجواء على الأرجح؛ بل وربما يزيد الشحنة بينكما. بدأت "سارة" قائلة:

أنا لا أعرف ماذا حدث لنا يا "فرانك". في البداية، كنت تحسن معاملتي، وكنت أعتقد أنني أعني لك الكثير. ولكن الحب ليس اختباراً. أنا صديقتك وحبيبتك وربما سأكون زوجتك، وأنا غاضبة أن هناك الكثير من القيود المصاحبة لحبك. ماذا لا يمكننا أن نتزوج لأنني لن أعتني بأطفال أختك؟ كيف تجرؤ أن تكون بهذه التفاهة؟ كيف تجرؤ أن تقيمني على هذا الأساس؟ أنت لا تستطيع أن تشتري الحب يا "فرانك"، وأنا أرفض أن يتم إجباري على محاولة شراء حبك. من تظنني؟ كيف أصبحت بهذه الحمافة؟ توقف عن ذلك! توقف!

كانت "سارة" تتنفس بصعوبة عندما انتهت. وقد ابتسمت والتفتت إلي وقالت: "حسناً، أنا الآن مستعدة لإعداد قائمتي".

أخبرت "سارة" بأننا عندما نحدد ما نريده في العلاقة، فنحن لا نحاول السيطرة على الوضع، بل في الواقع نقول: "هذا ما سيجعل العلاقة أكثر إرضاءً بالنسبة لي".

أعدت "سارة" القائمة التالية لنفسها ود "فرانك":

١: لا يوجد المزيد من الاختبارات لإثبات مشاعري لك. إما أنك تريد الزواج بي أو لا تريد. أنا أحبك وأريد أن أتزوجك، لكنني لن أخضع لاختبارات لأثبت ذلك لك. إذا كنت غير واثق بي، فأخبرني وسنبحث عن حل لهذا.

٢: أنا أحبك، وأريد أن أتوسع في عملي. وأحد الأمرين لا يمنع الآخر، ويمكن لهما أن يتواجدا معاً. فإذا كان لا يمكنهما ذلك في رأيك، فهناك إذن مشكلة جوهرية بيننا، ومن الأفضل أن نبحثها الآن وليس في وقت لاحق.

٣: أريد منك أن تتوقف عن اعتبار مقاومتي لفرض رأيك في كل شيء دليلاً على أنني لست ملتزمة تجاهك. لا علاقة لأحد الأمرين بالآخر.

٤: إذا أردت شيئاً مني، فاطلبه، وسأفعل كل ما بوسعي لإرضائك إذا كان ما تطلبه لا يلحق الضرر بي. ولكنني أريد أن أكون قادرة على الرفض دون أن تشعرني بأنني قاتل متسلسل.

قالت "سارة": "ينتابني إحساس رائع بعد أن قمت بهذا. لكنني قلقة الآن. ماذا إذا سخر مني؟ ماذا إذا قال لا، لا يمكنني فعل هذا؟"

قلت لها: "لن تعرفي إلا بعد أن تنفذي. يمكنك أن تتمرني وحدك على إخباره إلى أن تشعرني بارتياح، ثم يمكنك القيام بذلك وشاهدي كيف سيسبب فرانك. تذكرني أنك لا تزالين تجمعين معلومات. لا تقترضي شيئاً، لكن ركزي بشدة. فأنت تتخذين قرارات هنا. الأول هو إخبار فرانك بما تحتاجين إليه، والثاني هو تأجيل اتخاذ القرار المتعلق بالعلاقة إلى أن تشاهدي استجابة فرانك".

نزع فتيل أزمة زوجية

كانت "ليز" تكذب غضبها لسنوات، وبالغت بشكل كبير في رد فعلها عندما غضب "مايكل" من رغبتها في العودة إلى العمل. وقد لجأ كلاهما إلى التهديدات - فقد هددت "ليز" بأن تنهي الزواج، وهدد "مايكل" بأن يأخذ

الطفلين التوأم بعيداً عنها ويتركها مفلسة. وعندما نظرت "ليز" فيما أراد "مايكل" منها فعله - "أمكثي في البيت مع الطفلين" - عرفت أنها لا يمكنها فعل ذلك دون التخلي عن شيء حيوي متعلق بإحساسها بنفسها.

اقترحت على "ليز" أن تكتب خطاباً لـ "مايكل" تخبره فيه بشعورها ووصف ما تحتاج إليه مرة أخرى. وإذا شعرت بأنه يجدر بها أن تقدم اعتذارات، فيمكنها أن تقدمها. وقد شجعتها على استخدام الطريقة غير الهجومية نفسها التي استخدمتها "سارة" في ذكر ما أرادتته من "فرانك".

تعد كتابة خطاب إلى المبتز - وخصوصاً إذا كان الموقف بينكما متدهوراً بشكل ملحوظ - طريقة آمنة للتعبير عن نفسك؛ فهي طريقة تحول دون إصابتك بالتوتر لدرجة أنك تتسى ما تريد قوله، وهي تساعدك على التركيز على معرفة المسائل الأساسية بالنسبة لك. فكر في الأمر على أنه طريقة لإيجاد الجانب المشرق في ظل الضغوط.

هذا ما كتبه "ليز" لـ "مايكل":

عزيزي مايكل:

لقد قررت أن أكتب أفكارى ومشاعري بدلاً من محاولة التعبير عنها مباشرة لك لعدة أسباب. وأهم هذه الأسباب هو أنني أصبحت خائفة للغاية من غضبك كلما حاولت مناقشة وضعنا الحالي معك. والآن، وبعد أن هددتني بعواقب وخيمة إذا قررت الانفصال عنك، فلقد أصبحت أكثر خوفاً. إنني أرتبك ارتباكاً كاملاً في تلك الأوقات، ولا أستطيع التفكير بوضوح، وأعرف أنني لا أستطيع التعبير عن نفسي كما ينبغي. ومن أسباب ذلك أنك تقاطعني وتوقفني باستمرار عندما أقول شيئاً لا تريد سماعه. لكنني عندما أكتب ما أريد قوله، فلدي الفرصة لتنظيم أفكارى وذكرها بوضوح.

أتمنى أن تقرأ الخطاب كاملاً ثم يمكننا أن نجلس ونتحدث في أمورنا بعقلانية وبدون مناخ يسوده التنافس لفوز طرف وخسارة طرف آخر.

مايكل، أنا لا أريد أن أرحل عنك إذا كانت هناك أية فرصة لإعادة بناء علاقتنا والرقى بها إلى مستوى أكثر إشراقاً وحباً. أنا لا أزال أكن لك قدراً

كبيراً من الحب بغض النظر عما لاقيته منك من أذى عبر السنوات القليلة الماضية، وأعرف أنك تكن لي الكثير من الحب أيضاً. يمكنك أن تكون الشخص الأكثر روعة في العالم (والأكثر إثارة كذلك)، لكن إذا كنت سأبقى معك، أحتاج منك أن تتحمل ٥٠% من مسئولية الأخطاء التي وقعت والقيام بـ ٥٠% من العمل لعودة العلاقة إلى مسارها الصحيح.

أنا أعددك بأن أقوم بالشيء نفسه، بل سأبدأ في ذلك من الآن. أعرف أنني قد بالغت في رد فعلي عندما استأنت من عودتي إلى الدراسة، وأعرف أن الحديث عن الطلاق والذهاب إلى المحامي سبب غضبك مني وتهديدك لي. وهكذا، زاد كل منا الطين بلة ولم نتحدث عن مشاعرنا الحقيقية. لقد كنت مصممة على أن أظهر لك أنه ليس باستطاعتك التحكم في حياتي وأنا أتحمّل المسئولية كاملة عن سوء التعامل مع هذا الأمر. أنا آسفة بحق.

قبل أن ألتقي "سوزان"، لم يكن لدي مصطلح أطلقه على ما كان يحدث بيننا، لكن لدي المصطلح الآن وهو يسمى "الابتزاز العاطفي" وقد بدأ بيننا منذ وقت طويل. كنت أعرف أن "وسائلك العقابية الصغيرة" مثل تعطيل جهاز فتح الباب الجراح هي وسائل مهينة وطفولية، لكنها بدت تافهة بالمقارنة مع كل الأشياء الجيدة التي كنا نحظى بها معاً. أدرك الآن أن جزءاً من الـ ٥٠% من المسئولية يتمثل في فشلي في أن أخبرك بأن هذا التصرف مهين أو أعددك تعرف أن هذا التصرف غير مقبول. والآن، بما أن الابتزاز قد تصاعد لدرجة توجيه تهديدات خطيرة لي في محاولة للسيطرة عليّ، فلا بد من إجراء تغييرات كبيرة وإلا فلن أستطيع الاستمرار في هذا الزواج.

أنا أبذل جهداً كبيراً في العلاج لاستعادة احترامي لنفسني، وأنا أعلم الكثير عن السبب الداخلي الذي سمح لي بتقبل الابتزاز العاطفي لوقت طويل. ولكنني لا أستطيع القيام بكل هذا وحدي. أنا أعرف كم تحب الدخول في صلب الموضوع وحل المشكلات؛ ولذا دعني أخبرك بما يجب أن يحدث من وجهة نظري إذا كانت لدينا أية فرصة لإنقاذ ما كان في يوم من الأيام بمثابة علاقة ناجحة.

١: يجب أن يتوقف التمر والتهديدات فوراً، وهذا أمر غير قابل للتفاوض. أعرف أنك لا تستطيع أخذ المال والطفلين؛ ولذا وفر كلامك في هذا الصدد. إذا كنت غاضباً مني أو خائفاً من إمكانية رحيلي عنك، فيمكنك أن تخبرني بذلك، لكنني لن أسمع لك بمعاملتي كطفلة مشاغبة، وسأترك الغرفة - والبيت لو تطلب الأمر - إذا واصلت فعل ذلك. (مايكل، أنا لا أعرف إذا كان بإمكانك فعل ذلك وحدك، وسأكون سعيدة إذا حصلت على بعض المساعدة من المختصين لمعالجة ما يدفعك للتصرف بهذه الطريقة ولتعلم كيفية إدارة غضبك).

٢: أريد أن أخصص بعض الوقت كل ليلة بعد أن ينام الطفلان للتحدث مع بعضنا باحترام ولطف. إن كليتا له شكاوى، وأنا بالتأكيد لا أتوقع أن تتغير الأمور بين عشية وضحاها، لكن علينا أن نناقشها بالتفصيل ونتوصل لبعض التسويات والحلول.

٣: أعرف أنك مهووس بالنظافة أكثر مني، وأنتي بالفعل أترك أشياء كثيرة مبعثرة. سأحاول أن أرتب الفوضى التي أحدثها، ولكن عليك أن تخفض قليلاً من معاييرك المستحيلة أيضاً، وأن تعطيني أنا والطفلين متفهماً. وربما بدلاً من معاقبتي يمكنك مساعدتي.

٤: لا مزيد من الصراخ؛ فالصراخ إهانة للروح، بالإضافة إلى أنه يذكرني بأبي ويصيبني بفرع شديد.

أتمنى من كل قلبي أن تكون هذه الشروط مقبولة لك، وأنا على استعداد تام للتعاون معك. لقد اقترحت "سوزان" ٦٠ يوماً كفترة تجريبية، وهذا يبدو مقبولاً بالنسبة لي. ثم يمكننا إعادة تقييم الأمور ورؤية الشعور الذي ينتابنا. أما الآن فأنا أشعر بخوف شديد ولكن كلي أمل أيضاً، وأعتقد أن لدينا فرصة حقيقية لاستغلال هذه الأزمة كنقطة انطلاق رائعة لزيعة أفضل.

كان "مايكل" شخصية عقابية ومسيئة عاطفياً، وكان من المستحيل التنبؤ برد فعله على خطاب "ليز" الواضح بشأن احتياجاتها وآمالها، ولكن الخطاب كان خطوة إيجابية بالنسبة لـ "ليز"، بصرف النظر عن النتيجة.

التكيف في العمل

عندما يلقي الابتزاز العاطفي بظلاله على العمل، خصوصاً عندما يتضمن شخصاً ذا منصب أعلى، فقد يبدو كأنه مشكلة مستعصية الحل. تتنوع القصص عن رؤساء العمل المتسلطين، وما يزيدنا سوءاً أنها تتضمن عدم توازن القوى على نحو شاسع. لقد استقرت في أذهاننا فكرة أن المبتز بيده سبيل رزقنا، ونحن نتنازل عن زمام سيطرتنا لمن يتحكم في راتبنا. ومثلما هي الحال في العلاقات الرومانسية، نحن نترك حالات الابتزاز في العمل تمر دون أن نعلق عليها؛ فنسمح لها بالتصاعد حتى يكون الخيار الوحيد أمامنا هو المغادرة وترك العمل.

توسيع نطاق خياراتك

شعرت "كيم" - التي تعمل محررة في إحدى المجالات - بأنها واقعة تحت حصار.

لقد طُفح بي الكيل. أنا أقضي حياتي على مكثبي ولم تعد لدي وظيفة سوى الكتابة على الكمبيوتر والرد على الهاتف. أنا منهكة لدرجة أنني غير قادرة على التفكير بشكل سليم، و"كين" لا يتوقف عن عقد المقارنات السلبية. أشعر كأنه يلزمي بمعايير مستحيلة. أنا لست مدمنة على العمل مثل بعض زملائي، وإذا لم أواصل العمل بأقصى سرعة، فإنني سأخرج من قائمته الجيدة وأشق طريقي نحو قائمة المهمشين - معرضة نفسي للخطر في المرة القادمة التي تحاول فيها هذه الشركة المجنونة تقليص عدد العاملين بها مرة أخرى.

ليس هناك ما يمكنني فعله سوى البحث عن وظيفة أخرى؛ لكنني مرهقة بدنياً وعاطفياً، وكل ما يمكنني القيام به عندما أعود للبيت هو محاولة عدم

الإجهاش بالبكاء أو الصراخ في وجه شخص لا يستحق ذلك. أنا لا أستطيع الاستقالة؛ فنحن بحاجة للمال. لم أعتقد يومًا أن هناك جحيمًا على الأرض، ولكنني أعتقد ذلك الآن.

من الواضح أن هناك شيئًا يجب أن يتغير بالنسبة لـ "كيم"؛ فمطالب وظيفتها كانت تعرض صحتها البدنية والنفسية للخطر، لكنها أخذت قرارًا - "ليس هناك ما يمكنني فعله" - والذي قلص خياراتها إلى صفر. ولكي تخرج من هذا المأزق، كان عليها أن تتخذ خيارًا بأن تحدد لنفسها ما تحتاج إليه وما تريده ثم تعمل - حتى لو بطرق صغيرة تدريجية - لإحداث تغييرات في موقفها.

بدأنا بالنظر في مطلب "كين".

قالت: "لا أعرف كيف يمكننا القيام بهذا؛ فهذا ليس مجرد مطلب واحد فقط، بل سلسلة كاملة لا تنتهي. هو يعتقد أنني أستطيع العمل طوال الوقت، لكنني لا أستطيع كذلك".

سألته: "إذن، ما الذي يمكن أن تسميه مطلبًا حقًا؟"

"أفعل أي شيء أطلبه منك والآن".

"والا ماذا؟"

"والا فسأنتخلص منك، أو على الأقل سأقول إنك لست جيدة مثل "ميراندا"، أفضل محررة في العالم. وبمجرد أن أصبح غير أساسية، يمكن الاستغناء عني بخطاب فصل عن العمل".

سألته: "لقد تحدثنا عن المقارنات السلبية مع "ميراندا"، لكن ما الذي يجعلك تعتقدين أنه إذا لم تقومي بكل مهمة يضغط عليك "كين" للقيام بها، فستكون وظيفتك في خطر؟ هل قال أي شيء عن ذلك بالتحديد؟"

قالت: "ليس بشكل مباشر، لكن المناخ يوحي بذلك. فالجميع يعرف أنك لا تريدين أن تقدي منصبك المميز".

سألته: "هل تحدثت إليه بشأن المشكلات التي تعانيها في ذراعك ورقبتك من جراء القيام بكل هذا العمل؟"

قالت: "هل تمزحين معي؟ نحن جميعاً مجرد تروس في ماكينة كبيرة".
أوضحت لـ "كيم" أنها على ما يبدو تبني استجاباتها نحو رئيسها على
بعض الافتراضات التي لم تختبر صحتها، ثم طلبت منها أن تصف لنفسها ما
هو المعقول في طلب "كين" منها.

بمجرد أن أصبحت لديها فكرة مترسخة لما هو معقول، استطاعت أن
تحول انتباهها لما هو غير معقول، والنظر في عواقب العناصر غير المعقولة
عليها وعلى أشخاص آخرين.

قالت "كيم": "بالنسبة للأشخاص في وظيفتي، فإن العمل ساعات إضافية
جزء من الوظيفة - فساعات العمل تقريباً ٥٠ ساعة في الأسبوع بالإضافة إلى
وقت القراءة في العطلة الأسبوعية. أنا أعرف ذلك وأقبله - لكن الأمر يتجاوز
ذلك بكثير؛ فأنا أعمل حوالي ٦٠ أو ٦٥ ساعة في الأسبوع، بالإضافة إلى العمل
في العطل الأسبوعية. من الأساس، أنا أكره الضغط، وأكره أن تتم مقارنتي
بشخص آخر، فهذا شيء لا يحفزني، بل يجعلني أشعر بخوف وحنق".

سألت "كيم" في النهاية أن تصف ما تحتاج إليه وتريده، فقالت: "أريد
أن يقوم الآخرون ببعض العمل الذي أقوم به، وأريد أن يطلب كين منهم القيام
بأشياء مثلما يطلب مني. هو يعتمد عليّ أكثر مما ينبغي، وأشعر بضغط بسبب
مقارناته السلبية وأريده أن يتوقف عنها، وأريده أن يطلب مني ما يحتاج إليه
بدلاً من أن يلوي ذراعي بتلك الطريقة".

في تلك اللحظة، سألت "كيم": "أنت تتحدثين كثيراً عن كين، ما دورك
في كل هذا؟".

بدأت "كيم" في التفكير فيما عليها فعله. "أشعر بأنني غاضبة لأنني
تركت الأمور تصل لهذا السوء. أنا أعرف أنني أحتاج لأتعلم الرفض عندما
أكون متعبة أو متألماً أو عندما أريد أن أستمع بحياتي الخاصة. قد يكون من
المفيد أن أتوقف عن افتراض الأسوأ طوال الوقت أيضاً".

عندما فكرت "كيم" في حقيقة موقفها، استطاعت أن ترى أن كثيراً من
الضغط الذي كانت تشعر به كان يأتي من داخلها وليس من الخارج. هل كان
"كين" سيفصلها من العمل إذا قالت إنها تريد التخفيف من عبء العمل عليها

لحماية صحتها. في أغلب الاحتمالات، لم يكن ليفكر في ذلك. هي لم تكن تذكر حتى الضرر الذي كان يقع على صحتها بسبب عملها - كل ما كانت تستطيع فعله هو الموافقة. لكنها لا تستطيع فعل ذلك الآن؛ فعواقب السماح لنفسها بالعمل بما يفوق قدراتها بكثير كانت وخيمة للغاية. وقد قررت أن ما اعتقدت أنه الاختيار الوحيد أمامها - الإبقاء على الوضع الراهن - لم يكن في الحقيقة خياراً.

كانت "كيم" مرعوبة من مفاتحة "كين" في الموضوع، لكننا تدريبنا على ما ستقوله إلى أن شعرت بارتياح. في الفصل التالي، سأريك كيف قدمت قرارها إلى "كين" بطريقة مكنتهما من العمل معاً على نحو أكثر سلاسة.

أطلق عليها إستراتيجية

إذا أظهرت تجربتك أنه من المحتمل أن تواجه عواقب غير مقبولة إذا حاولت مفاتحة رئيسك أو مقاومته، فطالما أن صحتك البدنية والذهنية ليستا في خطر، فلا يزال يمكنك أن تساير الوضع في الوقت الحالي.

كيف تجد طريقة للعمل مع صاحب عمل مبتز عاطفياً وربما يكون غير منطقي التفكير أو سريع الاستثارة أو يعاملك باحتقار؟ إن معظمنا لا يستطيعون تغيير شخصياتهم ولن يغيروها ليتجاوزوا الأمر، مع أن ذلك قد يكون هو ما طلب منهم. نعرف أننا يجب أن نخرج من موقف خطير، لكن الواقع هو أننا بدون رصيد بنكي أو عرض عمل آخر، فالكثير من الأشخاص ليست لديهم رفاهية الرحيل الفوري من العمل.

الإجابة هو أن تعيد وصف إستراتيجية سلوكك بدلاً من الامتثال والإذعان. والقيام بهذا سيقطل من شعورك بأنك ضحية وقليل الحيلة بشكل كبير. وكلمة إستراتيجية توحي بأنك اتخذت اختياراً وهو جزء من خطة تستفيد منها، وهو بالضبط ما يجب أن يكون عليه الأمر. هل من المخادع أن تبدو كأنك تمتثل في حين أنك تبحث عن مهرب؟ لا - إنه حفاظ على الذات.

إرشادات لنمط إستراتيجي للمنع:

١: لا تسمح بأي شيء يضر بصحتك.

وهذا أمر يتحتم عليك القيام به لحماية نفسك. فأنت لا يمكنك أن تختار السماح لشخص ما بأن يسيء لسلامتك البدنية أو العاطفية أو يعرضهما للخطر.

٢: قرر أن تعرف وظيفتك لنفسك بطريقة مختلفة:

فبدلاً من التفكير في مكان عملك على أنه "سجن"، اعتبره وسيلة لغاية تختارها أنت. قل لنفسك مثلاً: "أنا أختار أن أظل في هذا الموقف حتى تكون لدي القاعدة المالية التي أحتاج إليها لإحداث تغيير". إذا كنت موظفاً مبتدئاً، فضع طاقتك في تعلم كل ما تستطيع، وانتهز فرص التدريب الرسمي أو فرص التعلم من الزملاء المتمرسين. وحول طاقة كرهك للموقف إلى خطة للخروج منه.

٣: ضع جدولاً زمنياً وخطة.

أنا لا أشير إلى أن تتحمل وضماً وظيفياً صعباً إلى أجل غير مسمى. ما الخطوات التي ستتخذها لتغير موقفك؟ هل ستبحث عن وظيفة جديدة؟ هل ستأخذ دورات؟ هل ستسعى لنيل ترقية؟ هل ستغير نويات العمل؟ هل ستدخر أموالاً؟ كم المقدار وكم عدد المرات؟ كن محدداً قدر الإمكان بشأن ما تحتاج إليه من نفسك، والتزم بخطتك.

٤: قرر بأن تتخذ خطوات صغيرة لتحسين موقفك.

ليست هناك حاجة للخوض في مواجهة درامية مع رئيس غير عقلاني أو استبدادي، وخصوصاً إذا كنت مقتنعاً بأن وظيفتك على المحك. لكن يمكنك القيام بخطوات صغيرة لجس النبض وتوضيح موقفك. فـ "كيم" مثلاً تستطيع الخروج عن نمطها المعتاد المتمثل في موافقتها الدائمة على طلبات "كين" بأن تخبره بأنها وضعت خططاً مهمة ولن تكون متاحة في وقت محدد. وربما تتفاجأ "كين" لتجد أنه مستعد للعمل معها. لا ضدها. إن بعضاً من أكبر المتنمرين ينهارون إذا تمسكت برأيك وبدأت في الدفاع عن نفسك: بل ومن المفارقة أنهم أيضاً سيحترمونك أكثر.

وبمجرد أن تقرر أن تستمد ما يمكنك من فوائد من موقف صعب، ستلاحظ انخفاض مستوى التوتر. تذكر أنك تحمي نزاهتك عن طريق الاعتراف بنفسك واتخاذ خيارات تعد جزءاً من إستراتيجية واضحة، وليس الاستجابة النابعة من الخوف.

عندما تعرف كل ما تحتاج إلى معرفته

يطفح الكيل بنا أحياناً. فقد حاولنا وضع حدود والتعبير عن احتياجاتنا إلى الطرف الآخر، ووجدنا أنه لا شيء يجدي نفعاً. حاولت "ماريا" لعدة شهور العمل مع "جاي" على إعادة بناء علاقتهما، ولكن دون جدوى.

أنت تعرفين أنني أعطيته كل الفرص، يا "سوزان". فلقد تحدثنا مراراً وتكراراً، وطلبت منه الحضور للحصول على استشارة معي وهو ما فعله مرة. ووافق على الذهاب إلى رجل الدين معي - لكنه كان يكذب طوال الوقت الذي قضاه هناك وأثار إعجابه كثيراً.

العلاقات الإنسانية أشبه بإبريق به حليب. أحياناً يمكنك أن تعيده إلى التلاجة في الوقت المناسب، لكنه إذا ترك خارجها لفترة طويلة وأصبح حامضاً، فلا يوجد شيء سيعيده كما كان مرة أخرى. سألت "ماريا" ما إذا كانت تعتقد أن هذا ما حدث بينها وبين "جاي".

أخشى أن ذلك ما حدث، وأنا لن أدعه يستغني على هذا النحو. بالإضافة إلى أن الطفلين سيكونان عالقين في هذا التوتر المتواصل. أنا على وشك الانهيار. وعندما أنظر إليهما، أستطيع أن أرى أنهما كذلك أيضاً. فأن تكون أمهما غير سعيدة لهو أمر سيئ بما فيه الكفاية، لكن أي نوع من القدوة يمثلها أب يكذب ويغازل النساء؟

لن أكذب عليك يا "سوزان". لقد نظرت إلى هذا الموقف بكل الطرق الممكنة لإيجاد طريقة للحفاظ على وحدة الأسرة. وليؤلمني أنني مضطرة لاتخاذ هذه الخطوة - فأنا أشعر كأنني أقطع ذراعي. لكنني قد أدركت أنه على

المدى البعيد، هذا هو أفضل شيء يمكن أن أفعله لابني أيضًا. ستكون حياتي أفضل، وعلى المدى البعيد ستكون حياتهما أفضل أيضًا. عندما أهدئ من روع نفسي، أرى أن أعظم ضرر قد يقع عليهما هو العيش مع أب مثل "جاي"، وأم جريئة وغير سعيدة تبذل ما بوسعها من أجلهما. نحن جميعًا نحتاج لنزع هذا السم من حياتنا. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها جميعًا التعافي.

لقد طمأنت "ماريا" بأن من منطلق كل الأشياء التي رأيتها في عملي مع العائلات، فليس هناك شك في أنها قد اختارت أفضل شيء لطفليها. عادة ما يعتقد الأبوان أنهما لا بد أن يبقىا معًا "من أجل الأطفال"، لكنني وجدت أن تعرض الأطفال لجرعات يومية من العداء واليأس بين أبوين تيسسين يشكل صدمة وتدميرًا لهم أكثر من تجربة الانفصال الواضح. وجدت "ماريا" الحكمة التي ستساعدنا على البدء في إيجاد الطمأنينة. ما تبقى لها الآن لتفعله هو التمسك بقرارها.

الدفاع عن حقيقتك

استتجت "روبرتتا" أيضًا أن الانفصال ضروري؛ فهي لم تعد قادرة على الاستمرار في التواصل مع عائلتها.

أنا أريد منهم أن يتقبلوا ويصدقوا ما أقوله لهم - أن أبي أساء معاملتي عندما كنت طفلة. ليس هناك جدوى من أن أضع شروطًا لعلاقتنا؛ لأن لدي تاريخًا ممتدًا لسنوات مع هؤلاء الأشخاص وأعرف ما سيفعلونه. هم لن يتقبلوا حقيقة طفولتي، وسيقولون إنني مجنونة إلا إذا وافقت على روايتهم للأحداث. أنت رأيتهم بنفسك يا "سوزان"، وكلانا يعرف أنهم مقربون ومتحدون في هذه الحملة، وأنا لا أستطيع أن أعطيهم ما يريدون، وهو ما يعد موافقة مني على روايتهم للحقيقة. على الأقل لا يمكنني أن أعطيهم هذا الاعتراف إذا كنت سأحافظ على قواي العقلية؛ ولذا، أعتقد أنه ما كنت تخبريني به دائمًا - إما هم أو سلامتي العقلية، وأنا أختار سلامتي العقلية.

قررت "روبرتتا" أن تخبر عائلتها بقرارها في لقاء معي في المستشفى،

وهي بيئة آمنة للغاية؛ حيث كان معها طاقم المستشفى والمعالج النفسي والدعم الكبير من البيئة بالكامل لمساعدتها خلال فترة عصيبة. عندما قدمت قرارها لعائلتها، شعرت بأنها أكثر سعادة وحرية وعقلانية، على الرغم من نقدهم.

إذا كنت - مثل "روبرت" - تتعامل مع مشكلات متعلقة بإساءة المعاملة أو لديك تاريخ من الاكتئاب والهشاشة العاطفية واتخذت قرارًا بالانفصال، على الأقل في الوقت الحالي، عن أشخاص معينين في حياتك، فمن المهم أن يكون لديك نظام دعم. فإذا لم يكن لديك معالج نفسي، فستحتاج إلى عمل قائمة بالأشخاص الذين تعرف أنهم سيدعمونك في قرارك - زوجة أو صديق مقرب أو شقيق. أبلغ هؤلاء الأشخاص بقرارك وأخبرهم بأنك تريد مساعدتهم ودعمهم في هذه الفترة العصيبة من حياتك.

هناك بضعة أشياء أكثر إجهاداً من اتخاذ قرار مصيري في الحياة. فالتردد وعدم اليقين والشك في الذات والقلق الشديد جميعها حالات ذهنية وعاطفية عادية تماماً في مثل هذه الفترات. لكن استمر في تذكير نفسك أنك تتعامل بطريقة استباقية وليست استجابية. وهذا في حد ذاته سيساعدك على تقليل التوتر.

وأصل استخدام تصريح القوة - "أنا أستطيع التحمل" - واستمر في تخيل نفسك وأنت تخرج من هذا النطاق المضطرب وتصبح مراقباً. فكلما الأسلوبين سيمدك بالهدوء والاستقرار خلال الأوقات العصيبة. بالإضافة إلى ذلك، هناك أنشطة رائعة لتقليل التوتر متاحة لنا جميعاً. التأمل ودروس اليوجا ودروس الرقص والمشاركة في الرياضات والهوايات وقضاء الوقت مع أشخاص تستمتع برفقتهم - كل ذلك يتسبب في تدفق الأندورفين لزيادة مشاعر السعادة وتقليل المشاعر غير المرعبة. وبالتأكيد هناك العديد من المصادر الاحترافية الجيدة غير المكلفة التي يمكنك الاستفادة منها خلال هذا الوقت إذا احتجت إلى دعم إضافي.

مهما كان القرار الذي يتحتم عليك أخذه، فاستخدم الأساليب المذكورة

في هذا الفصل لتتوقف في خضم الضغوط وتركز على نفسك وتلاحظ ما يحدث وما يُطلب منك. عندما تتخذ قرارك استناداً إلى معاييرك وليس معايير المبتز، فأنت وجهة ضربة قاسية لدائرة الابتزاز العاطفي. والآن، هيا نضع قرارك حيز التنفيذ.

الإستراتيجية

كل الإعداد الذي قمنا به كان يقودك إلى هنا، إلى تلك اللحظة التي تخبر فيها المبتز بقرارك. أنا أعرف هناك عواطف متصارعة داخلك - الفرع والتوجس والقلق التي عادةً ما تصحب التغير السلوكي. الآن، أريد أن أعطيك بعض الإستراتيجيات الفعّالة لعرض موقفك والتمسك برأيك مهما كان رد فعل الطرف الآخر. عندما تمارس وتستخدم الإستراتيجيات الرئيسية الأربع التي سأقدمها لك في هذا الفصل، فأنا أضمن لك بأنك ستغير توازن القوى في العلاقة. هذه الإستراتيجيات - التواصل غير الدفاعي وعمل تحالف مع الخصم والمقايسة واستخدام الدعابة - هي أكثر الأدوات الفعّالة التي أعرفها لإنهاء الابتزاز العاطفي.

أتمنى لو أن بإمكانني الوقوف إلى جانبك وأنت تخبر المبتز بقرارك، ولكنني لا أستطيع ذلك. ما أستطيع فعله هو أن أعطيك سيناريو تتعلم منه وتتمسك به وتعتمد عليه عندما تتعامل مع الابتزاز العاطفي.

يرجى ملاحظة أن: إذا كنت تعيشين مع شخص ما أو بينك وبينه علاقة وتشعرين بأنه متقلب ومن المحتمل أن يشكل خطراً على حياتك، فلا تخبريه

مقدمًا بأنك تتوین الرحیل عنه. احمي نفسك وغادري. إذا كانت هناك حالات سابقة من الإيذاء الجسدي في العلاقة، فهذا وقت خطير بالنسبة لك. اذهبي إلى مكان آمن واحصلي على المساعدة، إن لم يكن من العائلة فمن مأوى. لا تذهبي وحدك. لا تذهبي وحدك، ودعي جمعيات حقوق المرأة تساعدك، واعتني بنفسك جيدًا. ليس من الواقعي أن أخبرك بأن هذه الإستراتيجيات ستنجح مع شخص يعتدي عليك جسديًا.

الاستراتيجية الأولى: تواصل غير دفاعي

كما رأينا من قبل، يفرض الطرف الآخر رغباته بالصراخ والميوس ولعب دور الضحية والتهديد واللوم. وقد استجبنا له عن طريق قيامنا بأقصى ما بوسعنا، واستخدمنا الأدوات التي لدينا للعمل بها، ولبناء حاجز يحول بيننا وبين الشعور بالخوف والالتزام والذنب الذي أثاره سلوك الطرف الآخر فينا.

- لقد اعترضنا على ما يطلقونه من أوصاف علينا، ونقول: "أنا لا أتصرف بأنانية، أنت من يتصرف بأنانية. كيف يمكنك أن تقول هذا عني؟ أنا أفعل كل شيء من أجلك. ماذا عن المرة التي ..."
- لقد حاولنا قراءة أفكارهم عندما يعانون. ونقول: "أخبرني من فضلك ما الخطب؟ ماذا الذي فعلته؟ هيا، أخبرني ما يمكنني فعله لأجعلك تشعر بتحسن."
- لقد حاولنا أن ننال رضاهم أملًا في أن يتوقفوا عن الغضب منا. ونقول: "حسنًا، إذا كان الأمر يفضيك بهذا القدر، فإنه يمكنني أن أغير خططي/ أتوقف عن الدراسة/ أرفض هذه الوظيفة/ أتوقف عن مقابلة هذا الصديق ..."
- لقد حاولنا أن نفسر وننكر ونعتذر سعيًا منا لجعلهم يرون الأمور من وجهة نظرنا. ونقول: "لماذا لا تفكر بمنطقية؟ ألا يمكنك رؤية إلى أي مدى أنت مخطئ؟ ما تريده سخيف/ضرب من الجنون/غير منطقي/مهين ..."

المشكلة في ردود مثل هذه أنها دفاعية وتزيد، في الواقع، من حدة الانفعال في الموقف. فمحاولاتنا لحماية أنفسنا تزيد الطين بلة. ماذا سيحدث إذا ضربت شرارة لوم الطرف الآخر وتهديداته وأوصافه السلبية أرضاً رطبة؟ ماذا سيحدث إذا لم تحاول أن تغير الطرف الآخر، لكن بدلاً من ذلك تغير طريقة الحوار؟ ما إذا استجبت إلى ضغطه بعبارات مثل:

- أنا آسف أنك متزعج.
- أنا أتفهم الطريقة التي تنظر بها إلى الأمر.
- هذا مثير للاهتمام.
- حقاً؟
- الصراخ/ التهديد/ الانسحاب/ البكاء لم يعد يجدي نفعاً ولن يحل أية مشكلة.
- لننتحدث عندما تهدأ.
- وأهم رد غير دفاعي هو:
- أنت محق تماماً (حتى لو لم تكن تعنيها).

هذه العبارات هي لب التواصل غير الدفاعي. احفظها وزد عليها بعضاً من عندك. وكررها بصوت عالٍ إلى أن تشعر بارتياح. وتدرب عليها مع صديق إذا استطعت ذلك. من المهم أن تجعل هذا العبارات جزءاً من كلامك وأبتها في وضع الاستعداد. لا تبرروا ولا تدافع عن قراراتك أو نفسك كاستجابة للضغط. أعرف أن هذه العبارات ستبدو صعبة في البداية؛ فالقليل منا لديه خبرة في الرد على وابل طلبات الطرف الآخر بجملة غير عاطفية قصيرة واحدة أو اثنتين. لا تقلق كثيراً إذا وجدت نفسك تتناكب رغبة في الاستفاضة فيها - لا تفعل ذلك وحسب.

والتواصل غير الدفاعي سينجح مع أي شخص في أية مرحلة في عملية الابتزاز. ولقد علمت هذا لألاف الأشخاص واستخدمته في حياتي على مدار عدة أعوام. ولا يعني هذا أنني وجدته سهلاً في البداية، ولا يعني بالتأكيد أنني أقوم بالأمر على نحو صحيح في كل مرة شعرت باضطراب في معدتي وتساوع

دقات القلب الذي يشعر به الجميع تقريباً، ولا أزال أشعر به أحياناً. ولكنني أمدك أنه في كل مرة تستخدم فيها هذه الإستراتيجية والإستراتيجيات الأخرى التي سأبينها لك، يصبح الأمر أسهل. وكما اكتشف الكثير من المبتزين المندهبسين، بدون مثيرات من الشخص المستهدف، فإن محاولات الابتزاز التي كانت تجدي نفعاً في الماضي تبوء بالفشل.

تقديم القرار بطريقة غير دفاعية

يعرف "جوش" أنه لكي يستعيد احترامه لنفسه وينقذ علاقته مع "بيث" ويفتح المجال أمام إمكانية إقامة علاقة حقيقية مع أبيه، كان عليه أن يتوقف عن التسلسل من ورائه لمقابلة "بيث" ويخبره بخططه للزواج منها. ولقد شجعتة على اتخاذ القرار الصعب وأن يخبر أبيه معاً ليضمن أن تسمع أمه الخير منه بدلاً من أن تسمعه عبر فلاتر والده. قال: "تعجيني فكرة استخدام هذا الأسلوب غير الدفاعي، لكنك ستساعديني لأنني لا أعرف ما أقوله أو كيف أعد الأمر".

بدأننا ببعض القواعد الأساسية لتقديم قراره. قلت له: "أولاً، عليك أن تنظم كلامك كي تشعر بأكبر قدر ممكن من الارتياح ويكون الشخص الآخر مستمعاً ومتقبلاً". في تقديم قرار مهم لشخص آخر، أنت تريد أن تعطي لنفسك كل المزايا. وذلك يعني ألا تحاول بدء المناقشة عندما يكون الشخص الآخر متعباً أو مجهداً أو في وقت يكون فيها أطفال بالمنزل.

ومع الزوج أو الشريك الحياة، أخبره بأنك تريد الحديث معه واختر وقتاً هادئاً لا يقاطعكما فيه أحد. أفضل سلك الهاتف. إذا لم تكن تعيش مع الطرف الآخر، فقل إنك تريد أن تتحدث معه، وحدد وقتاً ومكاناً لذلك. احرص على أن تختار مكاناً للقاء تكون فيه مرتاحاً. تذكر أن للمكان طاقة، ومن المهم ألا تختار مكاناً مليئاً بأشباح ماضيك، أو الذكريات التي تجعلك تشعر بأنك لست على قدم المساواة مع الشخص الذي تتحدث إليه بمجرد أن تدخل من الباب. قال "جوش": "يمكنني أن أتصل بهما وأدعوهما لتناول القهوة والحلويات في إحدى الأمسيات في شقتي، لكنني أعرف أن هذا سيكون أمراً متعباً لهما، وهما اثنتان وأنا واحد. أعتقد أنه لا بأس إذا ذهبت إلى هناك".

سأنت "جوش" ما إذا كان هناك الكثير من الذكريات القديمة في منزل والديه على الأرجح - صور أو أشياء قد تثير ذكريات طفولته. فقال "جوش": "لا. هذا ليس المكان الذي نشأت فيه، فقد انتقلا إلى شقة سكنية جديدة، وهي تشبه هندفاً أكثر مما تشبه بيتنا القديم. انظري. هما ليسا مسيئين، هما فقط ضيقاً الأفق".

بعد أن حددت الوقت والمكان، حول انتباهك إلى ما ستقوله بشكل دقيق. اقترحت على "جوش" أن يبدأ كلامه بأن يطلب من والديه بأن يسمعا دون أن يقاطعا أو يعارضا، ويخبرهما بأنه عندما ينتهي، يمكنهما أن يقولوا ما يريدانه. ثم بمقدوره أن يقدم قراره. وفي أثناء عملنا أنا و"جوش" معاً، قمنا بتصميم الحوار الآتي:

أمي وأبي، أريدكما أن تجلسا وتسمعاني. هذا شيء ليس من السهل عليّ قوله؛ فلقد فكرت كثيراً في هذا الأمر، ولأنني أحبكما وأحترمكما، أريد أن أكون صادقاً معكما وأن أوقف الشحنة الواقعة بيننا. أريد منكما أن تعرفا أنني اتخذت قراراً بالزواج من "بيث". أنا أشعر بخجل شديد من حقيقة أنني لم أكن صادقاً معكما في الأشهر العديدة الماضية. وأنا لم أكن صريحاً لأنني كنت أخاف منكما، وأخاف من غضبكما ونقدكما. وأنا خائف الآن خوفاً شديداً.

ينجز "جوش" الكثير في المقدمة؛ حيث يضع شروط اللقاء، ويعبر عن مشاعره، سواء تلك التي تحيط بالموقف ومشاعر الوقت الحاضر. وهو يعترف بعدم صدقه فيما مضى ورغبته في إنهاء هذه الحالة، ثم يعلن قراره.

أريد منكما أن تعرفا أنه ليس هناك شيء يمكنكما قوله أو فعله سيغير رأيي. هذا قرارى وهذه حياتي. أنا الآن على وشك أن أعرف ما إذا كنت محقاً وما إذا كان تنفيذ رغبتكما أكثر أهمية لكما من أن تحافظا على علاقتكما بي. وأتمنى ألا يكون الأمر كذلك. أنا متأسف لأنني لم أتزوج من الفتاة التي كنتما

ترغبان في أن أتزوجها. أنا أحبكما، أبي وأمي، وأنا أقترح أن تأخذا بعض الوقت لتقررا ما تريدان فعله".

يواصل "جوش" الدفاع عن قراره، معطيًا لوالديه الخيار بأن يقبلا بما وقع عليه اختياره أو يرفضاه. وفي النهاية، يقدم اقتراحًا: ألا يردا في الحال بل يفكرا فيما قاله.

توقع ردھما

لقد شجعت "جوش" على التدرب على كلامه كأنه ممثل يحفظ الجمل التي سيقولها. يمكنك أن تقوم بذلك مع شخص آخر، أو التحدث إلى مقعد خال أو التحدث إلى صورة للطرف الآخر. سيبدو هذا على الأرجح غريبًا، لكن كلما تدربت عليه، زادت الثقة التي ستشعر بها عندما يحين وقت الجلوس مع الشخص الحقيقي الذي كان يضغط عليك ببراعة في الماضي.

إذا كان لديك عدد من الشروط تريد أن تقدمها للطرف الآخر، فلا بأس أن تكتب ملاحظات على ورقة وتعود إليها، وتدع الطرف الآخر يعرف أن هذا ما تفعله. لكن رجاء تمرن على قول جملتك بصوت عالٍ - وليس فقط في سر، فالإعداد سيعطيك دفعة هائلة.

قال "جوش": "أنا سعيد بالتمرن، لست قلقًا بشأن ما سأقوله كثيرًا. ولكن أكثر ما يقلقني هو ما سيقولانه. من السيئ رؤية أبي وهو غاضب".

ساعدت "جوش" على تهدئة قلقه بشأن استجابة والديه عن طريق القيام بلعبة تمص الأدوار معه وتركه يتمرن على أكثر الإجابات والتعليقات التي يخشاها. مرة أخرى، يمكنك القيام بهذا مع صديق، أو وحدك.

سألت "جوش": "ما رد الفعل الذي تعتقد أنه سيكون الأصعب بالنسبة لك يا "جوش"؟".

"من أبي، أعتقد أنه سيكون أنت تعرف أن هذا يعني أنني لن أساعدك في عملك بعد الآن".

"وأجابتك؟".

"أنا لا أريد أن يساعدني أحدًا".

"حسنًا، أعتقد أنه يمكننا أن نجد شيئًا أقل استفزازًا".

"حسنًا، ما رأيك في" أنا أسف لشعورك بذلك، لكنني قد اتخذت قرارًا".

وقد تدرّبنا - كما تريد أن تفعل أنت - على سلسلة كاملة من الردود المحتملة.

"سوزان" (في دور والد "جوش"): "لا يمكننا دعم هذا الزواج. أنا مجروح ومصدوم لأنك كذبت عليّ".

"جوش": "أنا لست فخورًا بالكذب عليك، يا أبي. فلقد كنت خائفًا، وأنا أسف لشعورك بذلك الإحساس، لكنني سأتزوج" بيث".

"سوزان": "ما رأي أمك؟"

"جوش": "أنا متأكد أن أول شيء سيخرج من فمها هو" ماذا سيحدث عندما تنجب أطفالًا؟" إننا لم نتزوج بعد، لكن أمي دائمًا تفكر في الأمور مسبقًا".

"سوزان": "وأنت ستقول لها ...".

"جوش": "أمي، سنريهم بقدر كبير من الحب وسنعلمهم أن يكونوا أشخاصًا صالحين".

"سوزان" (في دور الأم): "أريد أن أعرف بالضبط؟"

"جوش": "وأنا سأقول" سوف ننظر في ذلك عندما تنجب أطفالًا يا أمي، عندما يكون الأمر واقعيًا، في اللحظة الراهنة، هذا آخر شيء يقلقني".

عندما قدم "جوش" قراره لوالديه، شعر بتزعزع وقلق شديدين، لكنه التزم بالنص؛ فلم يسمح لنفسه بأن يتخذ موقفًا دفاعيًا.

لم تكن مواجهة سهلة على الإطلاق. تسارعت دقات قلبي لدرجة أنني كنت متأكدًا أنهما يسمعانها، وشعرت بفثيان. ذكرت نفسي بالاستمرار في التنفس، وكررت القول: "أنا أستطيع التحمل" عدة مرات. ساعدني ذلك، لكن لم يكن أي من هذا سهلاً. استخدم أبي كل الوسائل الممكنة للتأثير عليّ؛ فقال أولاً: "لماذا تفعل هذا بنا؟ كيف لك أن تخرجنا على هذا النحو؟" شعرت كأنه يطمعني في قلبي، لكن كل ما قلته كان: "أنا أسف يا أبي لأنك ترى الأمر بتلك

الطريقة". بدا أبي مندهشاً، لكنه استمر في حديثه قائلاً: "إذا تزوجت تلك الفتاة، فلن تكون فرداً من العائلة. وهذا سيقتل أمك". فقلت: "أبي، إن تهديداتك تقتل علاقتنا. أنا أعرف أنك غاضب وأعرف أنك مستاء". ثم قال شيئاً استعددت في الواقع له: "أنا لا أستطيع تصديق أنك كذبت عليّ. وكانت إجابتي: "لقد فعلت ذلك لأنني كنت خائفاً منك. وهذا شيء أتمنى أن نغيره". فيما يبدو لم تفلح كل أساليبك؛ ولذا تحول إليّ: "بعد كل ما فعلناه أنا وأمك من أجلك...". فقلت: "أبي، أنا ممتن جداً لكل شيء فعلتماه من أجلي، لكن امتناني لا يصل لدرجة أن أسمح لك بأن تختار من سأزوجها. كانت محاولته الأخيرة هو مقارنتي بأخي الذي تزوج بفتاة تدين بالديانة نفسها وأنجب أطفالاً يتبعون الديانة نفسها. فقلت: "أبي، أنا لا أستطيع أن أكون مثل "إريك" لأنني لست "إريك". فأنا "جوش"."

في تلك المرحلة، رأيت إنه كان يغمغم ولا يجد ما يقوله؛ ولذا فعلت ما قمت باقتراحه عليّ؛ فقلت أنه يبدو أنه يحتاج إلى وقت للتفكير. آخر شيء قاله أبي لي كان "أنت تطلب مني أن أتحمّل الكثير. أنا لديّ قواعد وقيم ومعتقدات تعني الكثير لي، ولا أعرف ما إذا كنت أستطيع قبول قرارك أم لا". نهضت وخرجت وسارا معي إلى سيارتي. أنزلت زجاج السيارة وقال أبي: "حسناً، لقد علمتكم دائماً أن تمسك بموقفك، لكنني لم أقصد أن تفعل هذا معي". وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة وانطلقت بسيارتي.

واجه "جوش" أسوأ مخاوفه وهو عدم إرضاء والديه. واحزر ماذا؟ لم يمت أحد ولم ينهر المبنى ولم تكن تلك نهاية العالم. لم تكن هذه تجربة مبهجة بالنسبة له، لكنها جعلته يشعر بارتياح واحترام الذات. قال لي "جوش": "شعرت بأنني كبرت ١٠ أقدام!". لقد استعاد "جوش" نراهته.

في الحياة الواقعية، ومع الأشخاص الحقيقيين، تكون العواطف والتفاعلات معقدة، خصوصاً في العائلة؛ فتأدرًا ما تكون هناك نهايات على غرار نهايات هوليوود. يسعدني أن أقول إن عائلة "جوش" قررت أن تقبل زوجته الجديدة لكن لم تكن هذه هي القضية. لقد قرر والد "جوش" أنه لا يريد أن يخسر

ابنه، لكنه إلى الآن لم يتقبل "بيث" تقبلاً حقيقياً ولم يتصرف بحب تجاهها. أدرك "جوش" بشكل محزن أنه لا يريد أن يقطع علاقته بالكامل مع والديه، لكنه يحتاج لتقليل الوقت الذي يقضونه معاً بسبب التوتر الموجود بينهم. وكان يحده أمل كبير بأن يحسنا من سلوكهما في مرحلة ما، ربما عندما يكون هناك أحفاد - وأنا أتمنى ذلك أيضاً. لكن حتى إذا لم يفعلوا ذلك، فلقد قام "جوش" بالشئ الصحيح. فقد حافظ "جوش" على احترامه لنفسه ونزاهته، وأصبحت قدرته على التعايش مع نفسه أكبر بكثير مما كانت عليه عندما كان يكذب على والده ويخل بالتزامه تجاه "بيث".

وفي بعض الحالات، يعيد الوالدان والمقربون منا النظر في الأمر. والمهم هو ما تفعله فيما يتعلق بك، ومن تكون عندما يحين الوقت لاتخاذ موقف.

التعامل مع الردود الأكثر شيوعاً

نظراً لأنك تعرف الطرف الآخر معرفة جيدة، فلن تجد صعوبة في توقع نوعية الردود التي سيقذفك بها بعد أن تقدم قرارك؛ لكن نظراً لأن معظمنا غير متعود على استخدام التواصل غير الدفاعي، فقد لا نكون بالسرعة الكافية للرد بالطريقة المناسبة، وخصوصاً عندما نحاول اختيار الكلمات التي تطف أجواء الحوار.

لا تقلق بشأن السرعة - أنت لديك كل الوقت الذي تحتاج إليه للتفكير. ومن الأفكار الجيدة أن تسمح ببعض الصمت لتتدبر كلمات الطرف الآخر قبل أن ترد عليه. والمهم هو أن تقاوم ميل اللجوء إلى الأنماط القديمة لأنك تشعر بقلق ولا تعرف ما تريد قوله؛ ولذا، أريد أن أعطيك بعض الطرق المحددة للرد على أكثر الردود شيوعاً. وأؤكد بشدة مدى أهمية التمرن على قول هذه العبارات إلى أن تصبح تلقائية بالنسبة لك.

كيف ترد على رد الطرف الآخر:

١: التوقعات والتهديدات الكارثية. قد يحاول المعاقبون والمعاقبون الذاتيون الضغط عليك لتغيير قرارك بأن يقذفوك بوابل من تصورات العواقب السلبية للغاية المترتبة على قرارك. ليس من السهل أبداً مقاومة الخوف من

أن تتحقق رؤيتهم الكئيبة، خصوصاً عندما يكون محور هجومهم هو "ستقع الكوارث - وستكون كلها بسببك". لكن تمسك بموقفك. عندما يقول الطرف الآخر:

- إذا لم تعتنِ بي، فسينتهي بي المطاف في المستشفى/ في الشارع/ غير قادر على العمل.
- لن ترى أطفالك مرة أخرى.
- ستدمر هذه العائلة.
- أنت لم تعد ابني بعد الآن.
- سأقصيك من وصيتي.
- سأمرض.
- لن أستطيع المواصلة بدونك.
- سأجعلك تعاني.
- ستندم على ذلك.

أنت تقول:

- هذا اختيارك.
- أتمنى ألا تفعل ذلك، لكنني قد اتخذت قراري.
- أعرف أنك غاضب الآن. عندما تحظى بفرصة للتفكير في الأمر، ربما تغير رأيك.
- لم لا نتحدث عن هذا مرة أخرى عندما تهدأ وتكون أقل غضباً؟
- التهديدات/المعاماة/الدموع لم تعد تجدي نقماً بعد الآن.
- أنا أسف لأنك منزعج.

٢: **السياب والأوصاف والأحكام السلبية.** إن رغبتك في الدفاع عن نفسك عندما يسبك أحد هوردد فعل طبيعي تماماً، لكنه من المحتمل أن يدفعك إلى مناقشة عبثية تدور حول "أنا لست كذلك"/ "أنت أيضاً كذلك". ولكن بدلاً من ذلك، خذ نفساً عميقاً ودع ما تشعر به من خوف والتزام وذنوب

يثير شعورك بالغيثان بينما تنقل أنت إلى رأسك. وتذكر أنه لأغراض تقديم قرارك والتمسك به، فالأهم ليس ما تشعر به، بل ما تقوله. فتحن نغير السلوك أولاً، ثم بعد ذلك نحول انتباهنا إلى ما يحدث داخلنا.

عندما يقول الطرف الآخر:

- أنا لا أصدق أنك تتصرف بهذه الأنانية. هذا ليس ما اعتدته منك.
- أنت لا تفكر إلا في نفسك. أنت لم تفكر يوماً في مشاعري.
- كنت أعتقد حقاً أنك مختلفة عن النساء الأخريات اللاتي كنت على علاقة بهن. أظن أنني كنت مخطئاً.
- هذا أغيب شيء سمعته في حياتي.
- كل الناس يعرفون أن الأبناء من المفترض أن يحترموا والديهم.
- كيف يمكنك أن تكون بهذا الفدري؟
- أنت مجرد أحمق.

أنت تقول:

- يحق لك إبداء رأيك.
- أنا متأكد أن الأمر سيبدو لك على هذا النحو.
- قد يكون الأمر كذلك.
- قد تكون محقاً.
- أنا أحتاج لأفكر في الأمر أكثر.
- لن نصل إلى أي حل إذا واصلت إهانتني.
- أنا آسف لأنك متزعج.

٣: الأسئلة المميّية: لماذا وكيف. ربما يطلب الطرف الآخر منك أن تقدم تفسيرات ويريد معرفة أسباب اتخاذك هذا القرار. ربما تعتقد أن هذه هي فرصتك الكبيرة لتقول كل الأشياء التي أردت قولها بشأن الأذى الذي ألم بك وعدم مراعاة الطرف الآخر لمشاعرك ومدى غضبك الشديد وانك لن

تتحمل الوضع بعد الآن. فالشخص الآخر يقدم لك الافتتاحية المثالية لتدلي بدفاع مستفيض. ولكن لا تفعل ذلك!

حافظ على تركيزك منصّباً على هدفك. أنت تقدم قرارك - انتهى الأمر عند هذا الحد. لا تعلق في محتوى خلافك إذا كنت تريد إيقاف عملية الابتزاز. إن خلافك لن ينتهي عند أخذ إجازة أو ما إذا كنت ستقدم معروفاً. الأمر متعلق بنمط سلوك والذي فيه يفرض الطرف الآخر رغبته وأنت تستسلم له باستمرار. ولأنك جاد في كسر ذلك النمط، لا تجادل ولا تشرح ولا تدافع ولا تجب عن سؤال لماذا بقولك لأن. بدلاً من ذلك، عندما يقول الطرف الآخر:

- كيف يمكنك أن تفعل هذا بي (بعد كل ما فعلته من أجلك)؟
- لماذا تدمر حياتي؟
- لماذا تتصرف بهذا العند/التصلب/الأناية؟
- ما الذي غيرك؟
- لماذا تتصرف على هذا النحو؟
- لماذا تريد أن تجرحني؟
- لماذا تعطي الموضوع أكبر من حجمه؟

أنت تقول:

- أعرف أنك لست سعيداً بذلك، لكن هذه هي الطريقة التي يجب أن تسير بها الأمور.
- ليس هناك أشرار في الموقف؛ نحن فقط نريد أشياء مختلفة.
- أنا غير مستعد لتحمل أكثر من ٥٠% من المسؤولية.
- أعرف مدى انزعاجك/غضبك/ خيبة أملك، لكن الأمر غير قابل للتفاوض.
- نحن نرى الأمور بطريقة مختلفة.
- أنا متأكد أنك ترى الأمر بتلك الطريقة.
- أنا أسف لأنك منزعج.

التعامل مع الصمت

لكن ماذا عن الشخص الذي يبتز من خلال الغضب الذي يتم التعبير عنه خفية من خلال العيوس والمعاناة؟ عندما لا يقول شيئاً، ماذا يمكنك أن تقول أو تفعل؟ بالنسبة للعديد من الأشخاص المعرضين للابتزاز، هذا الغضب الصامت أكثر إثارة للجنون من الهجوم الصريح بكثير.

أحياناً يبدو الأمر كأنه ليس هناك ما يجدي نفعاً مع هذا النوع من المبتزين وأحياناً يكون عدم فعل شيء هو أكثر ما يجدي نفعاً. لكنك ستحقق أكبر قدر ممكن من النجاح إذا التزمت بمبادئ التواصل غير الدفاعي وتظل واعياً بالنقاط التالية بخصوص ما يجب فعله وما لا يجب فعله.

عند التعامل مع المبتزين الصامتين:

- لا تتوقع منهم أن يأخذوا الخطوة الأولى نحو حل الصراع.
- لا تتوسل إليهم ليخبروك ما خطبهم.
- لا تستمر في أن تطلب منهم أن يعطوك رداً (وهو ما سيجعلهم ينسحبون أكثر).
- لا تنتقد ولا تحلل ولا تفسر دوافعهم أو شخصيتهم أو عدم قدرتهم على أن يكونوا مباشرين.
- لا تقبل طواعية اللوم عن أي شيء هم منزعجون منه لتحسن حالتهم المزاجية.
- لا تسمح لهم بأن يغيروا الموضوع.
- لا تصب برهبة بسبب التوتر والغضب الموجودين في الأجواء.
- لا تدع إجاباتك يتسبب في إصدارك تهديدات لا تقصدها (على سبيل المثال، "إذا لم تقل لي ما المشكلة، فلن أتحدث معك مرة أخرى").
- لا تفترض أنه إذا اعتذرت في النهاية، فسيتبع ذلك أي تغير مهم في سلوكهم.
- لا تتوقع تغيرات كبيرة في الشخصية، حتى إذا أدركوا ما يفعلونه ومستعدون للعمل على معالجته. تذكر: يمكن للسلوك أن يتغير، أما أنماط الشخصية فعادة لا تتغير.

استخدم الأساليب التالية:

- تذكر أنك تتعامل مع أشخاص يشعرون بأنهم غير أكفاء وبلا قوة ويخافون قدرتك على جرحتهم أو هجرهم.
- واجههم عندما يكونون أكثر قدرة على سماع ما ستقوله. فكر في كتابة خطاب؛ فقد يبدو هذا أقل تهديد بالنسبة لهم.
- طمئنهم بأنهم يمكنهم أن يخبروك بسبب غضبهم وأنت ستسمعهم حتى ينتهوا دون أن تهاجمهم.
- استخدم اللياقة والدبلوماسية؛ فهذا سيكون مصدر طمأنة لهم بأنك لن تستغل ضعفهم وتمطرهم بوابل من الاتهامات المضادة.
- قل أشياء مطمئنة مثل "أعرف أنك غاضب الآن، وأرغب في مناقشة هذا الأمر معك بمجرد أن تكون مستعدًا للحديث عنه". ثم اتركهم وشأنهم، فأنت ستزيدهم انسحابًا إذا لم تفعل ذلك.
- لا تخش من إخبارهم بأن سلوكهم مزعج بالنسبة لك، لكن ابدأ بالتعبير عن التقدير لهم. فعلى سبيل المثال: "أبي، أنا أهتم بأمرك حقًا، لكن ما يزعجني حقًا أنك تتوقف عن الكلام في كل مرة نختلف فيها على شيء وتغادر المكان. هذا يضر بعلاقتنا، وأنا أتساءل ما إذا كان يمكنك التحدث معي في هذا الأمر".
- حافظ على تركيزك منصبًا على الموضوع الذي يزعجك.
- توقع بأن تتم مهاجمتك عندما تعبر عن شكوى؛ لأنهم يشعرون بأن كلامك هجوم عليهم.
- أخبرهم بأنك تعلم أنهم غاضبون وبما أنت مستعد لفعله بشأن ذلك. فعلى سبيل المثال: "أنا أسف أنك منزعجة؛ لأنني لم أرد من والديك أن يمكثا معنا في أثناء زيارتهما للمدينة، لكنني بالتأكيد مستعد بأن أخصص وقتًا لإيجاد فندق مناسب لهما وربما سأدفع جزءًا من إجازتهما".
- تقبل حقيقة أنه سيتحتم عليك القيام بالخطوة الأولى معظم الوقت، إن لم يكن طوال الوقت.
- تجاهل بعض الأمور.

هذه الأساليب هي الأساليب الوحيدة التي تتيح فرصة كسر النمط التقليدي جداً للمبتز الغاضب الصامت؛ والدائرة التي تسير على نحو: "انظر كم أنا غاضب، وهذا كله خطأك. والآن اكتشف الخطأ الذي قمتَ به والطريقة التي ستعوضني بها عنه". أعرف كم هو مثير للغيظ أن تكون مضطراً لتأدية دور الشخص العاقل بينما تملكك الرغبة في خنق الطرف الآخر، لكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي أعرفها لخلق مناخ يسمح بحدوث التغيير. مهمتك الأصعب هي أن تظل في موقف غير دفاعي وأن تمنع الشخص الغاضب الصامت بأنه لا بأس أن يكون غاضباً بينما قضى عمره وهو يصدق أنه لا يصح أن يغضب.

الشعور بالغضب مع الحفاظ على الهدوء

تحدثنا كثيراً عن التعامل مع غضب المبتز، لكن كيف تحافظ على موقفك غير الدفاعي بينما تتصاعد وتيرة الغضب داخلك؟ "ألن" - الذي تستخدم زوجته السابقة "بيفرلي" أطفالهما كسلاح في تعاملاتها العقابية معه - عبر عن مأزقه المحيط خلال إحدى الجلسات.

أخذت الأطفال في رحلة تخييم الأسبوع الماضي، وعندما أعدتهم بدأت "بيفرلي" في الصراخ لأنهم كانوا متعبين وكانت ملابسهم متسخة. لقد قضينا وقتاً رائعاً، لكنها قالت إنني ضغطت عليهم كثيراً. ثم قالت إنني إذا لم أعتن بهم على نحو أفضل، فستعيد النظر في تقليل عدد الزيارات. أنا أعرف أن تصرفي كان خاطئاً، لكنني انفجرت فيها وبدأنا في الصراخ لبعضنا مثل زوجين من المجانين. لكنها جعلتني أستشيط غضباً. كيف تجرؤ على تهديدي بمنعني من رؤية أولادي؟ ماذا سأفعل الآن بحق الله؟

هناك مواقف لا نملك حلولاً سحرية لها. لقد لحق بي "بيفرلي" أذى بالغ بسبب الطلاق، لكن بما أن هجماتها على "ألن" قد تصاعدت بعد أن تزوج مرة أخرى، كان من الواضح أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع "ألن" بها تغيير ما تشعر به "بيفرلي" هو أن يجعل نفسه بائساً. لكنه يستطيع بالتأكيد أن يغير ما يفعله والذي قد يكون سبباً في زيادة حدة التوتر بينهما.

قلت: "أنا أعرف أنك غاضب، لكن يجب أن تتعلم كيف تهدئ الموقف. أنت ماهر جداً في استخدام التواصل غير الدفاعي مع "جو"، فلماذا لا تحاول القيام به مع "بيفرلي"؟ الشيء الأصعب فعله هو أن تتصرف بهدوء بينما تشعر كأنك تريد قتل من أمامك".

قال "ألن" مبتسماً: "لقد تلقيت منك تدريباً جيداً يا "سوزان"، أنا أعرف أنك ستقولين إن الشخص الوحيد الذي يمكنني تغييره هو أنا".

فأجبت: "هذا صحيح. مهمتك في الأساس هي أن تغلق فمك مهما تصرفت "بيفرلي" بشكل غير عقلاني وأن تقول - بناء على الموقف - أشياء مثل: "أنا أسف لأنك منزعة بشأن رحلة التخميم، لكنهم قضوا وقتاً رائعاً بحق. هل تفضلين في المرة القادمة التي أخطط فيها لشيء مثل هذا أن أشرح لك قبل أن نغادر ما سنفعله وما توقعينه؟" أنت قلت لي أيضاً إنها لم تجهز الأطفال عندما أتيت لاصطحابهم وحتى أنهم أحياناً لا يكونون موجودين. هذا أمر مثير للغيظ، لكن الأم صاحبة حق الحضانة تمتلك الكثير من النفوذ، عليك أن تجد طريقة لتقبل ذلك أو ستعيش في حالة مستمرة من الغضب والمرارة.

"مرة أخرى، عد إلى بعض من تلك العبارات الهادئة والمهدئة. بدلاً من الإعلان عن غضبك، خذ نفساً عميقاً وقل "أنا أقدر ما فعلينه حقاً يا بيفرلي لكن إذا كنت تستطيعين تجهيز الأطفال عند وصولي. هل هناك أي شيء أستطيع القيام به لتسهيل الأمر عليك؟" أنا لا أستطيع التنبؤ بردها، لكنني أعدك بأن شعورك بأنك ضحية سيقُل".

الإستراتيجية الثانية : الاستعانة بالمبتز كحليف

عندما يصل الابتزاز العاطفي إلى طريق مسدود، من المفيد في كثير من الأحيان أن تغير مجرى الحديث عن طريق إشراك الشخص الآخر في عملية حل المشكلة التي تقوم بها. فطلب المساعدة أو اقتراحات أو معلومات يمكن أن يفتح إمكانات لم تفكر فيها، وبحكم الطبيعة الإنسانية فإن الطرف الآخر سيكون أكثر سعادة في أن يساهم في تنفيذ القرار إذا شارك في اتخاذه من

البداية؛ وذلك أكثر من سعادته إذا لم يشارك فيه من الأساس. إذا بدأت حديثك مع الطرف الآخر بفضول ورغبة في التعلم، فإنه يمكنك أن تغير بسرعة نبرة الحوار الذي بدأ يتدهور إلى عبارات من الهجوم والدفاع. الأسئلة التالية يمكن أن تساعدك على التخلص من الكثير من العداء والتوتر:

- هل يمكنك أن تساعدني على فهم سبب أهمية هذا الأمر بالنسبة لك؟
- هل يمكنك اقتراح بعض الأشياء التي يمكننا القيام بها لحل المشكلة؟
- هل يمكنك مساعدتي على إيجاد بعض الأشياء التي يمكننا فعلها لتحسين علاقتنا؟
- هل يمكنك مساعدتي على فهم سبب غضبك/ انزعاجك الشديد؟

بالإضافة لذلك، فإنني أنصح بما أطلق عليه أداة التساؤل، وهي تبدو مثل شيء يجب الإعلان عنه على التليفزيون. وهي في الواقع إستراتيجية لتشجيع الطرف الآخر على التخيل معك كيف سيبدو التغيير والطريقة التي قد تحل بها المشكلة.

قدم أداة التساؤل مع عبارات مثل:

- أنا أتساءل ماذا سيحدث إذا...
- أنا أتساءل ما إذا كنت تستطيع مساعدتي على إيجاد طريقة ل...
- أنا أتساءل كيف يمكننا فعل ذلك بشكل أفضل/ القيام بهذا العمل.

عندما تتساءل مع شخص ما، فأنت تفتح طريقاً أمام الخيال بل وحتى تمهد لحس المزاح - وعدم الدفاعية في أكثر حالاتها متعة. لا يستمتع الناس بتعرضهم لهجوم، لكنهم عادة ما يكونون مستعدين لمساعدة شخص ما على حل مشكلة معينة.

الاستماع للحلول

كانت علاقة "ألن" مع "جو" أقل تعقيداً بكثير من علاقته مع "يفرلي"؛ ذلك بأن "ألن" و"جو" أحبا بعضهما وأرادا أن يظلا معاً. لكن كان "ألن" يجاهد لإيجاد طريقة للتعامل مع احتياج زوجته الجديدة له. بعد أن حاول لعدة أيام أن يخبرها بأنه سيضطر لقضاء بعض الوقت بعيداً عنها من أجل العمل، جاء لرؤيتي، بحثاً عن مساعدة للعثور على حل.

لا أعرف ما الذي يمكنني فعله كي لا تصاب "جو" بالذعر عندما أقوم بهذه الرحلة. فلن يجدي نفعاً في حالتي أن أقول: "أنا لا أهتم بما تشعرون. ولا أهتم بغضبك. عليّ أن أقوم بهذه الرحلة". حينئذ لن تكون لديّ رحلة لأقلق بشأنها فقط، بل زوجة باكية أيضاً.

أخبرت "ألن" بأنه ربما يكون قادراً على التقليل من ضغط تقديم قراره لـ "جو" بأن يسألها عما قد يقلل من مخاوفها المتعلقة بتركها وحدها. وذكرته بأنها ليست مهمته أن يعالج "جو" أو يتعامل مع الصدمات المبكرة في حياتها التي جعلتها اتكالية للغاية. كان عليها أن تفعل ذلك بنفسها لكي يكون زواجهما عبارة عن شراكة وليس علاقة أب مسئول عن ابنة. وفي هذه الأثناء يمكن أن يجعل منها حليفة؛ ولذا، تدريباً على الطريقة التي قد يستخدم بها "أنا أتساءل" و"أنا أحتاج لفهم ما يمكنني فعله" لدفع "جو" على المساهمة في دعم قراره بدلاً من أن تضغط عليه لتغييره.

قال "ألن": "حسناً، ما رأيك في" جو، يجب أن أقوم برحلة لسان فرانسيسكو لعدة أيام، وقبل أن تغضبي، أنا أتساءل ما إذا كنت تستطيعين مساعدتي على فهم السبب وراء عصبيتك عندما أبتعد عنك لبضع ثوانٍ".

قلت: "لا يا ألن، لن نحاول أن نصفها بأي شيء هنا، بل سنحصل على معلومات وحسب. ربما يكون لديها مقترحات لتحسين الأمور، ولذا اسألها. ما رأيك في: "جو، يجب أن أقوم برحلة عمل إلى شمال البلاد لبضعة أيام. وأنا أعرف أنك تتلقين عندما نفترق، لكن هذه رحلة مهمة، وأنا أتساءل عما يمكنني فعله كي تشعري بالارتياح تجاه سفري".

عندما يضع "الن" هذه المعضلة في طريقها، سيدرك "الن" مشاعر "جو"، دون أن يهينها أو يترك الباب مفتوحًا لاحتمالات عدم سفره.

كان الأمر أكثر سلاسة مما تصورت. قلت ما عملنا عليه، وبمجرد أن سألتها عما يقلل شعورها بالتوتر تجاه الرحلة قالت "خذني معك" أخبرتها بأنه لن تكون لديّ مشكلة في ذلك، لكنني قلت أيضًا إنها ستكون رحلة عمل، وليست إجازة، وإنها على الأرجح ستقضي الكثير من الوقت وحدها نظرًا للاجتماعات الكثيرة التي سأحضرها. في البداية، قالت إنه لا بأس في ذلك؛ فهي تحب الفنادق، لكنها لاحقًا قالت إنها فكرت في الأمر، وإنها ستكون أكثر ارتياحًا في المنزل. ولذا، كان اختيارها بأن تظل في المنزل. لكنها أرادت أن أتصل بها كل ليلة. يا إلهي، لقد شعرت بارتياح كبير. لم نحل أية مشكلة من قبل بهذه الطريقة - فقد كان المنطق في حياتنا دائمًا إما كل شيء أو لا شيء.

ما تغير هو قرار "الن" بأن يفعل ما يحتاج لفعله ويعمل مع "جو" لوضع مشاعرها في الاعتبار. وقد وجدنا حلاً مقبولاً من الطرفين والذي ربما كان "الن" سيتقاضى عنه أو يكون عازفًا عن اقتراحه ما لم يكن راغبًا في التحالف مع "جو" بدلاً من محاربتها.

طلب المساعدة من المدير

استخدمت "كيم" مجموعة متنوعة من الأساليب غير الدفاعية لتخبر مديرها "كين" بأنها تريد منه أن يتوقف عن استخدام المقارنات السلبية وبأنها تحتاج لتقليل عبء العمل حفاظًا على صحتها. وقد أعجبت كثيرًا بفكرة الاستعانة به كحليف والسبب كما تقول:

أنا لست في موضع يسمح لي بسن قوانين وفرض إرادتي، لكن يمكنني القيام بما يفترض بنا فعله في هذه المواقف - أن أكون لاعبة فريق جيدة. كنت أعتقد أن ذلك يعني أن تفعل ما يطلبه الجميع، مهما كان الثمن، لكنني بدأت أفكر في الأمر بشكل أكبر على أنه عمل جماعي حقيقي، وأن أفعل أقصى

ما يوسعي وأشارك عندما نكون مضغوطين في العمل وأخفف من الأعباء عندما أحتاج لذلك من أجل حياتي الشخصية وصحتي.

أرادت "كيم" أيضًا أن تضع نهاية لأساليب ضغط "كين"، وقد توصلنا لهذه الطريقة لمفاتحته في الأمر:

"كين"، ربما قد لا تكون مدركًا لذلك، لكنني لاحظت أنك تقارنتني بـ "ميراندا" باستمرار. في الماضي، كانت تلك الطريقة فعّالة للغاية لدفعي لفعل ما يتجاوز إمكانياتي؛ ولكن ذلك لم يعد يجدي نفعًا. سأقدم لك ١١٠٪ وسأفعل أقصى ما أستطيع دون أن أتسبب في إيذاء نفسي: لأنني أريد ذلك ولأنني أحب هذه الوظيفة بحق. أنا سعيدة لأنك تحترمني وأنا بالتأكيد أحترمك. لكن توقف من فضلك عن ممارسة لعب الصبي الجيد والصبي السيئ معي. نحن شخصان بالغان، وأنت لست أبي وأنا لست ابنتك؛ فأنا أكبر منك بثلاث سنوات بحق الله. و"ميراندا" ليست أختي، ولذا فإنني أرفض هذه العائلة المختلة.

بالنسبة لـ "كيم"، كما بالنسبة لأي شخص بارع في الكتابة، يبدو أن كلماتها تخذله عند المواجهة اللفظية مع شخص ما، ومن الضروري أن تتدرب. فاستمعت بصديقة لتستمع لها ولتتدرب معها لعبة تقمص الأدوار، وتدربت بصوت عالٍ في السيارة، وحصلت على مساعدة من زوجها - وحفظت ما ستقوله عن ظهر قلب.

الإستراتيجية الثالثة : المقايضة

عندما تريد من شخص آخر أن يغير سلوكه لكنك في الوقت نفسه تقر بأنك تحتاج لإجراء تغييرات لسلوكك، فربما يكون من الملائم إجراء عملية مقايضة. إن معظمنا يجرون مقايضات منذ أن كنا أطفالاً - بطلان من أبطال الرسوم المتحركة مقابل كتاب، شطيرة التونة مقابل شطيرة زبدة الفول

السوداني والمربي - حيث نتخلى عن شيء ما للحصول على شيء آخر مساوٍ له في القيمة. الشيء العظيم في المقايضة لتقليص الابتزاز العاطفي هو أن المقايضة تقضي على فكرة أن يقع عبء التغيير بالكامل على كاهل شخص واحد. ففي المقايضة، لا يوجد عطاء دون أخذ؛ ومن ثم لا يوجد خاسرون في هذه العملية.

لقد رأيت قوة المقايضة لإخراج الأشخاص من مأزق الابتزاز العاطفي عندما جاء الزوجان "مات" و"إيمي" إلى مكتبي قبل بضعة سنوات. كانت "إيمي" غاضبة من "مات" بسبب تجاهلها.

هو يعماءلني كأنني غير مرئية. فيستيقظ ويذهب إلى العمل ويعود إلى البيت على العشاء وبالكاد نتحدث، ثم يجلس أمام التلفزيون إلى أن يحين وقت النوم. ولم يلمسني منذ أسابيع، ولم أشعر بمثل هذه الوحدة في حياتي.

قال "مات" من جانبه إن المشكلة في الواقع هي وزن "إيمي":

هذه ليست المرأة التي تزوجتها. أعتقد أن هوايتها هي الأكل، وأعتقد أنه يمكنك ملاحظة أنها أصبحت ضخمة للغاية بسبب تناولها الكثير من الطعام. وأنا لا أجد ذلك جذاباً على الإطلاق. هي تقول إنني أتصرف كأنني غير منجذب لها وهي محقة - أنا غير منجذب لها وهذا بسبب الوزن. وأنا لن أتظاهر بأن الأمر لا يشكل فارقاً بالنسبة لي.

لقد تدهورت علاقة "مات" و"إيمي" حتى وصلت إلى "إذا لم تجد طريقة تبدي بها المزيد من الحب، فساأتركك" من جانبها، ومن جانبه "إذا لم تقمدي بعض الوزن، فساأستمر في معاقبتك عن طريق الانسحاب". وهما لم يتلفظا بهذه التهديدات صراحةً، لكنهما لم يكونا بحاجة لذلك - فإن سلوكهما جعل مشاعرهما واضحة كأنهما يتحدثان عبر مكبرات صوت.

كانت "إيمي" تأكل بشراسة لأنها شعرت بأنها مهملة، وقال "مات" إنه كان يهملها لأنها كانت تأكل كثيراً. كانا عالقين، وأحدهما يلوم الآخر على تعاسته؛ ولذا، عقدت مقايضة: ستبدأ "إيمي" في اتباع حمية غذائية من

الغد، وسيخصص "مات" نصف ساعة بعد وصوله البيت كل ليلة ليتحدث معها وليعيد جسور التواصل من جديد. وبالنطبع، لم تقلق "إيمي" من وزنها بين عشية وضحاها، ولم يصيح "مات" خبيراً في التواصل على الفور، لكنهما استطاعا تحقيق تقدم مهم نحو الخروج من الطريق المسدود الذي كانا فيه - وفي النهاية نحو تحسين علاقتهما.

لا أحد يجب أن يبدو أو يشعر كأنه يستسلم، ونفورنا من الحلول أحادية الجانب يمنع الكثير منا من اتخاذ الخطوة الأولى نحو حل النزاع. ولكن المقايضة تخلق موقفاً مربحاً للطرفين بسهل على الجميع تقبله. وهي أيضاً تستبعد قوة أخرى تمنعنا من حل المشكلات مع شخص ما - الإحساس بأن الطرف الآخر ظلمنا وأنا غاضبون منه وأنه يجب أن يعاني جراء ذلك. فلا نتحرك قيد أنملة من أجله لأنه يجب أن تتم معاقبته بأقصى العقوبات. ولكن إحساسنا بأننا حصلنا على شيء ما من الطرف الآخر ينحني بطريقة ما غضبنا جانباً على نحو أيسر.

تعد المقايضة إستراتيجية فعالة جداً لأنها تسمح لكلا الطرفين بالحصول على ما يريده دون اللوم والهجوم المعتادين في معظم الصراعات.

الخروج من الطريق المسدود

لقد أتاحت المقايضة لـ "لين" و "جيف" أن يتخلصا من أساليب الضغط التي كان كل منهما يوجهها نحو الآخر. وقد اتفقا في النهاية أن المشكلة التي يبحثن عن حل في زواجهما هي التفاوت في مواردهما المالية، وهو شيء لا تزال "لين" على وجه الخصوص تجد صعوبة في تقبله. لكن عندما جلسا في مكتبي وتحدثا مع بعضهما، بدأ في رؤية بعضهما البعض كبشر مرة أخرى بدلا من مجرد أشياء تبعث على الغضب. وقدم كل منهما عرض مصالحة، وبذل كل منهما ما في استطاعته حتى لا يكون دفاعياً. بدأت "لين" قائلة:

أعرف أن مسألة المال هذه هي شيء أحتاج للعمل عليه أكثر. كنت أعتقد أنه لا مشكلة لدي في هذا، وقد عقدنا اتفاقاً عندما اجتمعنا بأنني لن أمنعك منك وأعاملك كطفل يحصل على مصروف أو شيء من هذا القبيل؛ ولذا،

سأحترم هذا الاتفاق. ما أريده منك يا "جيف" هو أن تعدني أنه عندما يستجد شيء ما مثل شراء شاحنة جديدة، سننظر في الموارد المالية معاً ونتخذ قراراً بناء على ما نعتقد أننا نستطيع تحمل تكاليفه. وبعبارة أخرى، لا مزيد من الضغوط التي مفادها أنك ستختفي إذا لم تحصل على ما تريده. أنا أحتاج لفهم سبب رحيلك دون أن تخبرني إلى أين أنت ذاهب في حين أنك تعرف أن هذا يصيبني بالجنون.

أجاب "جيف":

أحياناً أشعر بغضب عندما أضطر للتوسل إليها للحصول على شيء أحتاج إليه لدرجة أنني أشعر بأنه يجب أن أخرج من المنزل وإلا فسأقوم بشيء أندم عليه. عليّ أن أروح عن نفسي، وعندما أغادر، لا أعرف كم من الوقت سأستغرق لأهدأ. أنا حتى لا أعرف إلى أين سأذهب في أغلب المرات.

ردت "لين":

أعرف مدى الغضب الذي شعرت أنت به بسبب سلوكي المتعلق بالمال. أنا أعتذر عن ذلك وأعدك بالعمل على تحسيته. أعرف أنه إذا واصلنا الحديث في هذا، بدلاً من كبتي لمشاعري والتنفيس عنها بشكل يجرحك، يمكننا حل مشكلة المال. لكنني أريد منك أن تخبرني على الأقل بأنك ستفادر بدلاً من الاختفاء فجأة، وأحتاج منك أن تعطيني إطاراً زمنياً بشأن الوقت الذي ستعود فيه. أعرف أنك لا تعرف دائماً، لكن حاول من فضلك. وعندما تعرف، يمكنك أن تتصل بي وتخبرني بمكانك ومتى ستعود. فهذا سيجعلني أشعر بتحسن كبير.

قال "جيف":

أنت تعرفين أنني أحبك وأنتي من أذهب لأي مكان لمدة طويلة. لكن إذا كان ذلك سيساعدك فسأكون محدداً بشأن المكان الذي سأذهب إليه والمدة

التي سأغيبها. وربما قد حان الوقت لإعادة التفكير في شؤوننا المالية. أريد أن ننظر فيها سوياً معك - أجد التعامل مع المال أكثر مما تظنين - وأعرف أن هناك أشياء يمكنني القيام بها لجني بعض المال الإضافي. لطالما فكرت في تدريب الخيول في الوادي، لكنني كنت غاضباً منك لدرجة أنني لم أزد حتى ذكر ذلك. وكنت أعتقد أنك ستسخرين مني لأن ما سأجنيه من مال سيظل أقل مما تجنيه أنت - ربما إلى الأبد.

لا يزال لدى "جيف" و"لين" الكثير من الكلام والاستماع والتفاوض ليقوما به، لكنهما من خلال المقايضة قد أرسيا القواعد لفعل ذلك.

الأفعال، لا الكلمات!

"شيري" - التي هددها رئيسها وحببها "تشارلز" بطردها عندما قررت أن تنهي علاقتهما الغرامية - قررت أن تطلب ثلاثة أشياء منه في مقايضة تحمل مزايا لكل منهما: رفض الاستمرار في العلاقة أمر غير قابل للتفاوض تحت أي ظرف من الظروف؛ إذ كان ذلك أمراً متعلقاً بالنزاهة الأساسية. لكنها عرضت أن تبقى في وظيفتها إلى أن تنهي المشروعات التي تعمل عليها وساعدت "تشارلز" على تعيين وتدريب البديل لها. وفي المقابل، طلبت اعتذاراً من "تشارلز" لتمرره عليها واتفقاً بأن تظل التعاملات بينهما متحضرة.

كنت خائفة حقاً من أن يطردني في الحال، لكنني تدرت كثيراً لأتأكد من أنني أعرف ما أريد قوله، وأعتقد أنه فوجئ من عدم خوفي منه. في البداية، بدا أنه يريد أن يقول "لا علاقة حميمة، لا وظيفة"، لكن عندما قلت إنني لا يمكنني أن أساوم على تلك النقطة، تراجع. وقال لي: "لا أعرف إذا كنت أستطيع تحمل رؤيتك كل يوم. أنا لذي مشاعر أيضاً - فهي لم تكن مجرد علاقة عابرة". فقلت ربما يمكننا أن نحاول ونرى كيف يبدو الأمر، وقال إننا يمكننا القيام بذلك. أظن أنه من المفيد أن أقدم شيئاً، وأنتي لم أذهب إليه وأنا أنوي التعارك معه. أنا أعمل على بعض الأشياء التي سيكون من الصعب تسليمها إلى شخص جديد، وهو يعرف أنه سيكون من الأفضل أن يدعني أنتهي منها بدلاً من طردني.

ولكن تصرف "تشارلز" لم يعكس الاتفاق الذي عقده مع "شيرى".

أصبح الموقف صعباً للغاية؛ فقد كان ينتقدي بشدة أمام العملاء، ولا يفوت فرصة لإهانتي أو إحباطي. هو لا يقوم بدوره في الاتفاق ولا أعرف كيف أتصرف.

أخبرت "شيرى" بأن الشيء الوحيد الذي يجب أن تفعله في موقفها هو أن تعود إلى "تشارلز" وأن تخبره بأنه لا يقوم بما وعد به. الكلمات ليست كافية، ويجب دعمها بفعل. يجد الكثير من المبتزين عاطفياً سهولة في الاعتذار وقول إنهم سيجرون تغييرات، لكنهم يجدون صعوبة أكبر بكثير بخصوص الوفاء بوعودهم؛ ولذا، من المهم تذكيرهم بكلمات مثل: "بيننا اتفاق، وسأكون ممتناً إذا حافظت على القيام بدورك في الاتفاق". واجهت "شيرى" "تشارلز" بطريقة مهذبة وغير دفاعية:

قلت له: "لعلك تدرك كم أن تعليقاتك جارحة، لكني أريد منك أن تتوقف عن قولها". وبالطبع، لم يسأل عن أي تعليقات أقصد؛ فهو يعرف ما كنت أتحدث عنه. وحينئذ ابتسم ابتسامة باهتة وقال "لقد كنت إنسانة لطيفة قبل ذهابك للمعالجة..."

حتى في حالة مثل حالة "شيرى"، والتي يكون الهدف النهائي فيها هو تخليص نفسك من موقف صعب، من المهم أن تكون حذراً وأن تلزم الطرف الآخر باتفاقاته معك طالما أنك تتعامل معه.

الاستراتيجية الرابعة: استخدام الدعاية

في العلاقات الناجحة، يمكن للدعاية أن تكون أداة فعّالة لتوضيح للطرف الآخر كيف يبدو سلوكه بالنسبة لك. دعني أعطك مثالين:

في أحد الأيام عندما كانت "باتي" تشتكي إليّ من معاناة "جو"، قالت: "يا إلهي! يجب أن يُعطي الرجل جائزة الأوسكار: أفضل ممثل رئيسي في دور المُعاني".

سألتها: "لم لا تفعلين ذلك؟".

أعجبت "باتي" بالفكرة لدرجة أنها ذهبت إلى متجر الجوائز واشترت تمثالاً يشبه تمثال الأوسكار. وفي المرة التالية التي دخل فيها "جو" في حالته المعتادة من العيوس والتنهّد، ابتسمت له ابتسامة كبيرة، وصفقت وقدمت له جائزته. قلت له: "كان ذلك رائعاً". ثم قلت: "أعجبتني كثيراً التهنيدة الصغيرة في النهاية". أخبرتني "باتي" بأن الموقف بدا فجأة سخيلاً لدرجة أن كليهما انفجرا ضاحكين - ولم يستطيع "جو" أن يعاني بشكل فعّال منذ ذلك الحين.

كانت علاقة "سارة" بـ"فرانك" متوترة ولكن لم تنهر، وقد قررت "سارة" أن الدعاية قد تجذب انتباهه، فأحضرت طوقاً قديماً كان موجوداً في دولاب المعاطف، وفي المرة التالية التي وضع فيها "فرانك" شرطاً لإتمام زواجهما، قالت: "هل يمكنك أن تمسك بهذا الطوق بينما أقفز من خلاله".

سألها: "لماذا كل هذا؟".

قالت: "حسناً، يا حبيبي، لقد لاحظت كيف يروك أن تجعلني أقفز عبر الأطواق لأثبت نفسي لك. هل تعتقد أنه يمكننا الحديث عن هذا؟".

قال "فرانك": "عن أي شيء نتحدثين؟ أنا لا أفعل ذلك".

"أنا متأكدة أنك لا تدرك ذلك، وأنا أعرف أنك تحبني، لكن الأمر يبدو كأنه سلسلة لا تنتهي من الاختبارات بالنسبة لي".

قال: "أطواق، هه؟ حسناً لننحدث في هذا".

ثم قالت "سارة": "ابتسم لي تلك الابتسامة التي أعشقتها وقال "لكن قيل أن نتحدث بجدية، هل تعتدين أنه يمكنك القفز عبر ذلك الطوق الصغير أولاً". وقد خفف هذا حقاً من حدة الموقف".

لا يوجد ما هو أكثر حميمية من مشاركة نكتة لا يفهمها سوى الطرفين. فالدعاية هي رابطة بين الأشخاص، وتذكر التجارب المرحة يمكن أن يكون

جزءاً من نسيج علاقة قوية. إن استخدام الدعاية لإثارة مسألة مع المبتز يمكن أن يضع كليهما في حالة استرخاء ويذكركما بمدى استمتاع أحكما برفقة الآخر - ويكون بمثابة رسالة تذكير قوية بالشعور بالارتياح الذي ينتابكما وأنتما مع بعضكما. الدعاية علاج؛ فهي تخفض ضغط الدم، ويمكن أن تنزع الحدة من مواجهة يُتَوَقَّع أن تكون محترمة مع شخص تواجهه معه صعوبات.

إذا أصبحت الدعاية جزءاً منتظماً من كلامك وتتقبلها بارتياح، فستكون بمثابة طريقة رائعة للتعبير عن نفسك. وأنا لا أضمن أن تكون أسوياً ناجحاً في كل الأوقات، لكنها بالتأكيد ستجعلك أقل تهماً بكثير.

تقييم النتائج

لا توجد طريقة يمكن بها معرفة الطريقة التي سيستجيب بها الطرف الآخر إلى أن تعبر عن مشاعرك وتضع الحدود التي تريدها في علاقتك. وعلى مدار السنوات التي زارني فيها أشخاص عرضة لابتزاز للحصول على استشارات مع من يبتزونهم، كنت كثيراً ما أدهش ممن يستجيب لطلبات التغيير. فالأشخاص الذين لا أتوقع الكثير منهم عادةً - بسبب أنهم يبدو غاضبين أو قاسين أو منحطين - كانوا في الواقع مستعدين تماماً للمشاركة في تقوية علاقاتهم. وأحياناً هؤلاء الذين يبدو ودودين ومرنين يتضح أنهم منغلِقون ودفاعيون وغير مراعيين على الإطلاق لاحتياجات الأشخاص الذين يستهدفونهم.

نتيجة إيجابية

كان "مايكل" مثلاً بارزاً على شخص ما استجاب على النقيض تماماً مما كان متوقعاً منه. على الرغم من أن "ليز" كانت خائفة من حدوث انفجار عندما قدمت شروطها له، لكنها ابتهجت بما دار بينهما من حوار.

فكرت كثيرًا فيما سأفعله بعد أن كتبت ذلك الخطاب. هل يجب أن أعطيه له وأترك المنزل لبعض الوقت أو أذهب إلى مكتبه وأتركه هناك، وأتركه في مكان يستطيع "مايكل" العثور عليه فيه؟ وقررت في النهاية أن الشيء الذي سيكون مريحًا أكثر بالنسبة لي - لأنني كنت لا أخشى من اعتدائه بدنيًا عليّ - هو أن أجلس معه وأطلب منه أن يسمعي بينما أقرأ الخطاب له.

حاولت "مايكل" أن يقاطعني عدة مرات، لكن لا بد أن هناك شيئًا ما قد أثر فيه لأنه أصبح هادئًا للغاية ولا حظت أنه كان يتصت إليّ باهتمام شديد. استطعت أن أرى للحظات قليلة الرجل الذي أحببته يجلس قبالي بدلًا من ذلك المتمتر المتحكم. ثم دافع عن نفسه وهاجمني قائلاً: "لم يكن لأي من هذا ليحدث إذا لم تهددني بالانفصال. لم تكن الأمور لتصل إلى تلك المرحلة لو لم تقلبي عليّ بتلك الطريقة". شعرت بأنني أريد أن أصرخ في وجهه، لكنني قلت: "مايكل، أنا غير مستعدة لتحمل أكثر من ٥٠% من المسؤولية".

هدأ "مايكل" وقال: "أظن أنني لم أرغب في الاعتراف بأنني كنت أجرحك. لماذا لم تخبريني؟" أنا لست ساذجة، وأعرف أن الأمر سيسغرق بعض الوقت لإصلاحه، لكن الشيء الأكثر إثارة هو أن "مايكل" وافق على الحصول على علاج. إن مزاجه سريع التقلب يعد مشكلة حقيقية، وأعتقد أنه يرى أن روتين "أنا طرزان، وأنت جين" لم يعد يجدي نفعًا.

وعلى غرار الكثير من المبتزين، فإن "مايكل" كان متفاجئًا بمدى تأذي وخوف "ليز". لقد سمعت مرات كثيرة أشخاصًا ممن لجأوا إلى الابتزاز العاطفي يقولون "لماذا لم تخبرني هي؟" أو "لو كنت أعرف كم سيكون سلوكي مؤذيًا له، لكننا أنقذنا الأمور قبل أن تسوء". هذه ليست مراوغة، فالمبتزون في حالات كثيرة لا يكونون مدركين مدى الأثم الذي يسببه سلوكهم وضغطهم؛ لأن ضحاياهم كانوا خائفين أو غاضبين أو محبطين لدرجة تجعلهم لا يخبرونهم لأنهم يعتقدون أن ذلك لن يفيد بشيء. وبعبارة أخرى، لعلك لم تكن بصوت عال بما فيه الكفاية.

نحن كثيراً ما نمنع أنفسنا بتحذيرات مثل "لا تكن شكّاء" أو "لا تشعر بالأسى على نفسك". بعض الأشخاص - الرجال بالأخص - يريدون أن يبدووا أقوىاء وواثقين ولا يريدون أن يبدووا أنهم تعرضوا للأذى بسهولة. ولذا لا نعبر عن مشاعرنا، ولا نقول "أنت تؤذيني؛ فتوقف عن هذا رجاء".

لا تندهش إذن من اندهاش الطرف الآخر من مشاعرك. ومهما كانت استجابته، صمم على أن تواصل الحديث والتعبير عن نفسك بصراحة واستخدام التواصل غير الدفاعي، ثم راقب ما سيفعله الطرف الآخر بالمعلومات الجديدة التي قدمتها.

الاعتذار ليس كافياً

كما أخبرت "ليز"، أنه بعد مناقشة صريحة مع الطرف الآخر نحن نحتاج لمعلومات لا نعرفها إلا بمرور الوقت. وقد قلت لها: "هذا وقت يبشر بالأمل بالنسبة لك، وأنا متحمسة لما سيحدث لك وسعيدة لأن ما يكل سيحضر جلسات العلاج. أتمنى ألا يكون هذا شهر غسل وحسب، ولكي نتأكد من أن الأمور تسير في مسارها الصحيح، سنحتاج إلى الاستمرار في إعادة تقييم الأمور".

في كثير من الأحيان، نتحمس للرد المبدئي من جانب الطرف الآخر ونؤمن بأن الصراع في سبيله إلى الحل لأن الطرف الآخر وافق على شروطنا موافقة شفوية. وفي أحيان أخرى، قد نلاحظ أن الوعود تُنسى والعادات القديمة تظهر من جديد. ومع ذلك، لا نرغب في التحول إلى كلاب حراسة في علاقاتنا بالآخرين، ولكن يجب أن نلقي نظرة واقعية إلى ما تغير بالفعل وإلى أي مدى يتناسب مع ما نريده ونحتاج إليه.

ولهذا السبب من المهم أن نرجى خطوة اتخاذ قرار بخصوص الإجراء النهائي حتى نرى ما سيفعله الطرف الآخر. عندما تأخذ قراراً مهماً بخصوص تحديد مستقبل العلاقة، أمهل الطرف الآخر وقتاً - في رأيي من ٣٠ يوماً إلى ٦٠ يوماً - ولاحظ الاستجابات السلوكية والشفوية على حد سواء. لا يكفي أن تسمع الطرف الآخر يقول: "أنا آسف... دعنا لا نتحدث عن هذا الموضوع مطلقاً".

إذن، ما الحد الكافي؟

١. تحمل مسئولية الاستعانة بالشعور بالخوف والالتزام والذنب لتحقيق رغباتهم.
٢. الاعتراف بأن هناك أساليب أفضل ليطلبوا ما يريدونه والتعهد بالالتزام بأنهم سيتعلمون هذه الأساليب.
٣. الاعتراف بأن أسلوبهم لم يكن ينم عن الحب وتسبب في شعورك بالألم.
٤. الاتفاق معك على مناقشة كيفية إقامة علاقة صحية أكثر، وهو ما قد يتضمن السعي للحصول على مساعدة خارجية إن لم تتمكننا من التوصل لحل المشكلات فيما بينكما.
٥. الاستعداد على الاعتراف بأحقيتك في التفكير والشعور والتصرف بطريقة تختلف عن طريقته، مع الاتفاق على أن الاختلاف لا يعني أن تلك الطريقة "خطأ" أو "سيئة".
٦. الالتزام بالتخلص من الأساليب الباعثة على نثر الضباب والتي كانوا يستخدمونها فيما مضى (وأقصد هنا أنه لا مجال للمقارنات السلبية، لا مجال للتهديدات بالهجر إذا لم يحصلوا على ما يريدون، لا مجال لإشعارك بالذنب وهكذا).

إن تغيير السلوكيات المتأصلة - داخلك وداخل المبتز - يستغرق وقتاً وجهداً. أعط لنفسك وللطرف الآخر وقتاً مناسباً.

ستكون أقوى

من المخيف أن تقول للطرف الآخر: "هذه طبيعتي. وهذا ما أريده"، ولكن المخيف أكثر أن ندعم حقيقة أنفسنا - نزاهتنا - كما ينبغي أن نفعل حين نمنح الطرف الآخر الاختيار بين قبول أو رفض قراراتنا واختلافاتنا. ربما ينتابنا شعور بأن التعبير عن احتياجاتنا أشبه بإصدار الأوامر، ولكن تذكر أن

ما تطلبه من المبتز طلب معقول ومنطقي تماماً؛ أنت تريد أن يكف الطرف الآخر عن التلاعب بك. ومن ثم، فأنت لا تطلب أي شيء سيؤذيك أو يؤذي الطرف الآخر.

يؤجل الكثيرون عملية إبلاغ الطرف الآخر بقراراتهم لأننا نخشى العواقب كثيراً. ولكن تمهل دقيقة وسل نفسك: ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث؟ أحد المخاوف الشائعة هو تصدع العلاقة بلا أمل في إصلاحها. ولكن الأسوأ هو تداعيات عدم الدفاع عن نفسك، لأنك ستجد نفسك مشتتاً في صراع. ومع مرور الوقت، ستقل معرفتك بنفسك وشخصيتك وما تريده وما تؤمن به. ثم تتحول إلى إنسان أجوف.

إذا كان بقاء أية علاقة يتوقف على الاستسلام دوماً للابتزاز العاطفي، يجب أن تسأل نفسك إذا كانت العلاقة تستحق تهديد سلامتك ومصالحك الشخصية. فإذا كنت تزداد قوة وصحة وثقة، والطرف الآخر لا يعجبه هذا الأمر، فما الذي ينبئك به هذا عن العلاقة التي تحاول إنقاذها بكل جهدك؟ ما الأساس الذي تركز إليه هذه العلاقة؟

في هذا الفصل، ألقينا نظرة على عدة علاقات تحسنت وأخرى لم يكتب لها البقاء. ولكن في كل حالة من الحالات، تحرر الأشخاص المستهدفون من الابتزاز العاطفي واستعادوا إحكام قبضتهم على نزاهتهم التي لا تُقدر بثمن. لا أحد يستطيع توقع ما سيحدث حين تشرع في التغيير، ولكن أعدك إذا استعنت بهذه الإستراتيجيات وواجهت الابتزاز العاطفي بدلاً من الاستسلام له، ستزداد قوتك وسعادتك، مهما كانت النتائج.

عبور الضباب

إذا بدأت في استخدام الأدوات التي أعطيتك إياها في الفصل الأخير، فأنت تضع طرقاً جيدة فعّالة للتواصل والتصرف. والآن سأبين لك كيف تفصل أهم مشيرات الاستجابة لديك.

ولعلك قد حققت بالفعل قدرًا من النجاح في مقاومة ضغط شخص ما، وربما ترى الآن تغيرات في نفسك وفي العلاقة. فأنت تتذوق الرضا والإحساس المتجدد بالطاقة النابعين من إعادة الشعور بنزاهتك. ولكن ربما تكون قد لاحظت أن كثيرًا من المشاعر القديمة نفسها من الشعور بالخوف والالتزام والذنب التي ابتليت بها في الماضي لا تزال تتتابك. فالأمر يبدو كأن هناك مبنى جديدًا براقًا يتم تشييده بدلاً من آخر قديم. ولكن المستأجرين المزعجين الذي عاشوا دائماً في القبول لا يريدون ترك المكان.

ليس هناك ما تقلق بشأنه. المشاعر لا تتغير بالسرعة نفسها التي تريد تغيير هذه المشاعر بها؛ فلك المشاعر كانت تتتابك منذ وقت طويل، واستغرقت أعوامًا لتصبح مشيرات استجابة، وهي لن تسمح لك بطردها دون الدخول في معركة معها، لكنها معركة أنت من سينتصر فيها. وأنا سأبين لك

طرقاً عملية مباشرة للتقليص من الأذى والحساسيات الدائمة التي جعلتك عرضة للابتزاز العاطفي.

تذكر: على الرغم من أنني أوضح معظم هذه الإستراتيجيات من خلال عملي مع آخرين، فإن جميع التدريبات وتقمص الأدوار والمهام المنزلية مصممة لتقوم بها بنفسك.

مشاعر قديمة، استجابات جديدة

بالنسبة لمن قرأوا كتبتي الأخرى، وبالأخص كتاب *Toxic Parents*، فلعلهم يتفاجئون بأن الجهد الذي نقوم به هنا لا يتضمن في كل الحالات العودة إلى التجارب التي تشكل السبب الجذري في الكثير من نقاط ضعفك. ولكننا سنركز بدلاً من ذلك على تغيير استجاباتك لتلك التجارب. نحن جميعاً نحمل بالتأكيد آثار ماضينا، ومعظمنا لديه على الأقل قدر من الوعي بخصوص الطريقة التي تم جرعه بها ومن جرعه. وإذا كنا قد قمنا ببعض الجهد لتحسين أنفسنا، فإننا في الغالب وجدنا الرابط المهم بين ندوبنا العاطفية والطريقة التي نتصرف بها في علاقاتنا مع الآخرين.

لكن ما يبقى بعضنا عرضة للابتزاز هو الطريقة التي "ندعم" بها جروحنا. فتحزن ندمر أنفسنا عن طريق الاستسلام إلى الابتزاز لتجنب الشعور بعدم الراحة بدلاً من تعلم التعامل معه. وهذا يشبه إلى حد كبير التواء كاحلك والاستمرار في العرج عليه لفترة طويلة بعد اضطرارك لذلك لأنك خائف من احتمال شعورك بالألم إذا حاولت السير بشكل طبيعي مرة ثانية. سأشير إلى تجارب معينة من مرحلة الطفولة كما فعلت في الفصل السابق. لكن ما أريد مساعدتك على فعله هو تعلم استجابات جديدة للمشاعر القديمة من خلال البقاء في الوقت الحاضر والتعامل مع الأشخاص الذين يثيرون تلك المشاعر فيك الآن.

لاحظ: قبل أن نبدأ هذا العمل أريد أن أكرر نقطة مهمة: هناك العديد من الحالات التي تتطلب الاستعانة بمساعدة من المتخصصين. فإذا كنت تعاني

حالات اكتئاب متكررة أو قلقًا عائلاً أو تعاطي المنشطات أو تبعات الإساءة البدنية أو العاطفية التي حدثت لك في الطفولة، فهناك الكثير من الوسائل الطبية والنفسية والبيوكيميائية التي لا تتطلب منك إنفاق الكثير من الوقت والمال. لقد غير العلاج النفسي قصير المدى، والأدوية المضادة للاكتئاب الجديدة، وجماعات الدعم، وبرامج الاثني عشرة خطوة، والندوات الخاصة بالتنمية الذاتية وجه العلاج النفسي في العقد الماضي. والمساعدة موجودة لمن يريد لها حقًا.

نبدأ بالمشاعر

من المرجح أنك تعرف ما تفعله عندما يتم الضغط على مثيرات الاستجابة لديك. فربما تسعى لإرضاء الآخرين. أو لعلك قرأت عن متلازمة أتلان وقلت: "هذا أنا". وربما تتجنب الغضب لأنه طاعون. بينما نبدأ هذا العمل الحيوي المتمثل في إزالة الضباب، أريد منك أن تركز على عنصر أو عناصر الضباب التي تشعر بحساسية أكبر تجاهها. قم بعمل جرد سريع عن طريق فحص البنود أدناه التي تطبق عليك.

عندما أستسلم لشخص ما يضغط عليّ، فأنا أفعل ذلك بسبب:

١. أنني أخاف رفضه.
٢. أنني أخاف غضبه.
٣. أنني أخاف أن يتوقف عن الإعجاب بي/حبي وربما حتى يتركني.
٤. أنني أدين له.
٥. أن هذا الشخص قام بالكثير من أجلي ولا أستطيع الرفض.
٦. أن هذا واجب.
٧. أنني سأشعر بذنب شديد إذا لم أفعل ذلك.
٨. أنني سأشعر بأنني أناني/بغيفض/طماع/وضيع إذا لم أفعل ذلك.
٩. أنني لن أكون شخصًا جيدًا إذا لم أفعل ذلك.

ستلاحظ أن أول ثلاث عبارات مرتبطة بالخوف، والثلاث التي تليها بالالتزام والثلاث الأخيرة بالشعور بالذنب. ربما ينطبق عليك معظم هذه العبارات إن لم يكن كلها. وهذا ما حدث مع "إيف" التي شعرت بخوف من رفض الآخرين إذا حاولت تحرير نفسها من اعتمادية "إليوت" الخائفة، وبالالتزام تجاهه لأنه أعطاها مكاناً تعيش فيه ودفع فواتيرها، وبإحساس غامر بالذنب من فكرة هجره.

بالنسبة لأشخاص آخرين، عادة ما ترتبط مشيرات الاستجابة بشعور واحد مسيطر، على الرغم من تداخل الحالات الشعورية الثلاث تداخلاً وثيقاً. فمثلاً، "ليز" لم تكن تشعر تحديداً بالتزام أو ذنب، لكنها كانت خائفة من غضب "مايكل". ستساعدك العبارات المذكورة آنفاً على اكتشاف ما هي مشيرات الاستجابة التي تتبوأ مركز الصدارة بالنسبة لك وما هو عنصر أو عناصر الضباب التي تحتاج إلى العمل عليها من أجل ترسيخ تغيير عميق ودائم.

فصل زر الخوف

يُعد الخوف آلية بقاء أساسية مصممة لإزاحتنا بعيداً عن طريق الضرر، وهو استجابة للخطر نابعة من الغريزة ومكتسبة بالتعلم أيضاً. إذا طلب منك شخصان ملثمان أموالك، فستصاب بخوف. إذا هددك شريك حياتك بأخذ الأطفال إذا غادرت، فستصاب بالخوف.

ولكن الكثير من المخاوف التي نشعر بها هي الابتزاز العاطفي تنشأ عندما نتوقع مخاطر قد تحدث أو لا تحدث، والمبتزون في حياتنا يلعبون بشكل بديهي على تلك المخاوف ويعظمونها. صور كارثية تتضخم في عقولنا وتصبح حيوية لدرجة أنها تبدو حقيقية تماماً، فنكيف أفعالنا لمنع الضربات العاطفية التي نكون متأكدين من قدمها؛ ولذا، يتضمن التعامل الفعال مع الخوف تدريب أنفسنا على أن نتحي جانباً أسوأ افتراضاتنا القهرية ونضع خيارات إيجابية. فلقد تركت خيالك يعمل ضدك، والآن لندعه يعمل لصالحك.

الخوف من الرفض

قد يبدو هذا الخوف تافهًا، لكن صدقتي، هو بالنسبة للكثيرين أمر موجه. الخوف من الرفض أعمق بكثير من الشعور بالإحراج عندما يعبس أحدهم في وجهك بسبب شيء قلته أو فعلته، فهو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بإحساسنا الأساسي بقيمة أنفسنا، إذا سمحنا لاستحسان أو رفض الآخرين بتحديد هويتنا، فنحن نعد أنفسنا لاعتقاد أن هناك مشكلة جوهرية فينا كلما واجهنا استياء من الآخرين.

نحن جميعًا نحب أن نلقى استحسانًا ومدحًا من الآخرين، ويمكن لهذا أن يبدو أحيانًا كأنه مبدأ أساسي للغاية. فمنذ عدة سنوات قبل أن أعود للدراسة لأصبح معالجة نفسية، كنت أكسب قوتي من عملي كممثلة. كنت أحب التناء على جهودي بالتصفيق والاستحسان، وكنت أصاب بانتكاسة شديدة عندما لا يحدث ذلك؛ فلقد كنت أقيم جودة ما أقوم به على أساس الكيفية التي سيستجيب بها الناس له. لكن عندما كبرت في السن، توصلت لاكتشاف رائع، فلقد أقدمت على مجازفات عديدة، ووجدت أنه يمكنني تحمل الصمت المدوي لاستهجان شخص آخر أو حتى نقده الشديد طالما أنني لا أزال مرتبطة بنزاهتي.

أعرف أنه ليس من السهل الحفاظ على ذلك الارتباط عندما يقول لك الأشخاص الأعزاء إنك مخطئ، لكن يمكن القيام بذلك. تحسنت علاقة "سارة" بـ "فرانك" بوتيرة ثابتة منذ أن جعلته "سارة" مدركًا بكمية الاختبارات التي يضعها لها لتجتازها كي تنال شرف الزواج منه.

الأحاديث التي نجريها تفيدنا كثيرًا، لكنني لا أزال عاجزة عن التخلص من فكرة أنني لا أستطيع الشعور بإحساس جيد تجاه نفسي أو قراراتي إلا إذا لاقيت قبول "فرانك". لقد ظلت أحاول أن أقتنع نفسي بأن أنضج وأتخطى هذا الأمر، لكنني لم أنجح. أنا لا أريد أن أصبح في النهاية مثل أمي التي كان يصعب عليها فعل أمور عديدة أرى أنها في منتهى البساطة.

نوع خاص من الشجاعة

إن تحرير نفسك من الخوف من الاستهجان والرفض يتضمن معرفة أي القيم والآراء تنتمي إليك وأيها تم فرضها عليك ممن حولك. وهذا يعني معرفة قيمة نفسك ثم التحلي بالشجاعة للصمود أمام الاستهجان والتمسك بمعتقداتك ورغباتك.

كانت "سارة" مليئة بالحماس وهي تحكي كيف قامت بذلك.

أنت طلبت مني أن أفكر في أفضل الجوانب فيّ، وما وضعته على رأس القائمة كانت روحي وحيي للتحدي. وعملي هو الطريقة التي أعزز بها كلا منهما، ولم أكن مضطرة للتفكير كثيراً لمعرفة أنه يجب عليّ أن أمضي قدماً في التوسع فيه. أنا أحب "فرانك" لكنه ليس كل حياتي، وقد أخبرته إذا أخذ بعض الوقت للتفكير في الأمر، فسيرى أنه سيكون أكثر سعادة في العيش معي إذا كنت متحمسة بحق لما أفعله. مهمهم وتمتم قليلاً، لكنني واصلت استخدام العبارات غير الدفاعية، ورأيت أنني لن أترجع. هو يتقبل الأمر الآن، وأنا أشعر بسعادة غامرة!

كانت ظروف "إيف" مختلفة عن ظروف "سارة". فقد كانت "سارة" تحظى بمسيرة مهنية ناجحة وعلاقة من المحتمل أن تكون قوية، لكن "إيف" كانت تواجه الكثير من الأمور المجهولة - ومهمة إعادة بناء حياتها - لكنها أيضاً بدأت في تهدئة خوفها من الاستهجان والرفض.

كانت تراودني كل هذه الأصوات منذ وقت طويل: "أنت امرأة قاسية القلب". "أنت بلا أحاسيس". لكنني لن أقلق كثيراً بما يعتقد الناس؛ لأن ما يعتقد الناس في هذا العالم يمكن أن يكون غريباً للغاية؛ فهناك أشخاص يعتقدون أشياء لا وجود لها!

على الجانب الآخر من الخوف من الاستهجان تقع حرية التخيل وصنع حياة تنتمي حقاً لك. وأنا لن أظاهر بأن هذا أمر سهل، لكن في كل مرة تقدم فيها التزاماً بأن توجه أنت سفينتك، كما فعلت "سارة" و"إيف"، فأنت تأخذ

خطوة عملاقة نحو تشكيل حياة تعكس ما تعرف وتؤمن بأنه الصواب بالنسبة إليك - مهما كان ما يقوله أو يظنه الآخرون. عندما تفعل ذلك، ستكون قادرًا على التخلص من الإدمان على نيل رضا الآخرين.

الخوف من الغضب

أوفى "مايكل" بوعده بالعمل على معالجة غضبه، لكن لم يستغرق الأمر طويلاً من "ليز" لرؤية أنه لم يكن الوحيد الذي يحتاج للتعامل مع تلك العاطفة. قالت "ليز":

تعرّف "مايكل" الليلة الماضية في إحدى ألعاب الأطفال التي تركوها مبعثرة، وبدأ في السب والصراخ. كنت في الحجرة الأخرى وهو لم يكن حتى يصرخ فيّ، لكن مجرد الصوت جعل دقات قلبي تتسارع. لقد كان يحاول حقاً أن يتغير، واعتقدت أن كل شيء سيكون على ما يرام بمجرد أن يتحكم في غضبه، لكنني لا أزال أشعر بحساسية بالغة إزاء هذا الأمر... أنا لا أريد أن أعيش حياة يصيبني فيها رعب في كل مرة يرفع فيها شخص ما صوته عليّ.

لم تكن "ليز" خائفة من أن يؤذيها "مايكل" بدنياً. كانت هناك بالتأكيد إساءة لفظية، لكنها أصرت أنه لم يكن هناك حتى تلميح بأنه سيذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. فما السبب إذن في خلق رد الفعل العميق القوي هذا داخلها؟

طرحت عليها ثلاثة أسئلة:

١. ما الذي تخافين منه؟
٢. ما أسوأ شيء يمكن حدوثه؟
٣. ما تخيلك لما قد يحدث؟

أعتقد أنني خائفة من أن يفقد السيطرة ويدهسني بالسيارة. من الصعب شرح الأمر، فأنا يتناهي هذا الإحساس كأنني طفلة تبلغ من العمر عامين وعاجزة تماماً. عندما يغضب "مايكل"، يبدو كأن هناك وحشاً كاسراً مفترساً.

إن صوت صراخ "مايكل" ينقل "ليز" عبر الوقت؛ فهي لم تعد شخصية ناضجة تبلغ من العمر ٢٥ عاماً، بل أصبحت فتاة صغيرة لا تسمع سوى الخطر في الصوت المرتفع، وليس ذلك بالمفاجئ نظراً لأنها نشأت في عائلة متقلبة حيث الصراخ كان إشارة للاختباء والبحث عن ملاذ. لكن على غرار الكثير من المعرضين للابتزاز العاطفي الذين يحاولون جاهدين تهدئة الغضب أو تجنبه، فقد أخذت "ليز" تمزج الماضي مع الحاضر. أخبرت "ليز" بأنه في مرحلة ما سيكون من الجيد التحدث مع أبيها وأخيها عن مدى الخوف الذي كانت تشعر به، لكنني طلبت منها في الوقت الحالي أن تركز على التعامل مع "هفوات" "مايكل".

لا أحد يعلمنا كيفية التعامل مع غضب الطرف الآخر، ومعظمنا يمتلك مجموعة محدودة من الردود. إن أول شيء تحتاج لفعله مع الشخص الذي يثور غضباً هو أن تختار لحظة هادئة وتحدث إليه. قل لذلك الشخص: "أنا لا أقبل بأن تصرخ في وجهي، وفي المرة القادمة التي تصرخ فيها في وجهي، سأغادر الغرفة. أنت قد اتخذت على الفور موقفاً قوياً وأصبحت استباقياً فيما يخص مصلحتك. بعد ذلك أنت تحتاج إلى متابعة القيام بهذا في المرة القادمة التي يحدث ذلك كي يأخذك الطرف الآخر على محمل الجد.

وبينما تسحب نفسك من الصراع، قل عبارة من تلك العبارات بصوت واضح وقوي: "توقف عن ذلك!" أو "أقلع عن ذلك!" أو العبارة المفضلة لي شخصياً "توقف عن هرايك!". نظرت "ليز" إليّ باندھاش وسألتني: "هل يمكنني حقاً القيام بذلك؟"

قلت لها: "ولم لا؟ أنا أعطيك الإذن لفعل ذلك".

نحن عادة ما نتخيل أن صراخ الطرف الآخر سيتصاعد لدرجة أنه قد يفقد السيطرة ويلجأ إلى العنف. (إذا كنت تخاف حقاً من أن يؤذيك الطرف الآخر، فليس من الصائب إقامة علاقة معه). لكن معظمنا نادراً ما يتخيل ما قد يحدث إذا استجبنا بطريقة أكثر قوة وثقة. فبمجرد أن تخرج من دور الولد الخائف وتتصرف بصفته الشخص الناضج الذي أنت عليه الآن، فأنت ماضٍ في طريقك نحو هزيمة الخوف من الغضب الذي يتسبب في الكثير من الإذعان للخوف.

إعادة كتابة التاريخ

وأحد التمارين التي وجدتها قيمة لمساعدة الأشخاص المعرضين للابتزاز على التعامل مع الغضب بشكل أكثر ثقة هو إعادة تخيل حادثة وقعت مؤخراً استسلمت فيها لأحدهم بسبب خوفك منه.

أغمض عينيّك، واسترجع الكلمات التي قلتها، واستمع إلى ما قلته، واستحضر الذكريات - القلق، ضربات القلب المتسارعة، الركبتين المرتعشتين، الصور الكارثية التي تدور بذهنك عندما تتخيل غضب الطرف الآخر وقد انفلت منه وانقض عليك.

والآن، العب المشهد مرة أخرى، لكن هذه المرة، عندما ترى غضب الشخص الآخر يترايد، أعد كتابة المشهد. قل بحزم ووضوح: "لا، أنا لن أستسلم!". توقف عن الضغط عليّ!" كرر هذه العبارات إلى أن تصبح مقنعة - معظم الأشخاص يبدو أنهم مترددون للغاية. استمع إلى كيف يبدو وقع الكلمات، وأشعر بقوتها. نعم، يمكنك القيام بذلك، ونعم، الكلمات تقويك بالفعل.

أعد كتابة ما تشاء من مشاهد الابتزاز في حياتك، وبعدد المرات الذي تريده، مطلقاً العنان لخيالك لتشعر بإحساس استعادتك لقوتك الشخصية. ومن المهم على وجه الخصوص أن تقوم بهذا التمرين إذا كنت تتعامل مع معاقبين لأنهم قد يكونون مخيفين للغاية بالنسبة لنا. فإشارة الخوف هي أسلوبهم في إنجاز الأمور.

تأدية دور المبتز

قالت لي "ليز": "من أحد أسباب خوفي من الغضب هو أنني عندما أشعر بأن الغضب موجه إليّ، فالأمر يبدو كأن الشخص الصادر منه هذا الغضب يختفي. لم يعد هناك "مايكل" - فقط عاصفة من الصراخ".
أخبرت "ليز" بأنني أريد منها أن تنتقل للعب دور "الشخص الغاضب" وتقلد لي "مايكل" في أسوأ حالاته.

قالت: "أنت تمزحين، أليس كذلك؟ أنا لا أستطيع فعل ذلك".
 قلت: "فقط تخطي حدود الوعي بالذات وحاولي؛ فقد تحدث بعض
 الأشياء المثيرة. إن تقمص دور المبتز لبضع دقائق قد يكشف عن الكثير من
 الأشياء".
 بدأت "ليز" بتردد، لكنها استعدت للمهمة وقدمت صورة تقريبية لـ
 "مايكل" وهو في حالة غضب.

إذا كنت تعتقدين أنك سترحلين عني فأنت تواجهين مشكلة كبيرة. أنت
 لن تمزقي هذه العائلة، وإذا حاولت ذلك، فسأجعلك تدمين على فعلتك. لن
 تحصلي على بنس واحد، ولن أدعك تأخذين الأطفال! هل تسمعينني؟

عندما توقفت "ليز" كانت هادئة جداً للحظة، ثم قالت:

كان هذا شيئاً غريباً للغاية. فأنا لم أشعر بأية قوة على الإطلاق وأنا أقول
 تلك الأشياء. بل شعرت بالرعب وتقريباً بالعجز، كأن شخصاً ما كان يحاول
 أن يسلبني شيئاً أحتاج إليه بشدة، والطريقة الوحيدة التي أمنع بها نفسي من
 البكاء هي الصراخ والزعيق. شعرت كأنني طفل دخل في نوبة غضب - لم
 تكن لدي الكلمات المناسبة لقولها؛ ولذا أحدثت الكثير من الضوضاء وحسب.

إذا كان المبتز في حياتك يعبر عن غضبه في صمت، ادخل في حالة
 الانسحاب والتجهم وانسجم مع ما يحدث داخلك. وانظر إذا كان يمكنك
 التواصل مع مدى خوفك من الغضب ومدى عدم الفاعلية التي تشعر بها.
 مهما كان نوع الغضب الذي تصوره، ستدرك أن الشخص الذي كنت تراه
 على أنه قوي ومتحكم هو نوعاً ما جبان عاطفياً - وذلك هو فحوى التمر.
 فالأشخاص الوثاقون لا يحتاجون للضغط على الآخرين للحصول على ما
 يريدون أو لإثبات كم هم أقوياء. ربما أنت تعرف ذلك، لكن "تقمص" ذلك
 الشخص سيتيح لك تجربة ذلك الوعي بدنياً وعاطفياً أيضاً.

وهذا الوعي قد يساعدك بشكل كبير على التعامل مع الغضب، سواء كنت
 ستقرر في النهاية أن تستمر في العلاقة مع هذا الشخص أم لا. إن المعاقبين

الفاضيين المزعجين، والمتجهمين السلبيين العدوانيين هم في داخلهم أطفال خائفون. لكن ذلك لا يجعل سلوكهم أكثر قبولاً - بل يجعله أقل هزناً.

الخوف من التغيير

لا أحد يحب إجراء تغييرات كبيرة في الحياة؛ فالمألوف مريح، حتى لو كان يجعلنا بائسين، فنحن على الأقل نعرف ما هو متوقع منا وما هو متوقع من الآخرين.

كانت "ماريا" حازمة في قرارها بأن تترك "جاي"، لكنها كانت فزعة مما ينتظرها في المستقبل.

أنا خائفة يا "سوزان". خائفة من أن أصبح امرأة مطلقة مرة أخرى. خائفة من الألم والحزن. خائفة من الحيرة. خائفة من الاضطراب للبدء من جديد. خائفة من ألا أعرف كيف أجعل أولادي يشعرون بالأمن والأمان عندما أتولى رعايتهم وحدي. خائفة مما سيفكر فيه الناس - أنني فشلت؛ كان لدي كل شيء، وأفسدت الأمر. ينتابني شعور مفر بأن أفي إجراءات الطلاق وأعود إلى تعاستي المألوفة - فعلى الأقل أعرف كيف أفعل ذلك.

استطاعت "ماريا" بيراعة لعب الدور المنوط بها المتمثل في الزوجة والأم المطيعة، وكانت تعرف كيف تتصرف في سياق المواقف المألوفة. لكن تلك الراحة كانت بالطبع هي المشكلة؛ إذ كان من الصعب التخلي عنها. عندما تفكر في إجراء أي نوع من أنواع التغييرات الكبيرة، فإن معظمنا تقريباً يشعر بقدر ما من الذعر. وإن ذلك الذعر هو ما يتغذى عليه أكثر المبتزين تدميراً. وهكذا، نظل في أنماط سلوكنا القديم وعادة ما نتشبث بالعلاقات والمواقف المضرة لتهديئة الشعور بالقلق وعدم الأمن الذي يهدد حياتنا.

أخبرت "ماريا" بأنني قضيت أعواماً في زيجة فاشلة أكثر مما كان ينبغي لي أن أفعل لأنني كنت خائفة من جميع الأشياء التي تخافها "ماريا".

قالت: "لقد ساعدتني معرفة ذلك، ولقد ساعدتني معرفة أنني لست غريبة الأطوار لأنني أشعر بهذه الطريقة".

الخوف من التغير خوف عام، وغالبًا ما يستغل المبتز ذلك الخوف مستخدمًا عبارات على نحو:

- ستعيشين وحيدة بدوني.
- ستندمين على ذلك، ولكن بعد فوات الأوان.
- الحياة صعبة للغاية على النساء غير المتزوجات.
- كيف يمكنك أن تفعلي هذا بالأطفال؟
- أنت لا تفكرين بوضوح - أنت لا تعرفين ما تريد.
- انظري إلى كل المطلقين البائسين من حولك.

لا بأس على الإطلاق بأن تعترفي بخوفك لهم، لكن بينما تفعلين ذلك، كرري التزامك بإجراء التغيير. قولي أشياء مثل: "قد تكون محقًا، وأعرف أن الوضع لن يكون سهلاً، لكنني ما زلت مصممة على الطلاق". أو إذا كانت علاقة من نوع آخر، قل: "أنا أقدر اهتمامك" - ولا شيء آخر. إذا أصر الآخرون على رسم صورة كئيبة للمستقبل الذي سيهلكك، فعد إلى تواصلك غير الدفاعي وقل: "أفضل ألا نناقش هذا الأمر". تذكر: أنت لديك الحق في أن تتحدث أو لا تتحدث في شيء ما مثلهم تمامًا.

عندنا تقرر أن تترك أو تفصل عن شخص مهم في حياتك، فأنت تدخل في حالة أزمة - وقت من الاضطراب العاطفي الشديد والشك. لكن الأزمة ليست وقتًا تسوده المخاطر وحسب؛ إذ عندما يتم إدارتها بشكل مدروس وبشجاعة، تصبح أيضًا فرصة رائعة للتنمية الذاتية وعيش حياة أفضل.

هذا وقت مناسب للبحث عن مجموعة أو ندوة لأشخاص في مواقف مشابهة. ولكي تجد إحدى هذه المجموعات أو الندوات، ابدأ بسؤال الأصدقاء والأشخاص الذين تشعر براحة معهم ليرشحوا لك برامج تعرف أنها كانت مجدية معهم. تقدم الكليات والجامعات المحلية الكثير من البرامج المسائية للبايفين، وقامت دور العبادة بتشكيل الكثير من مجموعات الدعم المتاحة للعامة. ولدى مراكز دعم النساء قائمة طويلة من الموارد، ويمكنك الاتصال

بجمعية علم النفس الأمريكية ليحيلوك إلى المكان المختص. لست مضطراً للتفكير في الأمر كله وحدك. ومع ذلك، عليك أن تتأكد أن المجموعة التي انضمت إليها تحتوي على أشخاص يعملون على تغيير أنفسهم ولا يكتفون بمجرد الجلوس قائلين: "أليس ذلك مريعاً؟" ويحكون قصصاً بشعة. هناك طاقة شفائية رائعة تتبع من دعم الأشخاص بعضهم بعضاً خلال الأوقات الصعبة والعمل نحو إعادة بناء ثقتهم كي يصبح التغيير تحدياً وليس عدواً.

الخوف من الهجر

ربما يكون الخوف من الهجر أصل كل المخاوف. ويعتقد بعض الخبراء أنه يكمن في جيناتنا، وهو نقطة النهاية لجميع مخاوفنا في العلاقات، بما في ذلك الخوف من الاستهجان والرفض والخوف من الغضب. وأنا لا أعتقد حقاً أنه من المهم ما إذا كان خوفاً غريزياً أم مكتسباً أم مزيجاً من الاثنين. فالخلاصة هي أننا جميعاً نشعر به. بعض الناس يتعاملون معه تعاملًا جيدًا للغاية، لكن بالنسبة لآخرين، هذا الخوف أمر عميق. عندما يتسبب الخوف من الهجر في أن ندعن على نحو متكرر بطريقة مدمرة للذات، فالأمر يبدو كأننا نقول: "سأفعل أي شيء، لكن لا تتركني".

شعرت "لين" براحة كبيرة عندما وافق "جيف" على ألا يتركها عند نشوب خلاف دون أن يخبرها إلى أين سيذهب ومتى سيعود. لكن خوفها من الهجر - والذي كان يشكل جزءاً منها لسنوات عديدة - لم يختف بين عشية وضحاها.

هذا الأمر يبقيني عالقاً. فإذا غضب شخص ما مني، أعرف أنه سيهجرني؛ ولذا أقوم بما يريد. أنا أعرف أنه تصرف جبان، لكنني لا أهتم بذلك.

إن الانتقال من "أنت غاضب مني" إلى "ستتركني وحيداً للأبد" قفزة كبيرة وليست منطقية تماماً، لكن التفكير السلبي ليس منطقيًا، ويمكن أن يتصاعد بسهولة؛ فيحول خلاف بسيط إلى الخطوة الأولى نحو الهاوية.

إذا كنت - مثل "لين" - تنجر إلى دوامة من الأفكار الكارثية، فإن من أفضل الطرق للهروب هي أن تضع حدوداً لمقدار الوقت والانتباه الذي تعطيتها إياها.

إيقاف الأفكار

أريد منك طوال الأسبوع القادم أن تخصص بعض الوقت للتركيز على الأفكار السلبية للهجر، ولك مطلق الحرية في أن تدير ماكينه الهلاك وتترك الصور المخيفة تتدفق. الفكرة هنا هو: أنت حددت خمس دقائق وجعلت تفكيرك السلبي مقتصرًا على تلك المدة فقط.

أنت لا تحتاج لفعل ذلك سوى مرة واحدة في اليوم. فكر في الأمر على أنه الوقت المخصص للضييق والقلق. وعندما تنتهي الدقائق الخمس، قل لأفكارك - كما ستفعل مع أي ضيف غير مرحب به - إنها يجب أن تغادر. وإذا عادت في أثناء اليوم، فقل لها إن الوقت المخصص لها انتهى، وإنك ستراها غداً. قلص المدة كل يوم إلى أن تصبح دقيقة واحدة بحلول اليوم الخامس. أعرف أن هذا يبدو تبسيطاً مبالغاً فيه، لكن تذكر: المشاعر تستثار بالأفكار، مهما كانت عابرة. ونحن ننشط مخاوفنا عن طريق تغذيتها المستمرة لها بالانتباه. وهذا الأسلوب لإيقاف الأفكار سيتيح لك إيقاف هذه السلسلة المتواصلة من السلوكيات/المشاعر/الأفكار في مهدها ويضعك مرة أخرى في مقعد القيادة.

الثقب الأسود

ساعد أسلوب إيقاف الأفكار خلال أسبوع في منع "لين" من الانزلاق في دوامة عاطفية، لكنها لم تكن واجهت بعد ما أطلقت عليه "الثقب الأسود"، وهو المكان الذي ستسقط فيه - ولن تستطيع أبداً الخروج منه - إذا رحل عنها "جيف". لم تكن "لين" أول شخص يستخدم ذلك المصطلح؛ حيث سمعته مرات عديدة من أشخاص مرعوبين من الهجر، فهو يبدو جحيماً في أذهان الكثيرين.

لقد كانت صورة الثقب الأسود موجودة في ذهن "لين" منذ أن كانت صغيرة. وكانت على معرفة وثيقة بالفزع الذي يحيط به، ولم تكن تريد أن تجتاز العتبة وتدخل. لكنني أخبرتها بأن ذلك ما يجب عليها فعله.

قالت بتردد: "لا أعرف إن كان بإمكانني ذلك؟".

سألتها: "إذا لم يكن اليوم، فمتى؟ أريد منك أن تمسكي بيدي وتدخلني الثقب الأسود معي. ماذا ترين؟".

"المكان مظلم وبارد للغاية. لا يوجد أي نوع من التواصل البشري. عزلة كاملة ولا يوجد من أتحدث معه. أنا منمزلة بالكامل. الأيام طويلة للغاية دون رفقة... الجدران تضيق بي... ليس هناك من يحبني أو يهتم بي أو يعرف حتى أنني موجودة".

من هذا الذي لن يختار الإذعان عندما يكون الخيار الوحيد هو السقوط في حالة اليأس والاكتئاب التي تصفها "لين"؟ وكما ستكون ضعيفاً أمام التلاعب إذا جعلت حياتك العاطفية متوقفة على شخص واحد؟ قلت لـ "لين": "حسناً، لقد جئتُ بي إلى هنا. الآن أريد منك أن تجدي مخرجاً".

قالت "لين": "بالطبع، سألوح بعصاي السحرية وسيختفي الرعب".

"لا تستطيعين الخروج من هنا، أنيس كذلك؟".

أجابت: "لا يمكن لأحد سوى جيف أن يخرجني من هنا".

"لا - هذا أمر يجب أن تفعله وحدك والافلن يعني شيئاً. أنا لا أقلل مما يمثله جيف لك، لكنه عنصر واحد فقط من العناصر التي تثرى حياتك. لنبدأ بالقيام ببعض التفكير الإبداعي هنا. ما المقابل للثقب الأسود بالنسبة إليك؟".

أغلقت "لين" عينيها وقالت: "أنا أفكر في الأشخاص الآخرين في حياتي الذين أهتم بأمرهم - أقاربي، أصدقائي، بعض الأشخاص البارعين معي في العمل... أشياء أحبها - انتظري، هناك يوم مميز أتذكره. كنت في الثانية عشرة من عمري تقريباً واشترى لي أبي أول حصان كان ذهبي اللون. لم أصدق نفسي! لقد كان ملكي وحدي. أتذكر رائحة القش، والشمس على وجهي... أعتقد أن ذلك هو أقرب اللحظات التي عشتها للسعادة الكاملة".

قلت لها: "ويمكنك أن تعودى إلى ذلك المكان كلما شعرت بذعر. يمكنك أن تستعدي كل الإثارة والمتع الحسية في أي وقت تشائين. ويمكنك أن تحظي بأيام أخرى مثل تلك الأيام. أنت لديك زوج وأشخاص آخرون يحبونك، ومسيرة مهنية جيدة، وتمتلكين القدرة على الإحساس بالأشياء بعمق. يا لها من هبات رائعة! انظري - أنت وجدت مخرجك من الثقب الأسود بنفسك!".

يمكننا جميعاً استخدام هذا النوع من التخيل الذي استخدمته "لين" عندما نشعر بالخوف. اجلس وأغلق عينيك وخذ نفساً عميقاً أربع أو خمس مرات. والآن، تذكر أحد أفضل أيام حياتك. قد يكون يوماً في طفولتك عندما لم تكن تبالي بأي شيء. أو ربما تريد أن تعود بالذاكرة إلى مكان جميل قمت بزيارته حيث كانت حواسك حادة وتشبعت برومانسية وجمال ما كان يحيط بك. املاً ذهنك وجسدك بذلك اليوم، المناظر والأصوات، الإحساس بالهواء، عبير الأزهار أو العشب اليناع. دع نفسك تستغرق تماماً في ذلك اليوم إلى أن تهدأ الذكريات من روعك. تذكر أنه يمكنك دائماً استخدام هذا التخيل كطريقة لجلب الضوء إلى الثقب الأسود.

إن الخوف من الهجر الذي نشعر به في العلاقات العاطفية هو نسخة البالغين للخوف من الهجر الذي نشعر به كأطفال، حين نعجز عن النجاة إذا تركنا وحدنا. وللأسف فإن هناك الكثير من البالغين لا يزالون يعتقدون أنهم سيواجهون نوعاً من الموت النفسي إذا رحل عنهم شخص هم مرتبطون به. لكن الثقب الأسود لا يوجد إلا في خيالهم؛ وهو كذبة متكررة كأنها الحقيقة.

عادةً ما تسقط التجارب والأشخاص الأعزاء المبهجون الذين يدعونا من أذهاننا عندما نخاف؛ لكنهم متاحون لنا جميعاً في الواقع ومن خلال ذاكرتنا وخيالنا. إذا كان الخوف مثل نهر مظلم يجري في داخلك، يمكنك أن تضع أحجاراً في منتصف ذلك الظلام لتساعد نفسك على العبور.

فصل زر الالتزام

أتمنى أن يخصص لنا أحدهم شرائح التزام مثلما تخصص الحكومة لنا شرائح ضريبة. ألن تصبح حياتنا أكثر بساطة إذا كانت لدينا صيغة لمعرفة

مقدار ما ندين به للآخرين بدلاً من التصارع مع هذه المعضلة وحدنا؟ أئن يكون عظيماً إذا كانت هناك خطوط إرشادية واضحة لمعرفة قدر العطاء الذي يكون أكثر مما ينبغي أو غير كاف، واكتشاف متى يكون العطاء مفيداً ومتى يكون ضاراً، وتحديد كيفية إحداث توازن بين التزاماتنا تجاه الآخرين والتزاماتنا الحقيقية للغاية والمهمة بشكل حيوي تجاه أنفسنا؟

نحن لا نولد بمفهوم الالتزام، بل نكتسبه من الديننا وتعلمه في المدرسة ومن الدين والسياسة والثقافة بوجه عام. ولزيادة الأمور تعقيداً، نحن نتعرض لوابل من القواعد الجديدة طوال الوقت. لقد كان يُنظر للتضحية وللإيثار لسنوات طويلة على أنهما شيئان مرغويان. ثم جاء "جيل الأنا" بشعاره "تدير أمرك" ثم يتغير المسار مرة أخرى نحو طريق أكثر شفقة واهتماماً وهو التعاطف مع الآخرين؛ ولذا، فليس من المستغرب أن ترتبك.

ليس من السهل تحديد متى التقينا بالمعتقدات المتعلقة بالالتزام التي جعلناها معتقدات لنا. وعلى المدى البعيد، هذا ليس شيئاً مهماً. المهم هو أنك تعتقها - وأن بعضها قد يجعلك عرضة للابتزاز. إذا كنت تتصرف تلقائياً من منطلق الاعتقاد بأن احتياجات الآخرين أهم من احتياجاتك، وإذا سقطت في نمط أن تقدم الآخرين بشكل معتاد على نفسك في أية علاقة إلى أن تجهد نفسك بدنياً وعقلياً وعاطفياً وروحياً ومالياً، فقد حان وقت فحص تلك المعتقدات وتغييرها.

من قال هذا؟

من أفضل الطرق للبدء في تغيير بعض ما لديك من المعتقدات المتعلقة بالالتزامات التي تجعلك تشعر بالحنق والإجهاد هو أن تراها بالأبيض والأسود، ثم يمكنك البدء في تحديها.

ابدأ بعمل قائمة بما يتوقعه الشخص الآخر منك. إنليك بعض المقترحات لتساعدك على البدء:

_____ (الاسم) يفترض/ يتوقع/ يطلب مني أن:

- سأتحلى عن كل شيء لأساعده.
- سأتي مسرعاً عندما يتصل.

- سأعنتني به مادياً/ عاطفياً/ مائياً.
- سأفعل دائماً ما يريد خلال العطلات أو الإجازات أو وقت الفراغ.
- سأستمع إلى مشكلاته مهما كان ما أشعر به.
- سأنقذه دائماً من المشكلات.
- سأقدمه على عملي ومصالحي وأصدقائي وأنشطتي.
- لن أرحل عنه حتى لو جعلني بائساً.

الآن، أعد كتابة كل جملة مسبوقة بعبارة "من قال" ببنت عريض. لاحظ مدى الاختلاف في المنظر والإحساس بين "من قال إنني غير مسموح لي بالاستمتاع بالعطلة لأنني يجب أن أبقى مع عائلة زوجي" وبين "زوجي يتوقع أننا سنذهب دائماً إلى عائلته في العطلات". من قال إن احتياجات الآخرين أهم من احتياجاتك؟ من قال إنه من المفترض أن أضحي بسعادتك لتهم بأب كثير المتطلبات قادر تماماً على الاعتناء بنفسه؟ من قال هذا؟ هذه القواعد التي تبدو غير قابلة للتغير - والتي تمنعك من الاهتمام بنفسك حتى ينصف القدر الذي تهتم به بالآخرين - ليست كلاً مقدساً، ولا توجد إلا في منظومة المعتقدات المحفورة في عقلك بشأن ما يفترض أن تكون عليه في العالم.

تخفيف عقوبتك

واجهت "كارين" صعوبة في التخلص من جلدها للذات نتيجة شعورها المتأصل تأسلاً عميقاً بأنها تدين لابنتها بأي شيء تريده لأنها واجهت فترة عصيبة وأنها كانت السبب في هذا، كانت بحاجة للتعامل مع شعورها بالالتزام على مستوى عاطفي وفكري أيضاً.

كانت "كارين" القاضي وهيئة المحلفين وحكمت على نفسها بالحبس في "سجن الالتزام" من أجل جريمة لم ترتكبها - حادثة السيارة التي أودت بحياة زوجها. طلبت منها أن تبحث عن معنى كلمة حادثة في القاموس في مكتبي.

"إنها تعني "حدث مفاجئ وغير متوقع و..."" وتوقفت "كارين" للحظة ورأيت الدموع في عينيها، "وغير مقصود".

قلت: "هذا صحيح، غير مقصود". أخبرتها بأن تكرر تلك الكلمة كثيرًا لنفسها. هي لم ترد حدوث ما حدث، ولم تخطط له، ولم تكن لها علاقة به. أخبرتها بأن كل شخص - ما عدا بعض القتلة الذين يحصلون على حكم بالسجن مدى الحياة دون إمكانية الحصول على إطلاق سراح مشروط - يخرج من السجن عاجلاً أم آجلاً. فلماذا لا تزال هي حبيسة في السجن؟ كنت أعرف أن "كارين" كانت تتمتع بحياة روحانية ثرية؛ فقد كانت تحضر بشكل منتظم اجتماعات العائلات التي يعاني أحد أفرادها الإدمان، وكانت تذهب كثيرًا إلى منتجعات العزلة، وتلميذة يوجا نشطة، وكانت تتأمل بشكل يومي. ومع ذلك فلم تكن "كارين" قادرة على اجتياز عتبة مسامحة الذات.

طلبت منها أن تستحضر شخصية لديها القوة لإخراجها من سجن الالتزام، وهي شخصية يمكنها أن تلعب بدورها في مشهد مع نفسها. "حسنًا... أنا لا أريد أن ألعب دور بطل خارق، لكنني أعتقد أن لدي حارسًا - يمكنني أن ألعب دوره".

قلت: "رائع. فلتكوني حارس نفسك. ضعي كارين في المقعد الخالي وأخرجيها من هذا السجن المقيت دون رجعة! وأريد منك أن تبدئي بأن تقولي "أنا أسامحك"".

انهمرت الدموع من عين "كارين" على وجهها عندما بدأت كلامها.

أنا أسامحك يا "كارين". فأنت ليس لك أي دخل في موت "بيت". لقد كانت حادثة. لقد كنت أمًا جيدة، وحميت وأحببت طفليكم. ولقد كنت ابنة جيدة وممرضة رائعة. وأنت تهتمين بالآخرين اهتمامًا حقيقيًا. حان الوقت الذي تبدئين فيه الاعتناء بنفسك. أنا أسامحك يا حبيبتي - أنا أسامحك، أسامحك.

لم تكن "كارين" قادرة على أن تقول هذه الأشياء لنفسها، لكنها عندما تقمصت دور حارس نفسها، استطاعت أن تعطي لنفسها الاعتزاز والتحرر

الذين كانت في أمس الحاجة إليهما. إذا كان مفهوم الحارس غير ملائم لك، يمكنك القيام بذلك من خلال تقمص دور أي شخص تحبه في حياتك. الشيء المهم هو أن تركز على الموضوع الذي تعلق فيه في سجن الالتزام وتخرج نفسك منه.

كانت تلك الجلسة نقطة تحول حقيقية لـ "كارين". وقرب نهاية الساعة التي قضيناها معاً، قالت: "من قال إذن إنه من المفترض أن أسحب من حساب التقاعد الخاص بي لأن ابنتي تريد منزلاً الآن؟". قلت لـ "كارين" إنني أعتقد أنه لا بأس أن تساعد "ميلاني" مالياً طالما أنها قادرة فعلاً على ذلك وأنها تفعل ذلك بدافع الحب والكرم وليس بدافع الخوف والانتقام من ابنتها. أقرت "كارين" أن مبلغ ٥ آلاف دولار الذي تريده "ميلاني" هو أكبر من أن تستطيع تدييره الآن، لكنها تستطيع إعطاءها ١٥٠٠ دولار.

سألته: "ماذا لو اعترضت ميلاني على ذلك؟". ابتسمت "كارين" وأخذت نفساً عميقاً. "حسناً... هي اعترضت من قبل، وأنا متأكدة من أنها ستعترض مرة أخرى في وقت لاحق. أنا سأقول إن هذا أفضل ما يمكنني فعله وإذا أردت أن توجهي غضبك لأحد، فوجهيه لـ "سوزان"؛ فهي المسئولة عن التغييرات التي قمت بها". يكبر الناس وينضجون، لكن أحياناً معتقداتهم لا تتغير معهم. مثل "كارين"، يحق لك أن تعيش بالمبادئ والمعتقدات التي تقبلها بحرية كشخص ناضج بدلاً من تلك التي تمتصها تلقائياً ودون فحصها منذ وقت طويل.

ما مقدار ما يمكنك أن تعطيه؟

كانت "إيف" تعرف أنه يجب أن ترحل عن "إليوت"، لكن كانت كل عناصر الضباب تشل حركتها.

هو يحتاج إليّ كثيراً، وأنا أقوم بكل شيء من أجله. أنا أدين له بالكثير، ولا أستطيع أن أخطو خارج ذلك الباب؟

تخلت هذه الشابة الرائعة الموهوبة عن الكثير من أجل أن تعتني بـ "إليوت" لدرجة أنها كانت تسحب على المكشوف من عاطفتها دون وجود رصيد نفسي كاف. فقد عزلت نفسها عن أصدقائها، ولم تكن تحظى بأوقات أو أنشطة مريحة تمددها بالسعادة، وقمعت طموحاتها المهنية من أجل طموحاته المهنية وضيقت من أفق عالمها.

كلما كانت لديك موارد أكثر، زاد مقدار ما يمكنك تقديمه. الأمر بتلك البساطة؛ فإذا كان لديك الكثير من الثروات في حياتك - أشخاص تحبهم ويحبونك وتشعر بالرضا على المستويين المهني والعاطفي وأصدقاء ومرح ومال كاف - يمكنك أن تقدم قدرًا كبيرًا دون أن تنتقص من سعادتك. وعلى العكس، إذا كنت تمر بتجربة طلاق وتواجه مشكلات في العمل وتكافح لتجد قوت يومك، فسيكون من الصعب جدًا عليك أن تنفق الكثير من الوقت وتبذل الكثير من الطاقة لتلبية متطلبات شخص آخر. هذا درس صعب يتعين عليك تعلمه، لكن الحقيقة هي أنه لا يمكنك أن تنقذ شخصًا ما من الفرق إذا كنت بالكاد تستطيع أن تبقى رأسك فوق سطح الماء.

زر الشعور الذنب

يستمد الشعور بالذنب الكثير من سلطته علينا من حقيقة أن معظمنا يجد صعوبة حقيقية في التفرقة بين الذنب المستحق والذنب غير المستحق. نحن نعتقد أننا إذا شعرنا بذنب، فذلك دائمًا لأننا قمنا بشيء سيئ.

إن نشوة "الن" التي نبعث من قدرته على التحدث بهدوء مع "جو" والتوصل لخطة للقيام برحلة العمل دامت خمس دقائق؛ حيث إنه وجد نفسه على الفور محاصرًا بين معرفة أنه يقوم بالأمر الصائب والشعور بعدم الارتياح الشديد تجاه إجراء هذا التغيير الكبير في الطريقة التي يتعامل بها مع زوجته.

أعرف أن "جو" وافقت على البقاء في المنزل ولم تبتد مستاءة للغاية، لكنني أشعر بذنب شديد. أتخيل هذه الصورة لها وهي تجلس في البيت وحدها وهي مستلقية على الأريكة أمام التلفزيون وهي تبكي وتقفز عند سماع

كل صوت تسمعه. الشعور بالذنب لا يفتأ يني دون سبب يا "سوزان". لدي عيوب كثيرة، لكنني لست رجلاً يجب أن يرى زوجته تعاني.

أخبرت "ألن" بأنه من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة سيستطيع سريعاً تقييم ما إذا كان الذنب مستحقاً أم مبالغاً فيه في الموقف. سألته:

- هل ما فعلته أو تريد فعله يعد أمراً خبيثاً؟
- هل ما فعلته أو تريد فعله يعد أمراً قاسياً؟
- هل ما فعلته أو تريد فعله يعد أمراً مسيئاً؟
- هل ما فعلته أو تريد فعله يعد أمراً مهيناً أو يحط من قدرها أو ينم عن احتقار؟
- هل ما فعلته أو تريد فعله يمثل ضرراً حقيقياً لسعادة الشخص الآخر؟

إذا أجبت بـ نعم عن أي سؤال من هذه الأسئلة، فإن الذنب الذي تشعر به هو مستحق ظالماً أنه يخلق شعوراً من الندم وليس كره الذات. إن احترام استقامتك يعني أن تتحمل المسؤولية عن سلوكك وأن تجري تعديلات. ولا يعني هذا أنك صارم بشكل متزمت.

لكن إذا كنت - مثل "ألن" - تقوم بشيء صحي لنفسك ولا تحاول أن تضر شخصاً آخر أو تنتقص من قيمته، فشعورك بالذنب إذن شعور غير مستحق ويجب أن تتم مواجهته. وإذا لم تواجهه، فإن الإحساس المفرط بالذنب قد يحيط بكل جوانب حياتنا بحيث يصبح مثل ورق الحائط؛ مثل خلفية لحياتنا اليومية.

أجاب "ألن" بلا عن كل الإجابات، لكنه كان لا يزال مليئاً بالتردد عندما ذهب في رحلة العمل إلى سان فرانسيسكو بدون "جو".

الليلة الأولى كانت الأصعب. ومثلما كنت أخشى، كانت تبكي على الهاتف عندما تحدثنا في المساء. كان أول ما تبادلته ذهني هو أن أقدم الكثير من المقترحات بشأن ما يمكنها فعله - رؤية أصدقائها، الخروج، زيارة عائلتها -

لكنني أدركت أن الطريقة الوحيدة لمساعدتها هي أن أتوقف عن أن أقول لها ماذا تفعل وأدعها تفكر في ذلك بنفسها؛ ولذا، أخبرتها بأنني أفتقدتها وأن الرحلة تسير على ما يرام وأنني سأحدث إليها في الليلة التالية.

كان اليوم التالي نقطة تحول حقيقية بالنسبة لي، عندما اتصلت بها، كانت غير موجودة. كنت قلقاً؛ ولذا تركت لها رسالة، وعندما عاودت الاتصال بي قالت إنها ذهبت إلى السينما مع صديقتها "لندا". كانت تبدو بخير، وشعرت بأن كل ذلك القلق كان بلا داع. كانت معنوياتها ترتفع وتنخفض خلال الأسبوع، لكنها وجدت أشياء لتفعلها، وتأقلمت بشكل جيد. أنا لا أقول إن كل هذا كان سهلاً، لكن علينا تجاوز المشكلة. وهذا سيجعل الأمر أسهل بكثير في المرة القادمة.

استخدم الأسئلة التي ذكرتها أنفاً لتساعدك كلما شعرت بأن إحساسك بالذنب - مثل إحساس "الن" - لا يتناسب مع الحدث الذي أثاره. الضمير اليقظ سيخلق قدر الإحساس بالذنب الذي يتناسب مع الفعل. فلا بد أن يكون هناك شعور بالذنب إذا كنت تخون أعز أصدقائك، وليس المقصد من الأسئلة بالتأكيد هو إفلات أي شخص قام بأعمال إجرامية من العقاب. لكنك لا تستحق أن تشعر بالذنب لأنك قمت بحرق الخبز أو اقترحت مشاهدة فيلم اتضح أنه سيئ، وليس بالتأكيد لأنك تريد فعل شيء لتثري حياتك - حتى إذا كان لا يروق الطرف الآخر.

آراء وليس حقائق

إن الأشخاص الموجودين في حياتنا ويلجأون إلى الابتزاز العاطفي لا يحسنون التمييز عندما يتعلق الأمر بالذنب؛ فهم يدفعوننا للإحساس بالذنب بسبب الأشياء الصغيرة والكبيرة على حد سواء. ونحن على أتم الاستعداد بأن نفتح الباب ونسمح للشعور بالذنب بالدخول.

أخبرت "لي" أمها بمدى الأذى الذي تشعر به بسبب المقارنات السلبية بابنة عمها، وبدا أن أهمها قد تقبلت كلامها، لكن العادات القديمة يصعب

التخلص منها، وعندما كانت أمهما تريد شيئاً ترفضه "لي"، كانت تستخدم نوعاً مختلفاً من الضغط.

أرادت أمي أن أذهب معها إلى سان دييجو في عطلة نهاية الأسبوع كي تزور أخي وأسرتي، لكنني لذي موعد آخر وتذاكر لحضور عروض مسرحية، قلت لها إنني مشغولة وإن بإمكانها الذهاب بمفردها. أعرف أن ذلك كان خطأ، لكنني اقترحت عليها بأن تذهب مع "كارولين". حسناً، هي لم تجر المقارنة الروتينية، لكنها اندفعت قائلة: "أعتقد أن لديك ما يشغلك عن قضاء بعض الوقت معي - أنت منهكة في حياتك لدرجة أنك لا تهتمين بالآخرين. أنا لا أصدق أنك تغيرت بهذه الطريقة" أعرف أنها توجه لي انتقاداً لاذعماً؛ لكن يا إلهي، أنا لا أزال أشعر بالذنب - ليس بالقدر الذي كان في السابق، لكنه أكثر مما أريد. ولقد خطر على بالي فكرة التخلي عن الموعد والاستغناء عن التذاكر - لكنني لم أفعل ذلك؛ ولذا أعتقد أن هذا يمثل تقدماً.

بالتأكيد كان ذلك تقدماً، فعلى الرغم من الضغط، غيرت "لي" من سلوكها، ومثل الكثيرين منا، لم تتن "لي" على نفسها بالقدر الكافي؛ لأنها توقعت أن تتغير مشاعرنا بشكل سريع. وأحد الأشياء التي استطاعت القيام بها لتسرع وتيرة عملية تقليل إحساسها بالذنب غير المستحق هو تعلم كيف تفصل أوصاف أمها السلبية عن الحقيقة.

أخبرت "لي" بأن تكتب قائمة بأكثر الأشياء الانتقادية التي تطلقها أمها عليها على مدار السنوات عندما كانت تغضب منها. توقعت بأن تكون أوصافها على الأرجح مألوفة للكثير من الأشخاص المستهدفين من الابتزاز العاطفي. إليك بعض البنود من قائمة "لي":

- قاسية
- أنانية
- طائشة
- خرقاء

- عنيدة
- وضيفة
- غير منطقية التفكير
- وقحة

العصا والأحجار قد تكسر عظامنا، وصدور أوصاف مثل هذه من شخص مقرب منا يمكن أن يؤذيها. لكن هذه الصفات ليست الحقيقة، بل هي آراء شخص آخر. نحن كثيراً ما نلبس الذين يبتزوننا عباءة الحكمة. نحن نعتقد أنهم يعرفوننا أكثر مما نعرف أنفسنا، وعندما يصفوننا بطرق سلبية، فغالباً ما نسارع إلى تصديق هذه الأوصاف، وبالأخص إذا تشابهت مع ما قاله آخرون لنا في الماضي. وبهذه الطريقة نحن نحول رأي الشخص الآخر إلى حقيقة. فعبارة "أنت أناني" تتحول داخلنا إلى "أنا أناني". وهي الطريقة نفسها التي عندما يقال لطفل ما "أنت شخص سيئ" فيحول الرسالة إلى "أنا شخص سيئ".

لمساعدة "لي" على التفريق بين الحقيقة والخيال، طلبت منها أن تحضر قائمتها وفي مقابل كل بند تكتب عبارة "رأي، وليس حقيقة" ببند عريض. بدت بداية قائمتها كالآتي:

- قاسية: رأي، وليس حقيقة!
- أنانية: رأي، وليس حقيقة!
- طائشة: رأي، وليس حقيقة!

أنا متأكدة أنك فهمت الفكرة. من المهم أن تستوعب هذا المفهوم. إننا بالطبع نصبح أحياناً قساة وطائشين، ومن المهم أن نفحص مدى صحة الوصف الذي يطلقه علينا الشخص الآخر. الأسئلة التي جعلت "ألن" يجيب عنها ستساعدك على فعل هذا. لكن في معظم الوقت الذي نتعامل فيه مع المبتزين عاطفياً، فهذه الأوصاف هي آراء متعنتة ومنحازة ونتاج أجندتهم التي تخدم مصالحهم. وهذا أمر تصعب جداً رؤيته إذا كان المبتز هو أحد الأبوين - كما في حالة "لي" - لأننا نقضي السنوات الأولى من حياتنا ونحن

نعتقد أنهم محقون دائماً. وكما رأيت بشكل مستمر في هذا الكتاب، فإن المبتزين يتصرفون بدافع خوفهم واحباطهم، وغالباً ما تكون الأشياء التي يتهمونك بها هي الصفات والتصرفات التي يظهرونها. لقد قاموا بإرسال هذه العيوب إليك، متوقعين منك أن تتقبلها؛ فلتعدّها إليهم.

أعدّها إلى المرسل

يولي اللاوعي الكثير من الانتباه إلى المراسم والطقوس الرمزية. ومن أهم الجوانب المثيرة في عملي هو عمل طقوس بسيطة لمساعدة العملاء على مواجهة شياطينهم بطريقة جديدة وشيقة. إليك أحد الطقوس للتعامل مع الشعور بالذنب والذي يمكن أن يساعدك حقاً على تعطيل مثيرات الاستجابة. قم بإحضار صندوق بسيط له غطاء، مثل صندوق أهدية. اجعله صندوق شعورك بالذنب. ودون كل يوم لمدة أسبوع المبارات أو الصفات التي تثير الشعور بالذنب والتي يستخدمها شخص ما ليضغط عليك وأنت تعرف أنها غير عادلة وتتلاعب بك. اكتب كل عبارة أو صفة على ورقة منفصلة وضعها في الصندوق.

وفي نهاية الأسبوع، غلف الصندوق كأنك ستبعثه بالبريد. ضع عنوان المتاجر بالذنب أعلى يسار الصندوق واسمك وعنوانك في المنتصف. واكتب بحروف كبيرة - يفضل أن تكون حمراء - "يعاد إلى المرسل" في المقدمة. ثم تخلص من الصندوق مستخدماً المراسم التي تعجبك والطريقة التي تبدو جيدة لك. يمكنك أن تدفنه في الفناء الخلفي، أو تحرقه وتبعثر رماده، أو تقوم برميّه في مقلب نفايات، أو تضعه مع صناديق القمامة، أو تدهسه بسيارتك. الهدف هو أن تتوقف عن قبول رسائل الشعور بالذنب التي لا تخصك. هي ليست لك. فلا تتقبلها.

تمرين في التناقض

على الرغم من كل الشياطين الذين يجذبونها إليهم، وجدت "إيف" الشجاعة للرحيل عن "إليوت" بأكثر الطرق الممكنة شفقة، فقد حددت

مبعداً تغادر فيه وظلت مدة طويلة لتساعده على إيجاد مساعد شخصي لتولي القيام بالكثير من العمل الذي كانت تقوم به لحساب "إليوت". وحذرت أفراد عائلته من اكتتابه وأقنعت العديد منهم بالموافقة على البقاء بالقرب منه ومحاولة إقناعه بالبحث عن مساعدة من متخصصين.

ولكنني كنت أعرف أن "إيف" لن تتخلص من جبل الشعور بالذنب غير المستحق الذي تحمله على عاتقها بسهولة، على الرغم من أنها أحرزت تقدماً كبيراً. انتقلت للعيش مع أمها مؤقتاً، وهو ما أصابها بارتياح كبير، وقامت ببعض المحاولات لإيجاد وظيفة. لكن في كل مرة كان يتصل فيها "إليوت" وينهار في التليفون، كانت يتم الزجج بها مرة أخرى إلى منطقة الضباب.

وضعت مقعداً خالياً أمام "إيف" وطلبت منها أن تتخيل أن "إليوت" يجلس عليه، ثم طلبت منها أن تنزل على ركبتيها أمام الكرسي وتقول: "أعرف أنك لا تستطيع الصمود بدوني ولذا فلن أهجرك أبداً. سأعود ولن أترك مرة أخرى. سأتخلى عن أحلامي وطموحاتي بل وحياتي من أجلك. لن أطلب منك شيئاً لنفسى، وسأعتني بك إلى الأبد".

نظرت "إيف" إليّ كأنني مجنونة وصرخت قائلة: "هل تمزحين؟ لن أقول أبداً شيئاً من هذا القبيل؟".
قلت: "أطيعيني".

فعلت "إيف" على مضض ما طلبته منها، لكنها توقفت في المنتصف وقالت: "انتظري لحظة! إنني أشعر بسخافة. أعرف أنني شخصية متساهلة لكنني لست مغفلة! لن أعود إليه! سأعيش حياة حقيقية! أنا لم أجعله ما هو عليه - فلماذا يجب عليّ أن أصلح حاله؟".

هذا النوع من العمل اسمه العلاج التناقضي. والتناقض هو مفارقة ويشير إلى شيء قد يبدو تافهاً أو سخيلاً على السطح، لكنه في الواقع يحتوي على بعض الحقائق الأساسية. والعلاج بالتناقض هو علاج فعّال للغاية. فكما رأينا، نشطت روح "إيف" من خلال سخافة ما طلبت منها فعله، وتمردت على خضوعها. وعلى الرغم من أنها لم تقل تلك الكلمات فعلاً إلى "إليوت"، فإن سلوكها حتى وقت قريب كان يقول هذه الكلمات بالنيابة عنها. لقد جعلها

التناقض تستخف بشعورها بالذنب وترى كم أنه غير مستحق. وبمجرد أن فعلت ذلك، كانت تمضي في طريقها نحو التحرر.

بعد بضعة أسابيع، أعلنت "إيف" أنها وجدت وظيفة للمبتدئين في وكالة للدعاية والإعلان. كانت "إيف" تبدو مختلفة عن الشابة اليائسة المقيدة التي قابلتها أول مرة قبل ذلك بخمسة أشهر. سألتها ما إذا كانت تتذكر أنها أخبرتني بأنها كانت مقتنعة بأنها "ستموت من الإحساس بالذنب" إذا رحلت عن "إليوت".

قالت: "حسنًا، لم أعرف أحدًا مات يومًا من الشعور بالذنب. لكن يجب عليّ أن أقوي من نفسي وأكون مستقلة ماليًا. أنا لذيّ المهارات الكافية لإعانة نفسي، وكل ما أحتاج إليه هو شقة من غرفة واحدة وسيارة تعمل. ماء جار وسيارة تعمل. أنا أستطيع تحقيق ذلك وأنا على ما يرام".
لقد كانت بالتأكيد كذلك.

مكافحة الشعور بالذنب بالخيال

كانت "جان" مرتبكة عندما جاءت لرؤيتي بعد أن أخبرت أختها بأنها لن تستطيع أن تقرضها المال.

أعرف أن هذا كان الفعل الصائب، لكنني لا أستطيع التخلص من فكرة أنني قمت بشيء فظيع؛ فلقد كانت في حالة يرثى لها. وعندما أفكر في هذا، يتبادر إلى ذهني كل الكليشيهات القديمة: عائلتك هي كل ما لديك، سامحي وانسي، الظفر لا يخرج من اللحم، ما مضى قد فات وانتهى. الخلاصة هي أنها أختي، وهي واقعة في مشكلة وأنا لا أشعر برضا تجاه التخلي عنها في هذا الموقف.

كانت "جان" تشن حربًا داخلية بين ما كانت تعرفه وما لم تستطع التوقف عن تمنيه. بدا الأمر كأن الحكمة المؤلمة المكتسبة بصعوبة التي جنتها من سنين من التعامل مع "كارول" لم تتمكن من التغلغل بالعمق الكافي لتتحدى شعورها بالذنب.

عندما يقاوم اللاوعي التغير الصحي، وجدتُ أنه من القُبال أن نصل إليه من خلال الاستعارات والقصاص بدلاً من الحديث العلاجي التقليدي، ولمساعدة "جان" على القيام بهذا، طلبت منها أن تكتب قصة خرافية عن علاقتها مع أختها. قالت ساخرة: "ستكون حقاً قصة خرافية ملحمية. حسناً، كيف أفعل هذا؟".

أخبرتها بأنها يمكنها القيام بأي شيء تريده لكن أن تستخدم لغة وصور حكاية خرافية، وتحكي القصة على لسان طرف ثالث، وتعطيها - إن لم يكن نهاية سعيدة، فعلى الأقل نهاية متفائلة.

القصة التي كتبها "جاي" مميزة للغاية، وأود أن أعرضها لك:

كانت هناك أميرتان صفيرتان، وكانت إحداهما الابنة المفضلة للملك وكانت خزانها مليئة بالملابس والمجوهرات الجميلة. كانت تتجول في عربة ذهبية، وكانت تحصل على كل ما تتمناه. وكانت الأميرة الصغيرة الأخرى هي الابنة المفضلة للملكة، وكانت ذكية وشجاعة، لكن يبدو أنه لم يتبق لها شيء؛ لأن أختها أخبرت الملك بأكاذيب لكي تبدو الأميرة المسكينة سيئة في نظره. وهكذا كانت الأميرة الصغيرة المسكينة ترتدي ملابس أختها المدللة بعد أن تبلى، وعندما طلبت من الملك ألعاباً أو جزراً لتطعم حصانها (كان لديها حصان بدلاً من العربة)، قال لها: "أذهب وتدربي عند أحد التجار" وهي طريقة الملك الراقية لقول "أحصل على وظيفة" ولذا ذهبت الأميرة الصغيرة المسكينة للعمل عند صائغ المدينة الذي علمها كيف تصنع أشياء جميلة والذي مدح موهبتها واجتهادها.

وعندما كبرت الأميرتان، تزوجت الأميرة المدللة من ضفدع مسجور لا يأبه بأنها لا تستطيع أن تظهو أو تعمل. وكان الضفدع ميسوراً إلا أنه كان مبذراً ولا يجيد صنع شيء. كان يحبها لثرائها؛ وهو ما أراد استثماره في العقارات. وسرعان ما خسرت الأميرة المدللة كل جهودها وثروتها؛ ما اضطرها هي وضمفدعها إلى التسول. وكان هذا بمثابة إهانة شنيعة للأميرة المدللة.

وفي هذه الأثناء، اجتهدت الأميرة الصغيرة المسكينة في العمل وحققت نجاحاً كبيراً في حياتها. وقد تركها صائغ المدينة الطيب تدير متجره عندما

كبر في السن، وكانت مشهورة بصنع أجمل التيجان والحلقان في المملكة. وقد أصبح لديها متجر المجوهرات الخاص بها ويسمى مجوهرات الأميرة، وكانت فخورة بكل ما عملت على تحقيقه. الحزن الوحيد في حياتها هو الذكرى الممتلئة في الطريقة التي كان أبوها وأختها يعاملانها بها عندما كانت صغيرة.

عندما جاءت الأميرة الأنانية إلى بابها وناشدتها أن تعطىها بعض المجوهرات حتى لا تتم مصادرة العربية الملكية والحجز على قلعها. واجهت الأميرة المجتهدة معضلة صعبة. ناشدتها الأميرة الأنانية قائلة: "أرجوك ساعدني. أعرف أنني لم أعاملك بلطف على الإطلاق، لكن إذا أعطيتني بعضاً مما عملت بجد لكسبه، سأكون قريبة منك كما ينبغي للأخت أن تكون". أرادت الأميرة المجتهدة أن تصدقها، وأرادت بشدة أن يكون لأختها مكان في حياتها، لكن أختها لم تعاملها معاملة جيدة من قبل، وكانت الأميرة المجتهدة قلقة من أنها لم تتغير على الإطلاق. ولكي تنظم أفكارها المضطربة، ذهبت لتمشى في الغابة ووصلت إلى بحيرة بها مياه صافية جداً. فجلست هناك وحملت إلى انعكاس صورتها وسألته: "ما الذي يجب أن أفعله؟ ما الذي يجب أن أفعله؟ أعرف أن أختي ستهدر أي شيء أعطيها إياه، لكنني أحب أن أحظى بأخت تحبني" وبينما كانت تتحدث، سقطت دموعه في البحيرة، عندما سكن الماء مرة أخرى، رأت أن انعكاسها قد تم استبداله بانعكاس أعز صديقاتها.

قال الانعكاس: "أنت لديك أخت. فأنا أحبك وأهتم بأمرك بينما لم تفعل ذلك أختك الشقية، وستحظين دائماً بعائلة مثلي". كانت الأخت المجتهدة تعرف أن هذا صحيح، وعندما عادت إلى البيت، قالت لأختها المدللة: "لا يمكنك أن تأخذي مجوهرات من متجري. أنت لم تحصلي على هدية إلا وقمت بإهدارها. أتمنى لو كنا مقربتين، لكننا لسنا كذلك، وربما لن نكون أبداً كذلك. والمجوهرات لا تستطيع تغيير ذلك".

قالت "جان" إن كتابة القصة أمدتها بقوة كبيرة:

لقد رأيت الحقيقة. أختي لن تتغير، وألف دولار لن تسهم بالكثير في إصلاح المشكلة. فمئذ أن كنا أطفالاً، حاولت "كارول" الاستحواذ على الأشياء والكذب بشأنني وحاولت توريطي في مشكلات مع أمي وأبي. لم تكن علاقتي بها وثيقة من قبل، وعلى الأرجح لن تكون وثيقة أبداً. لكنني شعرت بتحسن كبير عندما وجدت نفسي أكتب عن أختي الحقيقيتين. أعز صديقتين لي هما أكثر من عائلة، وأقرب إلي مما يمكن أن تكون عليه أختي الحقيقية. ولذا فأنا لم أفقد شيئاً - ما عدا عبء الشعور بالذنب.

إن سرد القصة على لسان طرف ثالث يوفر لـ "جان" قدرًا من البعد العاطفي الضروري، كي تستلمع رؤية علاقتها مع أختها بوضوح حقيقي. واستخدام شكل الحكاية الخرافية يحرر خيالنا، بكل ما فيه من إبداع ودعابة - وهو سلاح قوي ضد الشعور بالذنب.

أنا أشجعك على أن تكتب الحكاية الخرافية الخاصة بك لتكتسب منظوراً أعمق عن العلاقة التي تجعلك تشعر بالذنب. وهذا أمر فعّال على نحو خاص عندما تكتب عن أفراد الأسرة، لكن يمكنك أن تكتب أيضًا عن صديق أو حبيب ("كان يا ما كان، كان يعيش ملك وملكة. كان الملك معتاداً أن يذهب إلى الغابة ساخطاً عندما لا يحصل على مراده...") أعتقد أنك ستكون مندهشاً ومسروراً مما ستكتشفه قصتك لك، ومدى الوضوح الذي ستعطيه لك فيما يتعلق بموقف أعماك فيه الشعور بالذنب.

أعرف أنني ألقى بالكثير من المعلومات والكثير من العمل عليك في هذا الفصل، وبعض منه قد يثير بعض الانفعالات القوية. قد تشعر بالحزن نتيجة فقدان الأمان في علاقة أو الغضب الحتمي من المبتز لأنه يضغط عليك أو من نفسك لاستسلامك المتواصل. وربما ينشط هذا التمرين حتى بعض المسائل غير المنتهية من طفولتك.

ترفق بنفسك، وانته به إلى مشاعرك وما تقوله لك. وإذا شعرت بوهن في عزيمتك، فقد يكون من الملائم الحصول على استشارة وجيزة في هذا الوقت، أو ربما تريد أن تبحث عن دعم إضافي من شخص مقرب منك. تذكر، أنت لست مضطراً للقيام بكل شيء في الأربع والعشرين ساعة القادمة. لا تحمل نفسك ما يفوق طاقتك، واختر تلك التمارين والمهام التي تناسبك. وأنا أعددك بأنها ستستحق الجهد المبذول فيها.

خاتمة

تغيير سلوكك ليس عملية خطية، وليست فورية. وبينما تجعل المهارات التي تعلمتها جزءاً لا يتجزأ من حياتك، ستجد أنك لن تنجح في ذلك طوال الوقت. وقد تتعثر، وقد تصاب بالفرع، ستحاول وأحياناً ستفشل - كل شخص يمر بهذا؛ لكنك ستستمر في التعلم من انتصاراتك وأخطائك. تذكر، إن ما تقوم به مثل تسلق جبل ما باستثناء أنه ليس هناك من يصل إلى القمة أبداً؛ إذ ليس هناك شخص على درجة من البلاغة وخال من القلق بحيث يستطيع أن يأتي دائماً بالكلمات المناسبة لتفادي ضغط المبتز وتهديداته. كن رقيقاً ومتسامحاً مع نفسك. وبينما تشق طريقك نحو قمة جبل التغيير، ربما تنظر لأعلى وتقول في نفسك: "يا إلهي لا يزال أمامي طريق طويل لأقطعه!" لكن التفت للحظة وانظر أسفلك إلى المكان الذي بدأت منه، سترى المسافة التي قطعتها.

معجزة التغيير

بمجرد أن تتوقف عن انتظار الآخرين أن يتغيروا وتبدأ في العمل على تحسين سلوكك، قد تحدث معجزات. واستخدام أداة واحدة من أدوات الجديدة سيرسل موجات التغيير عبر أية علاقة. انظر إلى ما حدث مع "ليز" و"مايكل".

سألتني "ليز": "هل تصدقين كيف أصبح مايكل مختلفاً؟ أنا لم أكن أعتقد أننا سننجح في هذا".

سألتها: "لكن من الذي تغير أولاً؟"

قالت: "أعتقد أنا من تغير أولاً. لقد كان لدي شكوك عندما قلت إن هذا هو الحل، ولكنني رأيت أنني لو واصلت فعل ما كنت أفعله دائماً، لما كانت العلاقة لتستمر بيننا".

ابتسمت "ليز" ابتسامة عريضة بينما كانت تفتح حقبيتها وتخرج منها ورقة مطوية. وقالت: "هذا خطاب كتبه مايكل من أجل علاجه النفسي، وطلب مني أن أعرضه عليك".

يا له من خطاب!

إلى المبتز بداخلي:

مرحباً.

أحتاج أن أتحدث معك قليلاً. وأريد منك أن تعير اهتمامك الكامل لموضوع ذي أهمية قصوى بالنسبة لي.

لقد كنت أنت السبب في الكثير من المتاعب لي منذ وقت ليس بالقصير. وأنا لم تكن لدي أية فكرة عما يحدث إلى أن لفت انتباهي إليك "ليز" و"جون" (معالج "مايكل"). والأمر أصبح أكثر وضوحاً لي الآن، وأنا وأنت سننهي هذا الأمر الآن.

أنا أشعر بأذى الآن بسبب التوتر والتماسة التي سببتها أنا بفعلتك. عندما أفكر في أنني كنت على وشك أن أخسر كل شيء أحبه بسبب اعتقادي الفبي بأنه يمكنني أن أشعر بأني شخص قوي ومسيطر من خلال التمر على زوجتي لتفعل أي شيء أريد منها أن تفعله ومعاقبتها إذا لم تفعله، أشعر بالفزع والغضب منك.

أنا مندهش من مدى تبدل إحساسي. عندما أفكر في أنني كنت أنظر لزوجتي بغضب وكنت وضيقاً ومهيناً وقاسياً واعتقدت أنني أصحح بعض الأخطاء فذلك يملؤني بالحزن لأنني جرحتها وأشعر بالحزن على اللحظات التي ضيعتها وعلى الحب الذي فقدته وعلى التصرف على التقيض تماماً مما

أشعر به وعلى عدم احترام وتوقير أهم شيء، وهو كرامة الإنسان وشخصيته الفردية.

أريد منك أن تعرف يا سيد مبتز أنه لم يعد لك مكان بداخلي، ولست راغباً في المساومة على هذا. أنا لم أعد أقبل بهذا بعد الآن.
أعرف أن هذا ليس سهلاً؛ فهناك الكثير من الأشياء لم أتعلمها بعد، والكثير من العادات لم أتخلص منها بعد، والكثير من المخاوف بأن أبدو ضعيفاً لم أتغلب عليها بعد. لكنني قمت بأشياء شاقّة من قبل لم تكن مهمة بالنسبة لي بقدر أهمية هذا، وسأقوم بهذا أيضاً. انتهت أيامك، وهذا اليوم وما يليه شيء جديد.
وداعاً.

- مايكل

على غرار الكثيرين من المستهدفين من الابتزاز العاطفي، وضعت "ليز" إيمانها في الإذعان، واعتقدت أنها تستطيع شراء الاستقرار بالاستسلام إلى مطالب "مايكل". لكنها لم تكن تعرف أنها تقوم فقط بتعزيز سلوك "مايكل" الذي كان يمزقهما. وعندما غيرت من استجابتها تجاهه، فتحت الباب للتقارب الذي كانا يتوقان إليه.

قالت "ليز": "كل ما أستطيع قوله هو: أما وقد حدث هذا، فأنا أؤمن إذن بوقوع المعجزات. لقد استعدت مايكل ومايكل استعدادني".

لا أستطيع أن أضمن أنه إذا فعلت ذلك، فستكون المكافأة دائماً هي استجابة رائعة مثل استجابة "مايكل" من المبتزين في حياتك. لكن حتى لو كان تغير الناس من حولك تغيراً محدوداً للغاية، فستكون أنت مختلفاً وسيبدو العالم مختلفاً لك. ستعرف أن العلاقة التي لا يمكنها أن تستمر إلا إذا ظللت هدفاً مدعماً للابتزاز العاطفي ليست بالعلاقة التي تبرز سعادتك.

وضوح الأمور

يعود إليك إحساس جميل بالحياة الطبيعية والتوازن عندما تستطيع عبور الضباب ووقف التمر العاطفي، فيرحل الارتباك وتويخ الذات اللذان كانا يشكلان جزءاً كبيراً من مشاعرك وتصورك لذاتك، ويأتي مكانهما إحساس جديد من الثقة واحترام الذات.

ومع كل خطوة تأخذها لتعلم واستخدام المهارات التي تجرد من بيتزونك عاطفياً من أسلحتهم، ستستعيد جوهر شخصيتك - نزاهتك. ذلك الكيان المكتمل الثمين الذي افتقدته لم يُفقد يوماً - بل تم استبداله. لقد كان بانتظارك.

If you really loved me ...
After all I've done for you ...
How can you be so selfish?

Emotional Blackmail

When the People in Your Life
Use Fear, Obligation, and Guilt
to Manipulate You

SUSAN FORWARD, Ph.D.
Author of *Men Who Hate Women and the Women Who Love Them*
with Donna Frazier

"هذا كتاب مفيد... وهو موجه لأي شخص يشعر بأنه خاضع لاحتياجات شخص آخر، وبكائه، وتهديداته".

- صحيفة ديترويت نيوز/ فري بريس

"تنفس الصعداء! فسوف تساعدك سوزان فورورد في تحديد أساليبك الهدامة والمربكة في التعامل مع من تحبهم وتصحيحها. وانني أوصيك بقراءة هذا الكتاب بشدة".

- الدكتورة سوزان جيفرز، مؤلفة كتاب

استشعر الخوف واقدم على ما تخاف تقنيات فعالة لتحويل الخوف

وكتاب *END THE STRUGGLE AND DANCE WITH LIFE*

الابتزاز العاطفي صورة قوية من صور الاستغلال، ويقوم فيه أشخاص مقربون منا بتهديدنا بأن يعاقبونا على عدم فعل ما يريدون. ويعلم ممارسو الابتزاز العاطفي مقدار تقديرنا لعلاقاتنا بهم، ويعلمون أوتارنا الحساسة وأسرارنا الدفينة. وقد يكون هؤلاء الأشخاص آباءنا، أو أزواجنا، أو رؤساءنا، أو شركاءنا في العمل، أو أصدقاءنا، أو أحبائنا. وأياً كان مقدار اهتمامهم بنا، فهم يستخدمون هذه المعرفة الخاصة في نيل ما يريدون، ألا وهو امتثالنا لهم.

وفي هذا الكتاب، تحلل المؤلفة سوزان فورورد بنية العلاقة التي يهدمها الاستغلال لتقدم لضحايا الابتزاز الأدوات التي يحتاجون إليها للدفاع عن أنفسهم. وبأسلوب واضح ومباشر تبين الخطوات المحددة التي يمكن للقراء اتخاذها، وتقدم قوائم مرجعية، وسيناريوهات ممارسة، وأساليب اتصال حازمة من شأنها أن تقوي العلاقات وتحطم دائرة الابتزاز إلى الأبد.

الدكتورة سوزان فورورد إخصائية علاج ذات شهرة عالمية، ومحاضرة، ومؤلفة. وتشمل مؤلفاتها كتاب *Men Who Hate Women and the Women Who Love Them* وكتاب *Toxic Parents*، الحائزين على المرتبة الأولى في قائمة أفضل الكتب مبيعاً في صحيفة نيويورك تايمز، فضلاً عن كتاب *Obsessive Love* و *Betrayal of Innocence* و *Money Demons*. وهي تعيش في لوس أنجلوس، كاليفورنيا.

النسخة الإلكترونية

قارئة جريير
JARIR READER

